

٥٧

الألف كتاب (الثاني)

مختارات من الأدب الياباني

الشعر - الدراما - الحكاية - القصة القصيرة

تأليف

مجموعة من الكتاب اليابانيين القراء والمحررين

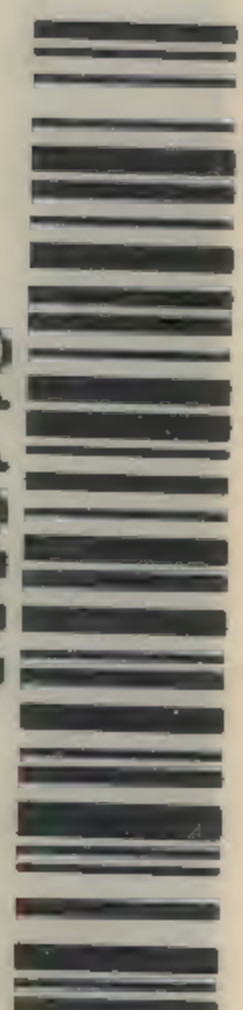
ترجمة: صبرى أبو الفضل

مراجعة: مختار السويدي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

0148099



Bibliotheca Alexandrina

8

مختارات من الأدب البياني

مختارات من الأدب الياباني

الشعر - الدراما - الحكاية - القصة القصيرة

تأليف

مجموعة من الكتاب اليابانيين القراء والمحدثين

ترجمة

صبرى الفضل

مراجعة

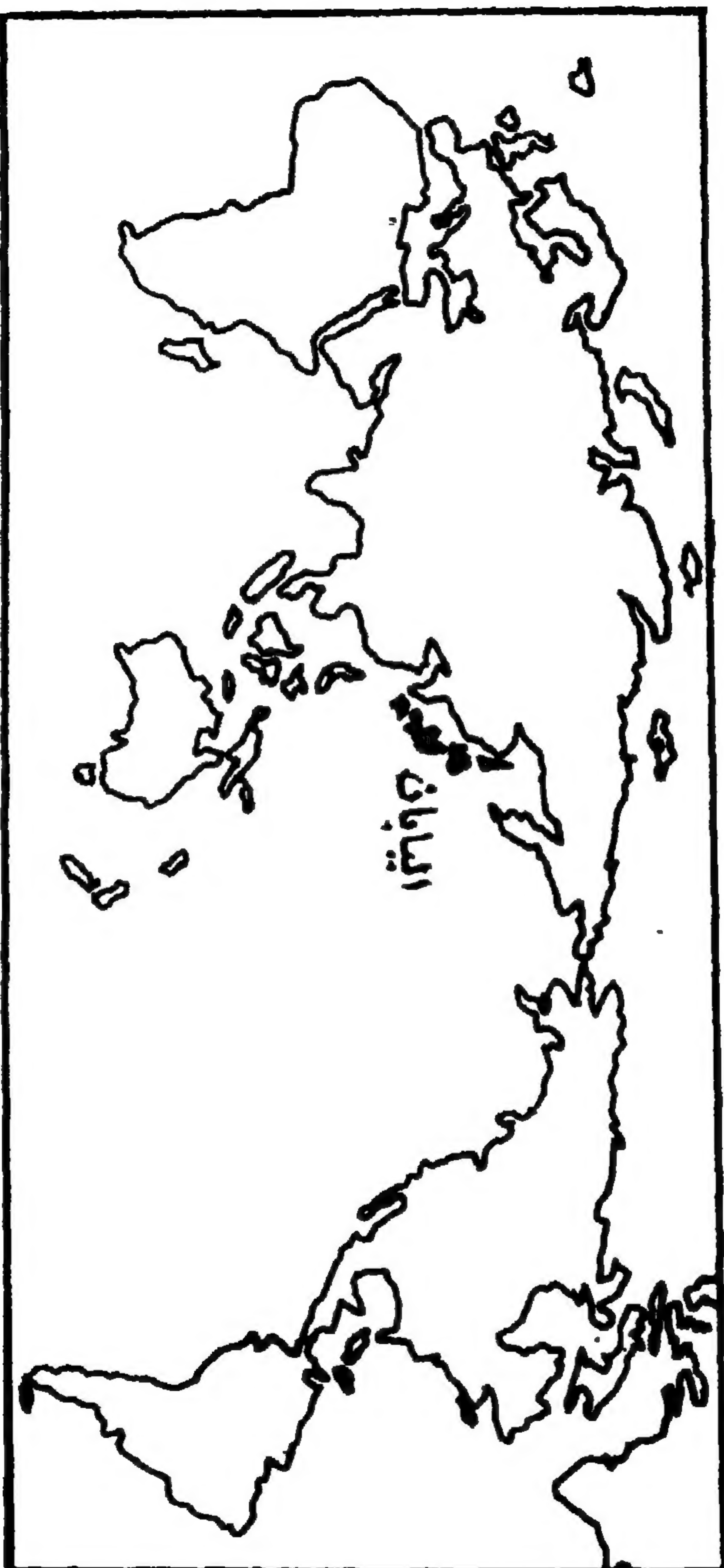
مختار السويدي



الهيئة العامة للكتاب

١٩٨٨

موقع التبتان في العالم



مقدمة

ما أحلى السفر • والتعرف على الشعوب ، وعلى أرض الله الواسعة •
لقد سافرت الى اليابان ثلاث مرات • مرة فى أواخر السبعينات ومرتين
عام ١٩٨٣ • وفى أحد الشوارع بطوكيو صادفت من يبيع لوحات من
الخط اليابانى الجميل باللون الأسود على ورق أبيض مستطيل وكأنه لوحات
فنية ، بل هو كذلك بالفعل • وشدتنى احداها وكانت عبارة عن جملة
من ثمانية حروف أو أشكال ، فسألت رفيقى الذى ترجمها لى : « الجبال
والأنهار والنباتات والأشجار كلها مقدسة » وتعنى هذه الجملة أن الحياة
موجودة فى الجمادات وجودها فى الكائنات الحية ، وأن جميع صور الحياة
متساوية •

هذه الفكرة بوذية الأصل ومعروفة فى الفكر اليابانى القديم ...
والمقصود بها أن فلسفة وضع الانسان فى مركز الكون مسئولة عن دمار
الطبيعة ، وعلى الانسان التعامل مع الطبيعة بمزيد من التواضع •

ومن ضمن ما حاولت أن أعرفه فى هذه السفريات ، هى الشخصية
اليابانية ... ما هى شخصية اليابانى المعاصر ؟ ... اليابانى كان منغمسا
فى الوطنية المفرطة قبل الحرب ، ثم تحول استدارة كاملة بعد الحرب
وكرس نفسه تماما للتطور الاقتصادى على حساب تاريخه وتقاليده •

واليابان اليوم تقدم ١٠٪ من اجمالى الناتج القومى العام للعالم ،
وتحتل المرتبة الثانية فى تقديم الدعم المالى لهيئة الأمم المتحدة ... فما هى

الأسس الثقافية لهذا النجاح الاقتصادي ؟ .. وما الذى يمكن لليابان أن تسهم به من أجل العالم ؟ .. وقبل عامين تم اتخاذ قرار بتأسيس المركز الدولى لدراسة الثقافة اليابانية . وهو معهد فكرى للدراسات اليابانية فى منظور دولى وقاعدة عريضة .

ولاحظت أن اليابان من أسرع بلدان العالم تغيرا وتطورا ، ولكنها فى الوقت نفسه تقوم على دعائم من التقاليد العريقة التى تضرب فى التاريخ الى أقدم الأزمان .

لقد أبدى الشعب اليابانى خلال تاريخه الطويل استعدادا فريدا لاستيعاب الأفكار الجديدة ، وتطويرها بما يتلاءم مع بيئته الثقافية الخاصة . ويعود هذا الاستعداد الى تاريخ اليابان القديم ، وأوضاعها الجغرافية التى خلقت من الشعب اليابانى أمة متجانسة بصورة غير عادية . واضطر اليابانيون على مر القرون أن يجابهوا الأحداث ويستفيدوا منها فى تطوير مؤسساتهم وعاداتهم وخصائصهم . مما أسبغ عليهم احساسا قويا بالوحدة القومية ، والهدف المشترك .

وساعد ذلك اليابان على أن تمر بتحولات هامة خلال تاريخها ... من أهمها ما حدث لها فى العصر الحديث عندما نبذت النظام الإقطاعى المتجمد فى أواخر القرن التاسع عشر لتنتقل فى الطريق الى الأساليب الحديثة ، وعندما مرت بتجربة الحرب العالمية النانية المريرة . وبالرغم من أن هاتين التجربتين قد أحدثتا تغييرات شبه ثورية فى البناء اليابانى بصفة عامة إلا أنها اجتازتهما دون أن تتغلى عن جذورها التقليدية أو تعوق تطورها الاجتماعى .

واستطاعت اليابان أن تجعل من نفسها واحدة من أوائل الدول الصناعية والتجارية ، وتطور اقتصادها الصناعى وتقدمها التكنولوجى بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . فقد تحولت من مجتمع زراعى يقنع بالحد الأدنى لمستويات المعيشة قبل مائة عام فقط ، الى مجتمع صناعى متقدم ذى أسلوب للحياة القومية يقوم على مستويات أعلى من الانجازات المادية والثقافية والفكرية .

ويمكن ملاحظة هذا التحول أيضا فى التدويل التدريجى لغالبية نواحي الحياة ذات الشخصية القومية . والمعروف أن علاقات اليابان بالعالم الخارجى بقيت محدودة لفترة طويلة ، أولا نظرا لوضعها الجغرافى كمجموعة جزر . ثم نتيجة للعزلة التى فرضتها على نفسها طوال قرنين ونصف قرن ، وأخيرا بسبب الحرب والاحتلال خلال القرن الحالى .

كانت اليابان قبل الحرب النانية مركزا لامبراطورية واسعة . كانت في بعض الأوقات تشتمل على نايوان وكوريا ومانشوريا . وأغلب الصين الشرقية . وجنوب جزيرة سخالين . وجزر المارشال وماريانا بجنوب غرب المحيط الهادى . واليوم ومن بعد الحرب . انكششت اليابان فى الحجم وتشتمل على أربع جزر رئيسية هى : هوكايدو . هونشو . شيكوكو . وكيوشو ، بالإضافة الى مئات من الجزر الصغيرة التى تمتد فى سلسلة كالقوس فى شكل أرخبيل طوله ٣٨٠٠ كيلو متر فى مواجهة الساحل الشرقى لقارة آسيا .

وأقرب جار لليابان هو الاتحاد السوفيتى . فجزيرة سخالين على بعد ٥٠ كيلو مترا من هوكايدو عبر مضيق سويا (لابيروس) . إلى ذلك كوريا الجنوبية التى تبعد ٢٠٠ كيلو متر غرب اليابان عبر مضيق كوريا .

واليابان هو الاسم الرسمى أما الاسم الأصلى فهو نيهون أونيبون . ومعناه مصدر الشمس . والعلم الوطنى اليابانى عبارة عن دائرة حمراء بارزة فى وسط أرضية بيضاء ناصعة . ويسمى هذا العلم « هى - نو - مارو » ومعناها « اسندارة الشمس » ومن هنا جاء تعبير « أرض الشمس المشرقة » .

وقد استخدم العلم « هى - نو - مارو » لأول مرة فى احتفال قومى عام ١٨٧٢ عندما افتتح الامبراطور ميجى أول خط حديدى فى اليابان .

عرفت الجزر اليابانية عالميا عن طريق التجارة مع دول أوربا خلال القرن الخامس عشر ، وكان طريق الحرير يربط بين اليابان والبلدان العربية .

الأرض والمصادر :

تشكل الجزر الأربع الكبرى ٩٨٪ من المساحة الكلية لليابان ، التى تقل عن نصف مساحة مصر ٣٧٧٦١٩ كيلو مترا مربعا ، وهى على التوالى هوكايدو فى الشمال ، هونشو أكبرها وأكثرها سكانا فى المنتصف ، وفى الجنوب جزيرتى كيوشو وشيكوكو ، وتفصل بينهما وبين الجزيرة

الكبرى هونشو المياه المحمية للبحر الداخلى الذى كان قلب اليابان لما يزيد عن ٢٠٠٠ سنة . والجزر الأخرى المكمل لمساحة اليابان تزيد عن ٣٠٠٠ جزيرة صغيرة .

وتكون جزر اليابان جزءا من حلقة فى منطقة الباسيفيك التكتونية غير المستقرة ، ذات النشاط البركانى ، وتعد استمرارا للبناء الجبلى الذى يحد حواف المحيط الباسيفيكي . والجزر التى تتشكل منها اليابان ما هى فى الواقع الا قمم سلسلة من الجبال الناتئة . ويوجد فى اليابان حوالى ٥٠ بركانا نشطا ، كما يحدث كل سنة حوالى ١٥٠٠ زلزال صغير ، وينابيع مياه ساخنة . وذلك لعدم استقرار القشرة الأرضية . ومن أشهر المناطق البركانية منطقة فوجى - هاكونى - ايزو . وأذكر أننا ذهبنا إليها من طوكيو بالأتوبيس ، ثم بالمصعد المعلق « التليفريك » وشاهدنا منظرا فريدا للمياه الساخنة المتدفقة من العيون الكبريتية وسط السلوح البيضاء .

ويوجد فى اليابان قرابة ٧٠٠ ينبوع مياه معدنية تتراوح درجة حرارتها بين ٢٧ درجة مئوية و ١٠٥ درجة مئوية ، وفى محافظة « جوما » يوجد ما يسمى بحمام اللحظة الحافظة ، فيدخل حوالى الخمسين شخصا الى حوض مملوء بماء ينبوع معدنى متوسط حرارته ٥٥ درجة مئوية ويمكنون فى الحمام المعدنى هذا بين ثلاث وأربع دقائق .

وجبل فوجى نفسه هو بركان ساكن ، وهو أعلى جبل فى اليابان ويصل ارتفاعه ٣٧٧٦ مترا . غير أنه فى الصورة الاجمالية ، فإن الطبيعة الطبوغرافية لليابان تضيف عليها المناظر الخلابة ، والمثيرة أحيانا . فهناك البحيرات الجبلية التى يغذيها الجليد . والتضاريس الصخرية ، والأنهار الهادرة ، والقمم الوعرة ، ومساقط المياه الجميلة ، وهى تعتبر مصدرا دائما للروحى والالهام .

وحوالى ٧٥٪ من أراضى اليابان جبلية وعرة ، تجعل الزراعة والاقامة بصفة عامة عملية ليست سهلة ، وتشكل الأراضى المنخفضة حوالى ١٦٪ من الجزر ، وهى صغيرة متقطعة ، وتوجد أغلبها فى المناطق الساحلية . وأكبرها سهل كانتو ، حيث تقع طوكيو ، والمدن المحيطة بها . وهناك مدن أخرى رئيسية مزدهرة فى الأراضى المنخفضة السهلة مثل ناجويا فى سهل نوبى . وأوساكا وكيوتو فى الأراضى المنخفضة لكانساي .

وتغطى الغابات حوالى ٧٠٪ من المساحة الكلية وبها أشجار صنوبرية كالأرز وموسمية كالبلوط والسنديان والبتولا والدردار ، كما تنتشر

النباتات الطبيعية بأنواع غريبة متعددة تشمل الخيزران (البامبو)
وأشجار السرو العملاقة والكافور . وأنهار اليابان قصيرة وسريعة
الجريان ، أطولها نهر « شينانو » حوالى ٣٥٠ كيلو مترا ويصب قرب مدينة
« نيجاتا » .

السكان والتاريخ :

يبلغ مجموع عدد السكان فى اليابان ١٢١ مليون نسمة حسب
احصاء عام ١٩٨٥ . وهذا يجعل اليابان الدولة السابعة بتعداد سكانها
فى العالم . وتبلغ نسبة كثافة السكان ٣٢٥ شخصا لكل كيلو متر مربع
وهى تعتبر من أعلى نسب كثافة السكان فى العالم .

ويختلف الخبراء حول أصل العنصر اليابانى ، أغلب الظن أنه من
أصل المغول القادمين من أجزاء مختلفة من شرق آسيا وجزر جنوب المحيط
الباسيفيكي . ويقال أن أسلافهم ينتمون الى سلالة تعرف حاليا باسم
جنس ياماتو ، ويعتبر زعماء ياماتو أجدادا للعائلة الامبراطورية الحالية .

وفى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد قامت الاتصالات بين اليابان
والممالك الآسيوية الأخرى فى شبه الجزيرة الكورية ، وعن طريقها دخلت
الفنون الصناعية مثل النسيج ، وصناعة المعادن ، والدباغة ، وبناء السفن
التي كانت متقدمة جدا فى الصين ابان حكم أسرة هان . فكانت كوريا ،
والصين هما المصدرين اللذين أخذت عنهما اليابان الحرف ، والفنون ،
والمعرفة التي شكلت الأسس التي قامت عليها ثقافتها الخاصة بها
تدرجيا .

كما تعلم اليابانيون عنهما أصول الطب وأسرار التقويم وعلم الفلك
والكونفوشية ، ثم وجدت البوذية طريقها الى اليابان فى عام ٥٣٨م .
قادمة من الهند عن طريق الصين ، وكوريا .

وقد أقيمت أول عاصمة دائمة للبلاد فى نارا فى أوائل القرن
الثامن الميلادى . وأقامت فيها الأسرة الامبراطورية لفترة تزيد عن سبعين
عاما من ٧١٠ الى ٧٨٤م .

وفى عام ٧٩٤م بنيت عاصمة جديدة فى كيوتو على طراز العاصمة
الصينية فى ذلك الحين ، وبقيت مقرا للعرش لمدة ألف عام تقريبا .

وكان نقل العاصمة الى كيوتو علامة بدء عصر هيآن الذى استمر حتى عام ١١٩٢ . وكان واحدا من أعظم العصور فى التطور الفنى . وانقطعت الاتصالات مع الصين فى أواخر القرن التاسع ، وبدأت الحضارة اليابانية تتخذ خصائصها المميزة وأشكالها الخاصة .

وتميزت الحياة فى العاصمة كيوتو بقسط وافر من الفخامة والأبهة . وبينما انصرف البلاط الامبراطورى الى الاهتمام بالفنون ومباهج الحياة الاجتماعية ، أخذت سيطرته على القبائل المتحاربة فى الأقاليم تزداد ضعفا . وأفلتت السيطرة الفعلية على البلاد من قبضته تدريجيا ، وأصبحت فريسة تتنازعها أسرتان متحاربتان متنافستان هما : الميناموتو والتائيرا . وكلتاهما تنحدران من سلالة أباطرة سابقين . وقد خاضت الأسرتان معركة من أقسى المعارك وأكثرها شهرة فى تاريخ القرون الوسطى فى اليابان ، وانتصرت فيها أخيرا أسرة ميناموتو بعد أن أبادت أسرة تائيرا المنافسة فى معركة دانورا الشهيرة فى منطقة البحر الداخلى فى عام ١١٨٥م .

عصر الاقطاع :

كان انتصار أسرة ميناموتو ايدانا بنهاية العرش الامبراطورى كمصدر للسلطة السياسية الفعلية ، وبداية لسبعة قرون من الحكم الاقطاعى بقيادة سلسلة من الحكام العسكريين أو « الشوجون » .

وفى عام ١١٩٢ أقام يوريتومو ، زعيم أسرة ميناموتو المنتصرة ، « الشوجونيت » أو الحكومة العسكرية فى كاماكورا القريبة من طوكيو الحالية ، واستأثر بكافة السلطات الادارية التى كان الأباطرة فى كيوتو يحتفظون بها لأنفسهم . وكرد فعل لعصر كيوتو الذى اعتبرته الحكومة العسكرية فترة انحلال بسبب انصرافه الى الفنون السلمية ، اتجه الحكم العسكرى الجديد فى كاماكورا الى تشجيع التقشف والفنون العسكرية والنظام من أجل إعادة السيطرة الفعلية على البلاد . وهكذا تغيرت الأوضاع ، فبينما كان العهد الهيآنى السابق يتميز بازدهار الفنون فقد كان عهد كاماكورا - كما سمي عهد حكومة شوجونيت يوريتومو - عهدا سادت فيه روح الفروسية اليابانية « بوشيدو » بأسلوب الساموراي .

وانتقلت السلطة في عام ١٢١٣ من عائلة ميناموتو إلى أسرة زوجة يوريتومو المعروفة باسم عائلة هوجو التي أبقت على الحكم العسكري في كاماكورا حتى عام ١٣٣٣ . وفي خلال هذه الفترة هاجم المغول منطقة شمال كيوشو مرتين : الأولى في عام ١٢٧٤ ، والثانية في عام ١٢٨١ . وقد تمكن المحاربون اليابانيون - بالرغم من ضعف تسليحهم - من الصمود ومنع الغزاة من التغلغل إلى الداخل . ونتيجة للأعاصير التي حطمت الجانب الأكبر من أسطول المعتدين في كل من الحملتين اضطر المغول إلى الانسحاب من اليابان .

وجاءت حكومة عسكرية جديدة أقامت أسرة أشيكاغا في موروماتشي بكيوتو ، وقد استمرت هذه الحكومة أكثر من قرنين من ١٣٣٨ إلى ١٥٧٣ وهكذا عادت عقارب الساعة إلى الوراء مرة أخرى ، من فروسية بوشيدو الصارمة إلى أسلوب جديد في الحياة يقوم على تذوق الجمال والأنشطة الدينية . وقد ترك ذلك أثره على الفنون اليابانية على مدى العصور . وبقيت إلى يومنا هذا محتفظة بخصائصها الأساسية وهي روح ضبط النفس والبساطة الكلاسيكية .

وبعد قرنين من الحكم ، واجهت الشوجونية في موروماتشي تحديا متزايدا لسلطتها من جانب العشائر المنافسة في أنحاء أخرى في البلاد . وشهدت اليابان في أواخر القرن السادس عشر سلسلة من الحروب الأهلية ، وذلك عندما أخذ نبلاء الأقاليم يتنافسون على السيطرة . وأخيرا ، تمكن الجنرال الكبير هيديوشي تويوتومي في عام ١٥٩٠ من إعادة النظام إلى البلاد ، وقد دعم عمله في إعادة السلام وتوحيد البلاد « إياسو توكوجاوا » مؤسس حكومة توكوجاوا شوجونية . وقد تم خلال هذه الفترة الانتقالية من الحروب الأهلية (١٥٧٣ - ١٦٠٣) بناء أغلب القلاع الشهيرة في اليابان .

الوحدة في العزلة :

وبعد أن نصب إياسو نفسه حاكما فعليا على اليابان كلها ، أنشأ حكومته العسكرية الشوجونية في ايدو - طوكيو حاليا - في عام ١٦٠٣ ، وكان ذلك بمثابة نقطة تحول رئيسية في تاريخ اليابان . فقد أرسى « إياسو » دعائم النظام في مختلف مجالات الحياة في اليابان وخاصة في المؤسسات السياسية والاجتماعية التي استمرت لمدة ٢٦٥ عاما .

وكانت إحدى الوسائل الحاسمة التي استخدمتها حكومة توكوجاوا العسكرية للحفاظ على وحدة البناء الاجتماعي والسياسي الذي أرسى « إياسو » دعائمه ، الاقدام على غلق أبواب اليابان في وجه العالم الخارجي ، وذلك في عام ١٦٣٩ . وكان أول من وصل الى شواطئ اليابان من الغربيين في القرن السابق ابان عهد موروماتشي هم التجار البرتغاليون في جزيرة صغيرة في جنوب غربي اليابان في عام ١٥٤٣ ، وكانوا أول من أدخل الأسلحة النارية الى البلاد . ثم تبعهم - بعد سنوات قليلة - رجال الارساليات اليسوعية وعلى رأسهم القديس فرانسيس اكسافيه ومجموعات من الأسبان ، ثم من الهولنديين ، والبريطانيين .

ونجحت الارساليات في التأثير على عدد كبير من اليابانيين ، خاصة في الجنوب ، وحثتهم على اعتناق المسيحية . وأدركت الحكومة العسكرية أن المسيحية قد تكون لها آثار متفجرة لا تقل خطورتها عن الأسلحة النارية التي صيبتها . وأقدمت حكومة الشوجونيت على تحريم المسيحية ومنعت دخول الأجانب جميعا ، فيما عدا حفنة من التجار الهولنديين والصينيين ، الذين تحدت اقامتهم في جزيرة ديجيما الصغيرة في ناجاساكي . وبقيت هذه المستوطنة الصغيرة نقطة الاتصال الوحيدة بين اليابان والعالم الخارجي طوال قرنين ونصف قرن . وقد استطاع طلاب العلم اليابانيون من خلال هذا المنفذ الصغير أن يتلقوا المعرفة مثل الطب وغيره من العلوم الغربية ، وذلك خلال الفترة الطويلة من عزلة البلاد .

عودة الحكم الامبراطوري :

تعرضت اليابان لضغوط متزايدة ، في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، لكي تفتح أبوابها للعالم الخارجي . وفي الوقت نفسه ، كان البناء الاجتماعي والسياسي الداخلي الجامد ، الذي وضعه « إياسو » ، قد بدأ يتأثر بضغوط التطور العصري .

وفي عام ١٨٥٣ وصل الى خليج طوكيو الكومودور الأمريكي ماثيو بيري ، مع اسطول من أربع سفن . ثم عاد الى اليابان في العام التالي حيث نجح في اقناع اليابانيين بتوقيع معاهدة صداقة مع بلاده . وتبع ذلك عقد معاهدات مماثلة مع روسيا ، وبريطانيا العظمى ، وهولندا في نفس السنة ، وهكذا انفتحت اليابان مرة أخرى على العالم الخارجي .

وقد أدت هذه الأحداث الى تزايد ضغوط التيارات الاجتماعية والسياسية التي كانت تقوض دعائم النظام الاقطاعي . وشهدت البلاد فترة من اضطراب الحكم استغرقت نحو عشر سنوات الى أن انهار النظام الاقطاعي لحكم توكوجا شوجونيت في عام ١٨٦٧ . وعادت السيادة الكاملة للامبراطور مع بداية عهد الاصلاح في عام ١٨٦٨ .

العصر الحديث :

يمثل عهد ميجي (١٨٦٨ - ١٩١٢) عصرا من أروع العصور في تاريخ العالم . فقد أخذت اليابان على عاتقها ، تحت حكم الامبراطور ميجي ، أن تحقق في بضع عشرات من السنين ما اقتضى تحقيقه مئات السنين في الغرب ، ألا وهو خلق أمة عصرية ذات صناعات ومؤسسات حديثة وتهدف الى تأسيس مجتمع عصري .

وانتقلت العاصمة في كيوتو الى ايدو مقر الحكومة الاقطاعية السابقة . وأطلق عليها اسم طوكيو أي « العاصمة الشرقية » .

وكان عهد الاصلاح الميجي كانفجار سد كانت تتجمع وراءه طاقات القرون السابقة . وقبل نهاية القرن التاسع عشر ، خاضت اليابان الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤ - ١٨٩٥) ، ثم الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) . وخرجت منتصرة في الحربين ، وكان من آثارهما الرئيسية أن استعادت اليابان منطقة جنوب سيخالين التي كانت قد تنازلت عنها لروسيا في عام ١٨٧٥ مقابل جزر كوريل ، وحصلت على فورموزا وكوريا ، وكسبت بعض المصالح الخاصة في منشوريا .

وخرجت اليابان من الحرب العالمية الأولى معترفا بها كواحدة من القوى العالمية الكبرى .

وخلف الامبراطور ميجي الامبراطور تايشو ، وفي عام ١٩٢٦ خلفه الامبراطور الحالى هيروهيتو وبدأ بذلك العهد الراهن المعروف باسم شووا .

يابان جديدة :

وفي سبتمبر ١٩٥١ ، آى بعد ست سنوات من الحرب التى مزقتها واستنفدت قواها وقبولها شروط الاستسلام ، وقعت اليابان فى سان فرانسيسكو معاهدة الصلح مع ٤٨ دولة ، واستعادت سيادتها واستقلالها فى ابريل ١٩٥٢ .

واتسمت السنوات التالية بقدر من النمو والتطور ، وتجاوز معدل نمو الناتج القومى معدل النمو فى دول الغرب الصناعية الأكثر تقدما . وانهارت كثير من الأنماط القدية الاجتماعية فى المدن والقرى . وأصبح السكان أكثر وعيا بالتنوع الذى تعرضه أساليب الحياة العصرية .

وتعتبر اليابان اليوم متحفا لمختلف الفنون ومصنعا لشتى السلع ومركزا للاشعاع الفكرى والثقافى والابداع الحضارى . تجمع بين الماضى الحريق والجديد الممتع ، تصوغه الأنامل الرقيقة المبدعة . الكز فى عمن دؤوب وتقانى فى الاتقان وكأنه عبادة . وكنا نسير فى الشوارع أثناء النهار فنجد لها خاوية ، فكل فى عمله ، وعند الساعة السادسة نلتقى بهم عائدين فى وسائل المواصلات يغالب معظمهم النعاس .

عادات وتقاليده :

لا يزال المجتمع اليابانى مجتمع عادات وتقاليده لا يسمح المجال هنا ، الا بذكر القليل منها على سبيل المثال :

★ فى اليومين الثالث والرابع من شهر فبراير يشتري الناس حبوب الفاصوليا الجافة ، ويشتركون معا فى القائها داخل الحجرات وهم يصيحون (اخرج أيها الشيطان وادخل أيها الحظ السعيد) ، وإبقاء على الحظ السعيد لا يكتسبون الحجرات فى هذين اليومين .

★ فى الخامس من مايو يعلق أفراد الأسرة التى لها أولاد ثلاث قطع طويلة من القماش الملون تمثل سمك السلمون الكبير مرفوعا على سارية فوق البيت . والاعتقاد السائد هو أن ذكر السلمون يسبح فوق الشلال متحديا العقبات ، وعلى غرار السلمون يتمنى الأهل أن ينمو الفتى ويرتفع الى العلا قاهرا كل الصعاب .

★ في منتصف أغسطس يحتفلون على مدى ثلاثة أيام متوالية بمهرجان المصاييح ، حيث يشعلون المصاييح ليلا لأن البوذي يعتقد أن أرواح موتاه تعود الى الأرض في هذه الفترة ، ويقوم الناس بزيارة أضرحة ذويهم ترحيبا بأرواح الموتى وفي اليوم الأخير يشيعون الأرواح وهي عادة .

★ جبل فوجي الذي ينظر اليه بشيء من القداسة ، يحاول كل ياباني أن يصل الى قمته مرة في العمر على الأقل .

★ تروى الأسطورة أن جميع القديسين يجتمعون مرة واحدة خلال شهر أكتوبر من كل عام في معبد « ايزومو » في محافظة « شيماني » من أجل الترتيب لزواج الصبية والبنات . لذا يحرص الطامحون في الزواج على زيارة المعبد المذكور في تلك المناسبة .

★ يصطاد اليابانيون ويأكلون مائة وخمسين نوعا مختلفا من الأسماك .
★ الحدائق التقليدية اليابانية هي على عشرين نمطا ، وتتخلل الحديقة عادة جسور وقنوات مياه جارية وأحجار ذات أشكال غريبة بما أشبه بصورة أو رسم فني رفيع . فهناك حدائق التلال وبها البرك الصغيرة وعناصر أخرى مثل الحصى ، وهناك الحدائق المنبسطة ، وحدائق الشاي .

★ ومما هو متبع أن يرث الابن الأكبر ويعد نفسه للاضطلاع بنفس مهنة والده أو حرفته . ولهذا تلقى كل عائلة أهمية كبيرة على تربية النشء لمواصلة المسيرة سواء في الشركة أو المصنع أو المزرعة .

المرأة :

واليابانية مثقفة ومهذبة تحب العلم والتعليم ، وهي زوجة مثالية تدرك أن نجاح زوجها رهن بتقدم شركته أو المؤسسة التي يعمل فيها . فتخلق له جوا ملائما للراحة الفكرية والشعور بالسعادة البيتية . وهي انسانية متفانية في طاعة والدها وخدمة زوجها ورعاية ابنها ، وعليه يجد آدم اليابان تربة خصبة مفروشة بزهور المحبة والايناس ، والطمانينة ، التي تدفعه الى العمل والسعي الحثيث بجهد وتضحية واثقان .

الدين :

كان للبوذية تأثير قوى على العقلية اليابانية فى النواحي التاريخية والسياسية والثقافية . وقد نشأ نظام الـ « دانكا » الذى يقوم فيه المريدون من أى مذهب بصيانة وتمويل المعبد الذى يقع فى منطقتهم .

وتتنمى البوذية اليابانية الى بوذية ماهايانا (المسيرة العظمى) فى آسيا الشرقية ، وهى تبشر عموماً بالخلاص فى الفردوس لكل فرد عوض عن الهدف الى الكمال لذات كل واحد بمفرده ، وتمتد جذور جميع طوائف البوذية التى تزيد عن المائة الى فروع البوذية الرئيسية السبعة الأولى .

أما الشنتو فهى عقيدة يابانية محلية تأصلت فى الاعتقاد بالطبيعة وبأن الروح هى المبدأ المنظم للكون بين اليابانيين البدائيين الذين وجدوا الألوهية فى جميع ظواهر الطبيعة ، وكذلك فى أرواح الموتى . وأصبحت الشنتو تقدس الأبطال والقادة البارزين وتؤله الأسرة الامبراطورية . ويوجد فى اليابان حوالى ٨١ر٠٠٠ ضريح شينتوى . ويميل اليابانيون الى اعتناق أكثر من عقيدة دينية فى وقت واحد . وتمارس الطقوس الشينتوية عادة فى الاحتفال بال ميلاد والزواج ، بينما تقام المراسم البوذية فى الجنازات ، وفى احياء الذكرى السنوية للموتى .

ومن بين أتباع الديانات الأخرى يبلغ عدد المسيحيين ما لا يزيد على ٢ مليون والمسلمين حوالى ٥٠ر٠٠٠ ويوجد مسجد واحد فى طوكيو ، وآخر فى كوبى جنوب اليابان . وقد دخل الاسلام الى هناك عن طريق الصين ، وطبعت معانى القرآن الكريم باللغة اليابانية .

المسرح :

هناك ثلاثة أشكال رئيسية للدراما الكلاسيكية اليابانية وهى « نو » و « بونراكو » و « كابوكى » . وتعتبر « نو » أقدمها عندما أخذت الطقوس والرقصات الدينية القديمة تتكامل وتتطور فى أواخر القرن الرابع عشر على يد « كانامى » و « زيامى » . وفيها يقوم الممثل الرئيسى الذى يرتدى قناعاً ، بالرقص بمصاحبة الغناء والموسيقى .

أما « بونراكو » فهو شكل راق متطور من أشكال مسرح العرائس ، وفيه عرائس كبيرة تقوم بأدوار المسرحية ، وكل عروسة يقوم بتحريكها

ثلاثة من الرجال ويشترك في أداء هذه المسرحيات أيضا الرواة « تاو » وعازفو آلة ال « شاميسين » .

أما « كابوكي » فتأخذ الكثير من « نو » و « بونراكو » ومن الفنون المسرحية القديمة الأخرى . وقد تطورت الى شكلها الحالي في أواخر القرن السابع عشر . وكان تقديمها في أول الأمر يقتصر على الممثلات وحدهن ، ثم انضم اليهن الشبان فيما بعد الى أن تبلورت الكابوكي في شكلها الحالي حيث يقوم الرجال بأدائها ، مما أدى الى ظهور رجال تخصصوا في القيام بأدوار النساء . ومعظم مسرحيات الكابوكي كانت قد كتبت أصلا لمسرح العرائس .

ويقدم المسرح الياباني بالإضافة الى التراث الدرامي الكلاسيكي الغنى ، أنواع الدراما الحديثة بالأسلوب الغربي . وقد نشأ في أواخر القرن التاسع عشر لون درامي جديد عرف باسم « شيمبا » يعتبر بمثابة جسر بين التراث القديم والدراما الحديثة .

ومنذ حوالي ٨٠ عاما بدأت تظهر فرق تمثيلية لتقديم الدراما بالأسلوب الغربي ، لمشاهير الكتاب مثل شكسبير ، الى الروايات الحديثة لكتاب المسرح المعاصرين من يابانيين وأجانب .

اللغة اليابانية :

لا تعرف على وجه التأكيد أصول اللغة اليابانية . ودلت الأبحاث على وجود بعض التشابه بين اللغة اليابانية ولغات الجزر البولينية ، ولكن ليست هناك شواهد كافية لتقرر أنها من أصل بولينيزي .

وخلال القرن الثالث الميلادي دخلت الفلسفة والآداب الصينية الى اليابان (تداولت الأجيال ، قبل ذلك ، شفويا الأساطير الوطنية والحكايات والقصائد) . وبعد أن تعلم اليابانيون القراءة والكتابة باللغة الصينية ، بدأوا يقومون بتجارب على الحروف الصينية التي استخدموها لقيمتها . وأمكن بالتدريج تطوير نظام كتابة ياباني مبني على الحروف الصينية أصلا . ولما كانت الصين ذات تاريخ ثقافي حضاري أقدم بكثير من تاريخ اليابان ، فقد أخذت الأخيرة الكثير من الكلمات الصينية وضمتها الى مفرداتها .

وترتب حروف اللغة اليابانية ، مثل الصينية ، اما في أعمدة ،
وتكتب من أعلى الى أسفل ، أو من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى
اليمين . ونجحت أخيرا حركة تبسيط نظام الكتابة في ١٩٤٧ عندما أصدر
وزير التربية الياباني تغيرات هامة . وبسطة كثير من الحروف ، وقل
عددها من أكثر من أربعة آلاف الى أقل من ألفين للاستخدام في الصحف ،
والمجلات .

واستجابة لانتعاش اللغة اليابانية المتزايدة في الخارج والاقبال على
تعلمها ، تقوم اليابان حاليا بإنشاء مركز لدراسة اللغة اليابانية في مدينة
أوراوا بمقاطعة سايتاما ، على أن يبدأ عمله في ١٩٩٠ ، حيث سيقدم
المساعدات لتدريس وتعلم اللغة اليابانية .

الادب :

بلغ عدد الكتب الأدبية التي نشرت في اليابان عام ١٩٨٥ :
٨٤٢٩ كتابا محققة نسبة ٢٨٪ من اجمالي الكتب التي نشرت طوال
السنة ، وهذه النسبة هي أكبر نسبة يحققها نوع واحد من أنواع
الكتب . وتختص ثمانى مجلات رئيسية شهرية بالادب . ويبلغ عدد
الجوائز الأدبية الكبرى التي تمنح بانتظام في مجالات الشعر والرواية
والمرح والتعليق والمقال ٢٧ جائزة . وأشهر هذه الجوائز جائزة
« آكوتاجاوا » وجائزة « ناوكى » اللتين توصل احدي دور النشر الكبرى
منحهما منذ عام ١٩٣٥ .

وتعود بدايات الادب الياباني الى عصر ما قبل ظهور الكتابة في
اليابان ، وبدأ تسجيله كتابة نقلا عن حافظيه في أوائل القرن الثامن
الميلادي . وقد جمع في كتابين ، الأول هو « كوجيكى » (سجل الأحداث
القديمة) ويرجع تاريخه الى عام ٧١٢ . والثاني هو « مانىوشو » وهو
مجموعة من الأشعار نظمها شعراء عديدون في كل مناحى الحياة ، وتم جمعه
حوالى سنة ٧٧٠ . وظهر في تلك الفترة أيضا شكل من أشكال الشعر
يحتوى على ٣١ مقطعا (٥ - ٧ - ٥ - ٧ - ٧) ويعرف باسم « تانكا » .
وفى عام ٩٠٥ نشر كتاب « كوكينشو » وهو مجموعة من الشعر القديم
والحديث ، وكان أول كتاب يأمر بوضعه أحد أباطرة اليابان .

وقد لعبت نساء البلاط الدور الرئيسى فى تطور الأدب فى عهد الثقافة الارستقراطية والبلذخ الذى ازدهر فى أوائل القرن الحادى عشر . ومن بين سيدات البلاط اللاتى اشتهرت « شيكيبو موراساكي » التى كتبت « جينجى مونوجاتارى » (قصة الجينجى) من ٥٤ جزءا . و « شوناجون سيبى » التى كتبت « ماكورا نوسوشى » (كتاب الوسادة) وهو مجموعة من المقالات . وفى حوالى عام ١١٠٠ أضاف ظهور كتاب « كونجاكو مونوجاتارى » (قصص من الماضى والحاضر) بعدا جديدا للأدب . وهذه المجموعة التى تضم أكثر من ألف قصة بوذية من الصين والهند واليابان تتميز بروعة وصفها لحياة النبلاء وعامة الشعب .

وفى النصف الثانى من القرن الثانى عشر تمكنت عشيرة « تايرا » من الاستيلاء على السلطة فى القصر الامبراطورى ، واستطاعت أن تكون طبقة ارستقراطية جديدة . وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر اكتمل كتاب « هيكي مونوجاتارى » (قصة هيكي) وهو يصف قصة صعود عشيرة « تايرا » الى المجد ثم انكسارها بعد ذلك ، مركزا على حروب هذه العشيرة مع عشيرة الزعيم « ميناموتو » (جينجى) . والكتاب ملحمة كبيرة تقوم على الأخلاق البوذية وتمتلىء بالأسى للأبطال الذين سقطوا ، وتمتلىء أيضا بالوصف الحى لمختلف الشخصيات ومواقف المعارك المؤثرة . وكانت هذه الملحمة تروى فى الماضى على أنغام العود اليابانى « البيوا » ، لهؤلاء الذين لم يتمكنوا من القراءة ، فكانوا يذرفون الدموع اذا ما استمعوا اليها . وظلت هذه الحكاية التى تصور الشجاعة والكرب ولعدة أجيال تؤثر تأثيرا عظيما على الروح اليابانية .

وفى عام ١٢٠٥ قام « تيكافوجيوارا » بجمع كتاب « شين كوكين واكاشو » (المجموعة الجديدة للشعر القديم والحديث) ، وهى مجموعة شعرية لمتابعة الجمال الكامل الذى يبتعد كل البعد عن الواقع الدنيوى الذى يضطرم بالصراع بين العشائر .

أما كتاب « تايهيكى » الذى يصف فترة ٥٠ عاما من الصراع على السلطة بين اثنين من الأباطرة ، فيعد سجلا هاما للتاريخ (من ١٣١٨ الى ١٣٦٧) . وقد شهد القرن الرابع عشر أيضا أدب العزلة ويتمثل فى كتاب « تسوريزوريغوسا » (مقالات فى الاسترخاء) وهو عمل يمتاز بتأمل ثاقب للحياة ، كما يتمثل فى كتاب « هوجوكى » (قصة الكوخ الذى أعيش فيه) الذى كتبه « تشومى كامو » وفيه يتناول فكرة عدم دوام الحياة . وكل من هذين الكتابين يثير مشكلة الخلاص الروحى للانسان . أما مسرحيات نو التى بلغ بها « كانامى » وابنه « زيامى »

حد الكمال الأدبي في ذات قيم أدبية كبيرة ، وكتاب « كادينشو »
لزيامي يعتبر دراسة رائعة عن فن المسرح .

وفي حوائى ذلك الوقت انتشر الأدب وانتشرت شعبية ال « رينجا »
بين الناس يستمتعون بها في أوقات فراغهم . وهى عبارة عن مباراة
المربط بين أبيات من الشعر لتكون قصيدة طويلة . وقد أدى هذا الانتشار
الى ظهور ما يعرف باسم « هايكو » ، وهى أشعار من ثلاثة أبيات ذات
١٧ مقطع (٥ - ٧ - ٥) كقالب جديد للقصائد . وهو تجسيد للرشاقة
والبساطة والهدوء .

وفي أواخر القرن السابع عشر ظهر عملاقان في مجال النثر هما
« سايكاكو ايهارا » الذى كان واقفيا فى وصفه لحياة التجار فى أوساكا ،
والذى غالبا ما يقارن ببلزاك و « مونزايمون تشيكاماتسو » الذى كتب
مسرحيات للعرائس والكابوكي ويسمى أحيانا شكسبير اليابان . وبعد
ذلك ظهر « بوسون يوسانو » ليكتب شعر « هايكو » الرائع يصف فيه
جمال الطبيعة . وظهر « آكينارى أويدا » الذى كتب مجموعة من قصص
الرعب تحت عنوان « أوجيتسو مونوجاتارى » (قصص عن ضوء القمر
والأمطار) .

وفي عهد ال « مييجى » (١٨٦٨ - ١٩١٢) كتب « شيمى
هوتاباتى » رواية « أوكيجومو » (السحب السابعة) ليلتلفها النقاد
مرحين بها كشكل جديد للرواية اليابانية . وفى دوائر الشعر أدى
تأثير القصائد الأجنبية المترجمة الى ظهور حركة « الأسلوب الجديد » فى
الشعر ، بينما أخذت أشكال الأدب تتنوع وتزداد . وتعكس أعمال
الروائيين « أوجاى موري » و « سوسيكى ناتسومي » تأثيرهما بالأدبين
الألماني والانجليزى على التوالى . وذلك بعد قدومهما من بعثتهما . وتعهد
« ناتسومي » أثناء خدمته كاستاذ للأدب بجامعة طوكيو برعايته العديد
من الشخصيات الأدبية الموهوبة . ومن بين هذه الشخصيات
« رايونوسوكى اكاتاجاوا » الذى كتب الكثير من الروايات والقصص
القصيرة معتمدا على معرفته الدقيقة بالأعمال الكلاسيكية اليابانية . وكان
انتحار « اكاتاجاوا » رمزا للعذاب الذى كانت اليابان تعانىه عبر مراحل
انتقالها السريع الى العصر الحديث ، هذا العذاب الذى يشكل موضوعا
رئيسيا للأدب اليابانى الحديث .

لقد سيطرت الطبيعة والواقعية التى دعا اليها اميل زولا على دنيا
الأدب اليابانى خلال السنوات العشر الأولى من القرن العشرين . ويمثل

هذه المدرسة فى اليابان « توسون شيمازاكي » وتشتهر بالرواية الذاتية التى تروى على لسان البطل . وقد لاقى هذا النوع من الرواية نجاحا كبيرا فى اليابان .

وعرفت اليابان قبل الحرب العالمية الثانية عددا من التيارات الادبية مثل الأدب العمالى والأدب الحسى الجديد . وماتت هذه التيارات أثناء الحرب ثم عادت لتحيا بعد ذلك من جديد لتشهد ميلاد الكثير من الأعمال الأدبية .

ومنذ الحرب ، تم تقديم عدد متزايد من الأعمال اليابانية فى الخارج ، وترجمت معظمها الى الانجليزية ، وأصبحت هذه الأعمال تقرأ الآن على نطاق واسع .

وفى عام ١٩٦٨ منح « ياسونارى كاواباتا » جائزة نوبل للأدب . وترجمت أعماله مثل « يوكيجونى » (بلاد الجليد) و (كيوتو) و « سنبازورو » (الألف كركى) . كما ترجمت الكثير من أعمال الكتاب المعاصرين مثل : « يوكيو ميشيما » و « كوبو أبى » و « كينزابورو اوى » . وهكذا أخذ الأدب اليابانى يجذب عددا متزايدا من القراء ، ويساعد فى تنمية الأذواق الأدبية فى أنحاء العالم .

معالم فى الطريق :

من الجدير بالانتباه السرعة التى ازدهر بها الأدب اليابانى بعد تطور نظام الكتابة ، وغناه فى تنوع القوالب الأدبية ، وحيويته المستمرة ، والتطور المتشعب تحت نفوذ الأدب الغربى . ونقدم هنا بعض المعالم البارزة فى طريق الأدب اليابانى عليها توضح لنا صورة التكوين العام لهذا الأدب :

★ كوجيكى (سجل الأحداث القديمة) .

أقدم الكتب باليابانية ويشتمل على أساطير وقصص وقصائد عتيقة حول خلق العالم ، وأصول اليابان وأحداثها التاريخية ، ولو أنه من الصعب أن نفرق بين الأسطورة والواقع . وقد شجع على كتابته الامبراطور تيمو ، وتم سنة ٧١٢ بعد وفاته .

★ المانيوشو • ومعناها الحرفى : مجموعة من عشرة آلاف بيت من الشعر •

نظم هذه القصائد ما يقرب من مائتين وستين شاعرا ، يمثلون مختلف الطبقات الاجتماعية على امتداد أربعمئة سنة ، تبدأ من القرن الرابع وتنتهى حوالى منتصف القرن الثامن وتتنوع فيها الموضوعات والأساليب ويسود فيها التعبير بنغمة مباشرة فجة •

★ سانجوشيكى (ارشادات فى المذهب الثلاثة) •

يتحدث عن الديانات الثلاث : الكونفوشيوسية ، والتاوية ، والبوذية التى يعتبرها أعظم الديانات وأكثرها عمقا • وكاتبه هو الراهب المشهور « كوكاي » (٧٧٤ – ٨٣٥) الذى يعرف باسم المعلم العظيم ومؤسس مذهب شينجون البوذى فى اليابان •

★ تاكيتورى مونوجاتارى (قصة قاطع الخيزران) •

من أقدم قصص السلف النثرية • قصة الأميرة (كاكويا) التى عثر عليها قاطع الخيزران العجوز – وعندما كبرت ونضج جمالها ، أقبل من يخطب يدها ، لكنها وضعت شروطا يصعب تحقيقها ، وفشل الرجال جميعا ، وذات ليلة اكتمل فيها القمر ، وعادت الى مملكة القمر •

ومثل هذا موضوع شائع ومألوف فى قصص ألف ليلة وليلة وفى أندرسن ، والاخوة جريم ، وبيرولت الا أن فى هذه القصص ترضى عادة الفتاة القادمة من عالم ما وراء الأرض أن تصبح انसानة زائلة فى سبيل الحب . وتتنكر لقدرها الأعلى • ويتساءل الناقد الفرنسى جاك بيزو ، « ألا يمكن أن يكون هذا انعكاسا للتشاؤم اليابانى ؟ ان مصير الانسان مصير تعس • لا تجد فيه امرأة من عالم آخر أية جاذبية • ترى الآن الحب فى اليابان ليس قويا الى هذا الحد ؟ • أو لأن الحب ليس كونيا وأن المخلوقات الغامضة من العالم الآخر لا تستطيع أن تمارسه » •

★ ماكورا نوسوشي (كتاب الوسادة) •

للكاتبة شوناجون سيبى (٩٦٦٥ - ١٠٢٠ تقريبا) . وهي تنحدر من أسرة أرستقراطية مثقفة ، وقد اكتسبت عطف الامبراطورة بسبب قدرتها الأدبية •

وكان كتاب الوسادة بشيرا لشكل أدبي ياباني أصيل معروف باسم زوييهيتسو (كتابات عارضة) أو (مذكرات عابرة) استمر حتى الوقت الحاضر ويحتوى على بعض من أروع الأعمال ذات القيمة العالية فى أدب هذه البلاد •

★ جنجى مونوجاتارى (حكاية جنجى) •

أول رواية كاملة ، ومن أعظم روائع الأدب الياباني الكلاسيكى • تقع أحداث الفصول الاحدى والأربعين الأولى فى الحلفية المبهرة لبلاط هيآن وتصور حياة هيكارو جنجى الأمير اللامع ذى الوسامة والكمال اللذين لا يباريه فيهما أحد • ويتابع هذا الجزء من الكتاب علاقاته الغرامية المتعددة وانجازاته التى لم يسبق لها مثيل • ولكنه يسجل أيضا أحداث حياته التالية المحزنة وسنوات عمره الأخيرة المضطربة بعد سقوطه من عليائه • والفصول الثلاثة عشر الأخيرة من الرواية تقع فى جو مختلف تماما يصبح فيها ابن جنجى الشخصية الرئيسية ، ويصبح الموضوع البارز هو الصراع بين العواطف الانسانية ، والبحث عن الحقيقة •

والمؤلفة ، شيكيبو موراساكى (٩٧٨ - ١٠١٤ تقريبا) إحدى أفراد عشيرة فوجيوارا القوية ، وعملت بالبلاط بعد وفاة زوجها •

★ كونجاكو مونوجاتارى (حكايات أحقاب سالفة) •

هى أكبر مجموعة من أساطير اليابان فى العصور الوسطى جمعت خلال القرن الثانى عشر • عددها ١٠٦٥ أسطورة من مصادر التراث الهندية والصينية واليابانية • وقد جمعت أصلا كحكايات توضح التعاليم البوذية • والجزء الياباني يتناول كل طبقة فى المجتمع من الأباطرة

والأرستقراطيين إلى اللصوص والشحاذين • رأى آكوتاجاوا فيها نصارة وعبر بأنه كلما فتح كتاب • كونجاكو • بدا له أنه يسمع الناس الذين عاشوا في تلك الأيام يرسلون صرخات الحزن والمرح •

★ هايكى مونوجاتاري (حكايات الهايكي) •

لا بد لمن يرتفع أن يسقط • حتى الجبار يسقط • والمتكبرون أيضا لن يبقوا طويلا • • فكرة الزوال البوذية وهي النعمة التي يسمع صدها من أول فقرة في هذا الكتاب ، الذي يعد من الروائع التي تمثل التسجيلات العسكرية العديدة التي كتبت في الفترة التالية للسنوات المضطربة من الحروب الأهلية في اليابان في العصور الوسطى • انها صورة حية لعشيرة الهايكي من قمة قوتهم إلى أن هزمتهم أخيرا عشيرة الجينجي • ولذلك كان وصف مسارح المواقع الحربية كثيرا وبرؤية واضحة • وكتب العمل كله شعرا • • يسرد الحكايات البطولية التي تفيض حزنا • وكان يتلوها كثير من المغنيين العميان وهم يعزفون على آلة وترية تسمى « بيوا » آلة العود الياباني • وكان المشاهدون ينصتون بانتباه ويذرفون دموعا غزيرة • وقد كان أثر هذا العمل على وجدان الأجيال التالية من اليابانيين عظيما جدا •

★ تانيشو (مقتطفات من شينران) •

مجموعة من أقوال شينران (١١٧٣ - ١٢٦٢) منشئ مذهب الأرض الطاهرة ، الذي يضم اليوم أكبر عدد من أتباع البوذية في اليابان • كتبها يوثين ، تلميذ شينران ، وبعد وفاته • وفي أوقات الحروب المضطربة ، كان الناس يتطلعون إلى راحة النفس ، وقد جذبهم هذا الأسلوب الجديد من الإيمان •

ويضم الكتاب تعاليم شينران في سنواته الأخيرة • وبفضل أسلوب يوثين الحماسي أصبح عملا أدبيا رائعا • ولقد جذب هذا الكتاب الاهتمام

الشديد بسبب الطريقة التي سار بها منطقته . والنص التالى يعتبر نقطة جدل : « اذا كان الصالحون سيولدون ثانية فى الأرض الطاهرة ، فكم سيولد بها من الأشرار ؟ » . لأن الأشرار قد حرموا من قدرة الحصول على الخلاص بأنفسهم ، لذلك كانوا بالأولى موضوع اهتمام الاله العظيم .

★ تسوريزور يچوسا (مقالات فى الاسترخاء) .

كتبه كينكو يوشيدا (١٢٨٣ - ١٣٥٣ تقريبا) الذى ولد فى عائلة من كهنة الشنتو ، وحظى بالتعليم والثقافة السائدين فى الطبقة الأرستقراطية ، ثم أصبح راهبا بوذيا يعيش حياة العزلة . ويعبر فيه عن آرائه فى الحياة والحب والطبيعة ، وعن حالته العقلية فى الحلوة والاسترخاء . وهكذا كتبته وفق تداع حر للأفكار . وهذا الأسلوب فى الكتابة ينتمى الى نوع من الأدب اليابانى معروف باسم زوييتسو وهو مألوف حتى اليوم عند أدباء يابانيين كثيرين .

ان أسلوب كينكو مشهور للغاية ، ولعل تأثيره على الكتابة اليابانية ، فيما بعد ، كان ذا أهمية قصوى ، كتأثيره على المثاليات الجمالية والسلوكية عبر الأجيال المتلاحقة . ذلك لأن أسلوبه أصبح جزءا من تعليم كل طفل يابانى وجزءا من النظرة الثقافية لليابانى العادى . وزايمه البوذى بأن كل شىء زائل يعتبر شيئا مألوفا بالنسبة لليابانى المعاصر .

★ سوجا مونوجاتارى (حكاية الأخوين سوجا) .

وهى قصة بطولية يرجع تاريخها الى العصور الوسطى ، وتحكى عن الانتقام الذى قام به الأخوان سوجا من عدو أبيهما فى أسفل جبل فوجى ، بعد أن قاسيا من المتاعب خلال نيف وثمانية عشر عاما . والكاتب غير معروف الا أن النقاد يفترضون أنه كاهن بوذى ، ثم توارثتها الأجيال المتعاقبة . وكانت تقوم بترتيبها نساء ضريرات ، فانتشرت بين عامة الناس . وقد أضيفت للقصة تراويل « نو » ورقصات العصور الوسطى والدراما الشعبية ومسرحيات « كابوكى » فى القرون اللاحقة . فهى قصة

مأسوية لمن لا حول لهم من الناس الضعفاء الذين يقاسون بامتثال ، حتى يحققوا أهدافهم ويموتون في سبيلها ٠٠٠ وكانت دائما تجتذب اليابانيين بشدة .

★ أعمال « نو » ل : زيامى

« نو » هو أحد الأشكال المسرحية التي تنفرد بها اليابان ، وتأخذ أصولها من مصدرين . فهو من ناحية يعتبر تطورا للمحاكاة والألعاب البهلوانية الصينية ابان حكم عائلة تانج ، ومن ناحية أخرى يعتبر امتدادا للرقصات التي تؤديها المجتمعات الزراعية لتتضرع للآلهة أن تهبهم محصولا وفيرا . والرجل الذي جمع بين أحسن خصائص المصدرين وابتدع الشكل الأصلي لمسرح « النو » كما يقدم اليوم هو كانامى . وجاء ابنه زيامى وارتفع بالشكل الجديد الى درجة الكمال .

وبالإضافة الى أن زيامى (١٣٦٢ تقريبا - ١٤٤٣) كان من كتاب مسرح « نو » البارزين ، فإنه كان أيضا ممثلا ومخرجا متكاملا ، وقد ترك كتابات نثرية مدهشة في النقد الأدبي وتطويره لنظرية « نو » . والمثل الجمالية التي عبر عنها في هذه الكتابات وضمناها بالحقائق المسرحية والحيوية الفنية التي تزيد كثيرا عما هو مطلوب من رجل المسرح المثالي .

★ تاوى زوشي (مجموعة أغاني مزارعى الأرض) .

ويقال أنها جمعت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . ومن المعروف ان الأرض يعتبر غذاء أساسيا لليابانيين ، ولذلك تعتبر زراعته أهم أحداث السنة في ربوع القرى الزراعية . وبجانب كونه عملا يتطلب تعاون كل أهل القرية ، فإنه كان يتم في أطار احتفالات دينية ، تقام فيها الصلوات من أجل وفرة المحصول . وتعتبر أغاني زراعة الأرض نوعا من أغاني العمل ، كما تعتبر في الوقت نفسه أغاني للاحتفالات الدينية .

★ سايكاكو ايهارا (١٦٤٢ - ١٦٩٣) •

عرف بأنه أعظم كاتب قصة في عصر الايدو • ولد في أسرة من التجار ، وبدأ يكتب كشاعر هايكو ذى انتاج غزير ، وبعد أن وصل الى الأربعين من عمره تحول الى كتابة الرواية • ويمكن تقسيم أعماله الروائية الى ثلاثة أنواع : كتب الحب والجنس ، وتتناول الأحاسيس الانسانية ، وكتب تأخذ موضوعاتها من الساموراي ، بقانونهم الأخلاقي الخاص ، وكتب عن سكان المدن تتناول التجار ، والحرفيين في المدن ، والى جانب هذه الكتب ، هناك مجموعة من الأساطير تقوم على المأثورات المحلية مثل (حكايات من أقاليم عديدة) وشكلها الأدبي هو (الرواية القصيرة) التي ظهرت في ايطاليا في عصر النهضة كما في « ديكاميون » لبوكاشيو • وكتب سايكاكو في مقدمة هذا الكتاب « هناك ظواهر غريبة عديدة في هذه الدنيا ، وليس هناك أغرب من الانسان نفسه ! » • ويحظى سايكاكو بتقدير عظيم حتى اليوم ككاتب روائي مرموق ، بسبب دقة ملاحظته للمجتمع الذي عاش فيه وتصويره الحي لحقائق الحياة الانسانية •

★ ماتسو باشو (١٦٤٤ - ١٦٩٤) •

هو شاعر الهايكو الياباني المبرز ، وحيث أن أشعار الهايكو التي كتبها تظهر باستمرار في الكتب المقررة بالمدارس ، فانه لا يكاد يوجد ياباني لا يعرف شعر الهايكو لباشو • وقد كتب خمسة كتب من يوميات الرحلات ، ومن بينها تعتبر (طرقات البلاد الداخلية الضيقة) التي كتبها في نهاية حياته ، من أحسن أعماله • لقد عاش للترحال ، ومات في رحلة ، وقد كانت الحياة نفسها في نظرة رحلة • ولقد جاءت يومياته التي كتبها والشعر الذي ألفه من وحي الطبيعة ، والفصول الأربعة ، كما كانت من وحي آثار التاريخ المرتبط بالطبيعة •

★ مونزايمون تشيكاداسو (١٦٥٣ - ١٧٢٤) •

أول كاتب مسرحي محترف في اليابان من أصل ساموراي وأصبح مؤلفا لمسرح العرائس في كيوتو • وكتب أكثر من مائة مسرحية لمسرح العرائس وأكثر من ثلاثين مسرحية لمسرح الكابوكي • ويمثل مع كاتب

القصة القصيرة المبرز « ايهارا سايكاكو » وشاعر الهايكو العظيم « ماتسور باشو » - اللذين كانا من معاصريه - ثلاثيا عملاقا أسسوا العصر الذهبي للأدب في عهد الايدو .

★ يوسا يوسون (١٧١٦ - ١٧٨٣) .

أحد الأساتذة الكبار في شعر الهايكو - مثل باشو - ولقد أضفى حيوية جديدة على أسلوب الهايكو ويطلق عليه شاعر الربيع ، لأنه يمتاز في أسلوبه بمهارته في التعبير عن الصور الجمالية ذات الألوان المبهرة . وقد نال الإعجاب والتقدير بسبب روحه الرومانتيكية ، وحقق أحد مثل « باشو » العليا التي لم تكن قد تحققت ، وهي أن الشعر يجب أن يكون لكل انسان .

★ « حكايات ضوء القمر والمطر »

وكانتها « أكيناري أوييدا » (١٧٣٤ - ١٨٠٩) . أفضل ما يمثل قصص الأشباح اليابانية . وقد كتب هذه القصص الغامضة بحبكة مبتكرة متخذة مادة له من الأدب الكلاسيكي . ان الحقيقة السيكولوجية التي تبدو واضحة في صور « أكيناري » ورحمته بأشخاص قصصه تساعد على رفع هذه المجموعة الى مرتبة أعلى من قصص الأشباح العادية . فهي تقدم عالما من الأحلام وصف بأسلوب يفيض بالجمال الشعري الرشيق ، وتمثل إحدى الانجازات الرائعة لأدب عصر الايدو . ولهذه القصص تأثير على الرواية اليابانية الحديثة ، كما يمكن أن نرى في كتابات « كيوكا ايزومي » و « هاروو ساتو » و « يوكيو ميشيما » وآخرين .

فهي مجموعة قصصية مثيرة غامضة وتبعث البرودة في الأوصال ، وتعتبر عملا فنيا جميل الصنعة ، ومن أكثر الأعمال المحيرة في الأدب الياباني . ويقيم « أوييدا » توازنا دقيقا بين الخيال والتاريخ ، وتحوم كل قصصه حول الأحلام والحقيقة ، وتذكرنا بأن التمييز بين الوهم والحقيقة ليس واضحا كما نظن .

وتبين كثير من القصص ما لفوة العاطفة والشجوة من تأثير على الانسان ، فنرى كيف أن روح الامبراطور سوتوكو الحقود تثير حربا أهلية للانقاص من أعدائه . وأن الكاهن العظيم سايجيو يعجز عن أن يقنعه بالعدول . ونرى فلاحا شرها يهجر زوجته المخلصة في سعي عقيم وراء الثروة . ونرى أن الكاهن الذي تحول الى سمكة يستسلم للجوع . ومن ثم يتلغ طعم الصيد . ونرى كيف أن طالبا شابا جميلا تسلب لبه أفعى داعة . ونرى كاهنا بارا يلتهم رفات حبيبته الشابة .

وفي كل قصة نجد أن قوة الفضيلة تقف في مواجهة سفه الانسان وجشعه ، لكن « أوييدا » يدرك أن الفضيلة لا تسيطر دائما على العواطف البشرية . وأن هذا الادراك هو ما يجعل « حكايات ضوء القمر والمطر » عملا انسانيا مؤثرا وفي نفس الوقت مقلقا بعمق .

★ ايتشييو هيجوتشي (١٨٧٢ - ١٨٩٦)

كاتبة ذات قدرة غير عادية ، كانت تكتب الشعر والرواية ، ومنحت جائزة « موري أوجاي » عن روايتها القصيرة « تاكيكورابي » (مقارنة الارتفاعات) . وبسبب عملها الدائب أصابها مرض الرئة ، وماتت في الرابعة والعشرين . وكانت أول من نادى في اليابان بتحرير المرأة ، واحدى العلامات المضيئة في تاريخ الأدب الياباني .

كتبت ايتشييو (الليلة الثالثة عشرة) وهي في الثالثة والعشرين من عمرها وتعبّر فيها عن احتجاجها على استعباد النساء ، وكذلك على طغيان الطبقة الحاكمة وكلاهما كان سائدا في ذاك الوقت .

انها تصوغ المأساة بمهارة وتأثير فني على خلفية من شجر الصفصاف وحشائش البراري المتموجة في ضوء القمر وقت الحصاد .

★ شيكي ماساوكا (١٨٦٧ - ١٩٠٢)

يعتبر واحدا من الشعراء الأربعة العظام في اليابان ، ويقف على قدم المساواة مع باشو ، وبوسون ، وايسا . وأعطى لأشعار الهايكو والتانكا التقليدية حياة جديدة في العصر الحديث . صور أحاسيسه عارية . وقدم شيئا سيكلوجيا معقدا جديدا وأقام علاقة حديثة تماما مع القارئ .

★ أوجاي موري (١٨٦٢ - ١٩٢٢)

عمل كجراح عام بالجيش الياباني ، وكان في نفس الوقت روائيا مرموقا وكاتبا مسرحيا . وناقدا ، ومترجما . ولما عاد من الدراسة في ألمانيا عمل الكثير من أجل تقديم الآداب والجماليات الأوروبية في اليابان . وكان يكتب في نفس الوقت رواياته مثل (الفتاة التي كانت ترقص) و (الحياة الجنسية) كنوع من أنواع المعارضة للآداب الطبيعي الذي كان شائعا في نهاية عهد الميجي .

★ سوسيكي ناتسومي (١٨٦٧ - ١٩١٦)

يعتبر شخصية جذابة عند الغربيين كواحد من كبار المفكرين في عصر الميجي ، وقد جعلته معرفته العميقة بالآداب الكلاسيكية الصينية مع دراساته الواسعة التي قام بها في الآداب الأوروبية وخاصة في الأدب الانجليزي ، واحدا من هؤلاء الأكفاء الممتازين في تقدير قيمة الفكر الغربي وكذا عيوبه .

ومن أشهر رواياته « أنا قطه » و « بوتشان » و « سانشيرو » و « وبعد .. » . وفي الأخيرة يقيم العهد الميجي ، وقد أحس أن اليابان قد بالغت في تقدير الثقافة الغربية ، ويصف المتناقضات والصراع الروحي والمشكلات الكثيرة التي لا حل لها ، وأحزان الانسان الذي اضطر أن يتخلى عن آرائه القديمة ، وان لم يكن شديدا التطلع الى أن يقبل الجديد . هذا وتعتبر دراسة سوسيكي وخاصة رواية « وبعد .. » ضرورية للأجنبي الذي يريد أن يفهم الشعب الياباني .

★ توسون شيمازاكي (١٨٧٢ - ١٩٤٣)

أصبح معروفا كشاعر وهو ما زال شابا يافعا . وقد نشر بعد ذلك كثيرا من الروايات منها « بها كاي » (القيادة المكسورة) . وقد كتب أحسن رواياته (قبل الفجر) في سنة ١٩٢٩ ، وجعل منها توسون رواية تاريخية تصور - بصدق - التغيرات السريعة التي حدثت في اليابان قبل عصر الميجي مباشرة وبعده .

★ جونيتشيرو تانيزاكي (١٨٨٦ - ١٩٦٥)

وقف في اتجاهه الجمالي ونظريته في الأدب « الفن للفن » معارضا للحركة الطبيعية التي كانت سائدة في اليابان . وكتب أعمالا مرموقة مثل « أشيكاري » و (صورة شونكين) و (قطرة) و (شوزو) و (امرأتان) .

وقد بدأ كتابة « الاخوات ماكيوكا » إبان الحرب العالمية الثانية ، وأكملها بعد نهاية الحرب ، وهي رواية طويلة تقدم نموذجا لأسرة يابانية في أوساكا قبل الحرب .

★ دايونوسوكي أكو تاغاوا (١٨٩٢ - ١٩٢٧)

تبنته وهو طفل أسرة « أكو تاغاوا » بعد أن جنت أمه .

وقد تركت فيه هذه التجربة المبكرة ندوبا بقيت طويلا حياته ، وأثرت في طبيعة كتاباته . استقى كثيرا من موضوعات قصصه من الأدب الكلاسيكي .

ولقد سبق لي أن قمت بترجمة بعض قصصه القصيرة في عام ١٩٥٨ ، مثل : (خيط العنكبوت) ، (في الدغل) و (عصيدة اليام) و (راشومون) ، وأذيعت الأخيرة في البرنامج الثاني لإذاعة القاهرة .

وهناك وجوه عديدة للتشابه بينه وبين « ادجار آلان بو » ، وكلاهما كان على درجة كبيرة من الحساسية نحو المؤثرات الحسية ، ومن رأيهما أن الفن هو الذي يقدم القيمة الوحيدة الدائمة في دنيا الشر الزائلة . ولهذا كان الشكل والأسلوب على أهمية كبيرة ، وتفق كل منهما في القصة القصيرة ، وصور الأحوال النفسية ، والرعب ، والحزن ، والكراهية ، واليأس . وهناك تشابهات كثيرة ، مثلا العاطفة المدمرة للفنان « يوشيهيدي » في (صور من الجحيم) حيث يقدم تحفة مضحيا بالنموذج (الموديل) تشبه قصة « بو » (الصورة البيضاوية) ، وكذلك قصة توماس مان « تونيو كروجر » عندما يسيطر الدافع نحو الكمال الفني على الفنان ويجرده من إنسانيته . ولكن عمل أكو تاغاوا أعظم

بكثير . انه الاحساس الكئيب بالذات ذلك الذى مكن هؤلاء الكتاب الثلاثة من التعمق فى مناطق سيكولوجية تخفى - عادة - عن الآخرين .

وقد انتحر بعد خمسة شهور من كتابة رواية « كابسا » ، وهى رواية فكاهية تنتقد المجتمع البشرى ، اسمها مأخوذ من حيوان خيالى يعتقد اليابانيون أنه يعيش على حافة المياه . وتتناول كلها تقريبا عالم مخلوقات من دنيا الخوراق فى الفولكلور اليابانى . والبطل مثل كثير من أبطال « بو » - مجنون جزئيا . ولكنه عاقل لدرجة أن يجعل الخوراق تبدو حقيقية كما فى الحياة اليومية . ولا جدال أن أكو تاجاوا كان على معرفة بكتابات « سويقت » وأن الدخول الى بلاد كابا يتشابه مع (اليس فى بلاد العجائب) . ومع ذلك فتعتبر كابا عملا أصيلا يشهد على قوة خيال « أكو تاجاوا » . قد يكون قد استخدم أفكارا لكتاب غربيين تماما كما استفاد من حكايات الصين واليابان القديمة ، مثل شكسبير والكتاب الآخرين الذين استغلوا تاريخ وآداب الاغريق والرومان ، ولكنه جعل من كل هذا شيئا خاصا به .

ومازال الكتاب - رغم جوانبه السلبية - يقرأ بمتعة ان لم يكن ببهجة ، فمن علامات العبقرية تلك اللمحات الفكاهية اللامعة . وقد منعت الظروف والصحة المعتلة - جسمانيا وعقليا - أكو تاجاوا من أن يكتب الأعمال العظيمة التى تتوقعها من الكتاب الكبار ، ولكن كمال بعض قصصه القصيرة مهد له مكانا بين هؤلاء الذين منحوا موهبة توصيل لمحات من الجمال الخالد من خلال فنهم .

★ ناويا شيجا (١٨٨٣ - ١٩٧١)

كاتب قصة قصيرة بارع ، وكتب رواية واحدة ذات أبعاد واسعة ، استغرق اتمامها ثلثى عمره الطويل .

سمى بأعظم من كتب الكلمة المكتوبة لأسلوبه المثالى ، وقد عبر عن احساسه بالانسانية فى جعل ذات جمال غير عادى تبدو فيها الكلمات كالألء تمتزج فى قطعة من البلور المضىء الساحر .

★ ياسونارى كاواباتا (١٨٩٩ - ١٩٧٢)

منح جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٦٨ ولكنه انتحر بعد ذلك بأربع سنوات لأسباب غير معروفة . ظهرت موهبته كروائى لأول مرة حين نشرت له (راقصة الايزو) سنة ١٩٢٦ . وقد رسخت شهرته بظهور (بلد الجليد) سنة ١٩٣٥ و (الألف كركى) و (صوت الجبل) اللتين كتبهما بعد الحرب العالمية الثانية . فهما تتناولان أحداثا عادية جدا من تلك التى تحدث كل يوم . لكننا نستحوذ بادراك رقيق على الاحساسات الغامضة التى تكمن فى اللا شعور الانسانى مقدما اياها بطريقة عرضية .

★ تتسورو واتسوجى (١٨٨٩ - ١٩٦٠)

كان أستاذا للفلسفة فى جامعة طوكيو . وقام بدراسات فى فلسفة نيتشه وكيركيجارد . ثم تحولت اهتماماته الى دراسة الثقافة اليابانية ، وأصول البوذية والمسيحية ، وحاول على أساس هذه الدراسات أن يشكل نظرة للفكر اليابانى فى المحيط العالمى .

وأفضل أعماله « فودو » (المناخ والثقافة) . وهى دراسة تحليلية للخصائص المناخية المختلفة فى العالم ، حلل فيها العلاقات بين الملامح الطبيعية للأقليم والثقافة التى خلفها الناس الذين يعيشون فيه .

★ ماسوجى ايبوسى (١٨٩٨ -)

تمتد جذوره فى التربة اليابانية الى حد بعيد ، ومن الصعب أن تترجم طريقته الجذابة فى التعبير التى تعتمد على اختيار حاذق للكلمات . فهو كاتب مثقف يخفى تأملاته وخواطره عن سيكولوجية الانسان تحت السطح . بأسلوبه الذى يمزج فيه رقة الفكاهة الحسبة بلمسة من الشجن أشبه بقطرة من خمر تسكر القلوب .

★ شوهي أووكا (١٩٠٩ -)

درس الأدب الفرنسي في سيابيه . وعرف بأبحاثه وترجمته لستاندال .
وقد جند في المدفعية حين نشبت الحرب العالمية الثانية وكان في الخامسة
والثلاثين من عمره . وقد أرسل إلى الفلبين . وحين دحر الجيش قرب
نهاية الحرب قاسى من الجوع . وأسره الجيش الأمريكى . وكانت هذه
التجارب هي لب رواياته فيما بعد . فحين عاد إلى اليابان كتب (أسير
الحرب) و (نيران فوق السيل) . وقد نال كروائى ثناء كبيرا من
النقاد . وأصبحت ملاحظاته الدقيقة للشعور الانسانى ، بالإضافة إلى
أسلوبه الواضح . نبراسا للأدب اليابانى الحديث . وحينما سئل « لماذا
تكتب عن الحرب الآن ؟ » أجاب : « انه واجب كل من بقوا أحياء
بعدها »

★ يوكيو ميشيما (١٩٢٥ - ١٩٧٠)

يتمتع بعبقرية أدبية منذ كان صغيرا . وقد نشر أول مجموعة
قصصية له باسم (الزهور في الغابة) وهو في سن التاسعة عشرة .
وقد تأكدت شهرته ككاتب روائى بعد الحرب العالمية الثانية ، عن طريق
نجاح روايته (اعترافات قناع) القريبة من الترجمة الذاتية ، وتلاها
برواية (ألوان ممنوعة) و (صوت الأمواج) و (معبد السرادق الذهبى) ،
وغيرها . كما برزت موهبته المتميزة النادرة ككاتب مسرحى . ومن بين
مسرحياته الناجحة : مسرحيات (نو الحديثة) ، و (مدام دي ساد) ،
و (صديقنا هتلر) ، وهو من أكثر الكتاب اليابانيين شهرة خارج
اليابان .

وأصبح في سنواته الأخيرة الناطق باسم حركة جمالية قومية .
وعندما أتم آخر أعماله الكبيرة وهي ثلاثية بعنوان (بحر الحصوبة)
اقتحم مركز قيادة قوات الدفاع الذاتى ، وألقى خطبة يحض فيها على
عمل انقلاب . ثم قام بشعائر انتحار عن طريق دفع بطنه على حافة
سيف . مما أثار حوله الاهتمام فى العالم .

★ كوبرو آبي (١٩٢٤ -)

بدأ نشاطه الادبي بعد الحرب العالمية الثانية معبرا عن وجهة نظر وجودية ، ثم اعتنق الشيوعية لفترة قصيرة . والموضوعات التي يعالجها هي مشكلات غربة الانسان في المجتمع الرأسمالي . وأسلوبه مليء بالمعاني الخفية والهجاء . وموضوعاته حقائق يمكن أن توجد عند ناصية أي شارع في العالم المعاصر . وكان هذا من أسباب اكتسابه لشهرته الدولية .

ويقول مترجمه الأمريكي أندرو هورفات أنه :

يكره أن يدعى « كاتباً دولياً » ، أي كاتب يفهمه الأجانب . فهذا يعني أنه تنقصه المميزات اليابانية الخالصة ، التي ليس من المفروض أن يتمكن الأجانب من الوصول إلى أغوارها .

ولا ترجع شعبية « آبي » خارج البلاد إلى جاذبيته النابعة من غرابته . ان رواياته تخلو من أزهار الكرز أو أشجار الخوخ الزاهرة ، بل لعل خلوها من هذه الزخارف اليابانية هو الذي جعل القراء البعيدين يحسون بالانتساب المباشر إلى أبطال « آبي » .

« ومن العوامل التي أسهمت في شعبية « آبي » عند القراء الذين يعيشون في البلاد الصناعية الاتجاه الايجابي للكاتب نحو ألا تكون للمرء جذور . أي أن يكون في موطن غير وطنه » .

ويصف « آبي » في إحدى مقالاته أخطار ما يمكن أن يحدث لو اضطرت الناس باستمرار أن ينتموا إلى جذورهم كما حدث في ألمانيا النازية ، وكانت عدم ثقة « آبي » كاملة في أي فكر يضع على قمته مكان الميلاد أو القرية الأم . ونجد الدليل الايجابي على ذلك في آخر سيرة ذاتية قصيرة كتبها سنة ١٩٦٦ ، يقول :

ولدت في طوكيو ونشأت في منشوريا . وأصل عائلتي في هوكايدو ، حيث عشت بها بضع سنين . بالاختصار كان مولدي ومكان نشأتي ومكان أصل عائلتي ثلاث نقاط مختلفة على الخريطة . ومن الصعب على بفضل ذلك أن أكتب ولو قائمة مختصرة بالتواريخ الهامة في حياتي . المهم أنني رجل ليس لي موطن . هذا ما يمكنني أن أقر به . وقد يكون مرجع احساسى بالهلع من فكرة المواطن الذي يسرى في عواطفه إلى خلفيتي ، إذ يضايقني أي شيء يستمد قيمته من أنه ثابت .

ويقول أندرو هورفات : « لن أنسى تجربتي كمترجم « آبي » حين كان يتحدث الى مخرج أمريكي ساب كان يريد أن يحول إحدى رواياته الى فيلم سينمائي يصوره في اليابان . طلب آبي من المخرج أن يحاول تصوير الفيلم في أى بلد يمكن أن يحصل فيه بسرعة على اعتماد مالى وممثلين ممتازين . »

كان واضحا أن المخرج الشاب لم يفهم ما يومى اليه ، لأنه لم يتصور مناظر الفيلم الا فى البلد الذى كتبت فيه الرواية . وأخيرا أقنع « آبي » المخرج أن الرواية عن البحر والأرض والناس الذين عليهم أن يتغيروا فجأة ليتأقلموا مع بيئة جديدة . وأنه لا فرق فى أن يكون مسرح الأحداث فى طوكيو أو لندن أو سان فرانسيسكو . »

والخلاف حول « آبي » ككاتب ، مرتبط بمحاولة أن يعالج المشاكل العالمية لأناس يعيشون فى مجتمعات صناعية ، وهو فى بلد ما زال الكثيرون فيه - وبعد مائة عام من التصنيع - مقتنعين بأنهم فريدون لا يمكن أن يصبحوا كالأجانب . فروايات « آبي » لا تقدم أى شيء عن الراحة فى الوطن .

ويعتبر « آبي » حامل لواء الأدب الطليعى فى اليابان ، وهو معروف أيضا ككاتب مسرحى ، وقد زادت شعبيته بعد أن تحولت مسرحياته الى أفلام سينمائية مثل (امرأة فى الكشبان) .

★ شوساكو اندو (١٩٢٣ -)

كاتب كاثوليكي تعلم فى فرنسا فى الخمسينات . وعند عودته الى اليابان لفت الانظار بروايته (الرجال البيض) ، ودانت له الشهرة بنشره رواية (البحر والسم) التى استمد وقائعها من حادثة تشريح انسان حي اثنان الحرب . وكثيرا ما يعالج « اندو » فى أعماله الاحساس الدينى عند اليابانيين ، أو احساسهم بالخطيئة كما تراها وجهة النظر الكاثوليكية .

ولأول مرة فى الأدب اليابانى نجد فى روايته التاريخية « تشينموكو » (الصمت) كاهنا أجنبيا يلعب الدور الرئيسى .

كان الأب سباستيان رودريجز ، بطل الرواية ، أحد المبشرين الكاثوليك الشجعان الذين غامروا بدخول اليابان سرا فى القرن السابع

عشر . حيث الحرمان من الحقوق والاضطهاد الدينى . ليبحت عن الأب فيريرا . معلمه السابق . الذى روع الكنيسة ما قيل عنه من ارتداد . ويقص علينا الكتاب كيف اعتقل رودريجز وما تحمله من العذاب الذى أدى الى ارتداده هو أيضا .

وبالرغم من أن الكاهن قد أعفى من التعذيب الجسمانى الذى شاهده يقع على الآخرين ، الا لأن اشتراكه فى آلام المتحولين الى المسيحية والاضطراب الذى يحس به حين يتزعزع إيمانه قد صورته « اندو » بصدق وإنسانية .

ولا يذكرنا أى جزء من الرواية فى أى وقت أن الكاتب يابانى او أن هذا اليابانى هو الذى تعمق فى آلام الجسد والروح التى تحملها ذلك الكاهن البرتغالى . وأثناء التحقيق الذى أجراه « انويه » حاكم ناجاساكي الشهير بقسوته ، حذر الأب من أن « مستنقع اليابان » سيخذه لا محالة وكذلك تربة اليابان المتعصبة التى تشوه ، ان لم تقضى على العقائد والمثل التى لا تنبت فيها . ويؤيد ذلك فيريرا الذى يجده رودريجز أخيرا فى أحلك ساعاته . وفى مواجهة درامية يعترف فيريرا أنه وآخرين أيضا قد صرعهم « المستنقع » الذى هو « اليابان » . ويرفض « أندو » هذا التفسير . انه يلمح الى أن الصمت هو الذى هزم رودريجز فى تلك الساعات التى قضاه وحيدا فى السجن ، وقد غمره البؤس الجسمانى ، وهو يستمع الى صيحات المسيحيين وهم يعذبون وهو ينتظر مصيرا مماثلا . أنه عدم الاستجابة . . انه الصمت الذى يهزم الكاهن والذى لم يمكنه أن يتحمله فى كربه وصلواته .

لقد أخذ الأجنبى الغربى حقه فى الأدب اليابانى متمثلا فى رواية الصمت لـ « شوساكو اندو » .

★ جونوسوكى يوشيوكى (١٩٢٤ -)

ولد فى يوكوهاما والتحق بقسم اللغة الانجليزية بجامعة طوكيو . وهو أحد الروائيين الذين تبعوا الموجة الأولى لكتاب ما بعد الحرب . وقد عاجلت المجموعة الأولى منهم فى أغلبها موضوعات أيديولوجية . ولكن الكتاب الذين جاءوا بعدهم مثل « يوشيوكى » اتخذوا موضوعاتهم من

التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية . وبتناولهم لهذه الموضوعات بمزيج من المرح والشجن . فان « يوشيبوكى » ومعاصريه احتلوا مكانة هامة فى عالم الأدب اليابانى . وقد وافق هذا التغير فى المعالجة الأدبية التغير فى المجتمع اليابانى من فوضى ما بعد الحرب الى احياء طبقة وسطى قوية . وقد كتب « يوشيبوكى » عن عالم البغايا والعلاقات بين الجنسين ، فالجنس موضوع هام دائما فى رواياته ، ولكنه يعالجه بنظرة تحليلية هادئة .

ويعالج بمهارة واتقان التعقيدات الاجتماعية للنفسية والسلوك اليابانيين . وفى معالجته العقلانية يراقب بلا انفعال ولا تدخل ، ويكتب عن الموقف دون أن يغير من نسيج البيئة المحيطة بشخصيات قصصه .

وفى قصصه القصيرة يكتب يوشيبوكى عن الناس فى عوالمهم الصغيرة بغير تجميل مصطنع يبعد انتباه القارئ عن طبيعة القصة ، فهو لا يضمن قصته أى حيكات معقدة ، بل يركز على فترات قصيرة مكثفة من الوقت ليكشف عن الناس كما هم فى الحقيقة .

وكثير من قصص يوشيبوكى عن حياة البغايا . ولكن اهتمامه ليس حسيا مثل « ناجاى كافو » ، فهو يعطى الحسية المقام الثانى ، بينما يعطى الملاحظات العقلانية من خلال عيون شخصيات رواياته الذين يبدوون كأنهم لا مصلحة لهم فيها بالمرّة . وفى قصته « حجرة المومس » نجد شابا يبحث عن الطمانينة النفسية ، يلتقى بمومس متعاطفة اسمها « أكيكو » يتمكن من أن ينشئ علاقة ودية مستمرة بها دون أن يتورط معها عاطفيا أو رومانتيكيا .

وبالرغم من الرابطة الجسدية بين الشاب والفتاة ، نجد أن يوشيبوكى يحرص على أن يحتفظ بمسافة ثابتة بين الاثنين تاركا انطبعا بأن اهتمام الشاب والفتاة هو مثل تأمل شخص لصورة فى صالة من صالات عرض الفنون . وينفصل الشاب عن المومس أخيرا ، ويبدو أن كليهما قبل هذا على أنه قدره الذى كان مقدر له منذ البداية . ويستطيع المرء أن يرى بوضوح فى هذه القصة تنفيذ يوشيبوكى لفكرته عن الخلية ، حيث أنه كثيرا ما قال انه فى قصصه يأخذ « خلية » من الحياة ثم يحاول أن يستخلص وحدة عضوية متكاملة من خلايا متنافرة . فالشاب وقد خبر عالم أكيلكو ، أو « خليتها » المتمثلة فى حجرتها ، قد فهم بطريقة مجردة بقية حياتها ، أى وحدتها العضوية المتكاملة .

فالعقلانية لدى « يوشيووكي » تخضع القوة العاطفية الهائلة الكامنة في الجنس والقلق والانحلال والحسية . وإذا وجد أى احتمال لشعور بالعار ناجم عن فعل معين فانه يبذل قصارى الجهد لاختفاء العواطف والانفعالات تحت قناع مصقول من العقلانية .

والاحاسيس الفجة مكبوتة وموضوعة تحت السيطرة على المستوى العقلى لدى شخصيات قصص يوشيووكي . فهو يبين كيف أن الكثيرين من الناس غير ملتزمين نحو بعضهم البعض بالرغم من ارتباطاتهم معا على مستويات حسية أخرى .

ويبرز يوشيووكي كمراقب ثاقب النظر لليابانيين في هذا الشأن . وربما لهذا السبب اكتسب شعبية كبيرة بين كثير من الناس الذين ربما تعرفوا على شخصياتهم الداخلية - على حقيقتها - من خلال تصويره الثاقب للحياة .

★ تاكيشي كايكو (١٩٣٠ -)

يعتبر هو و « أوى كينزابورو » أصغر روائى اليابان ثابتى القدم فى هذا المجال الأدبى . وقد ولد « كايكو » فى أوساكا ، واتصف بما لتجار أوساكا من نشاط وحيوية . وهو رجل فعل وحركة ، له اهتمامات عديدة ، تتدرج من تغطية أحداث الحرب فى فيتنام ككاتب . الى صيد الأسماك فى أنهار العالم وبحيراته . وربما كانت أحداث رواياته : (ظلام مضى) ، و (ظلام فى الصيف) أفضل أعماله .

انه يريد أن يقول الكثير ، ولكن عن أمور ليس من السهل التحدث عنها . ولهذا فهو حين يتناولها يرفض التقاليد القائمة للحياة ، والأشكال التقليدية للتعبير الأدبى . وقد أتاحت له عدة رحلات حول العالم أن يشهد محاكمة انجمان ، والحروب فى فيتنام ، وبيافرا ، والشرق الأوسط ، بل وأتيح له أيضا أن يراقب هؤلاء اليابانيين الذين عجزوا أن يجدوا لهم مكانا فى بلادهم وأخذوا يجوبون العالم وهم يعانون مرارة العزلة . وتكون كل هذه التجارب جذور العالم الذى صوره « كايكو » فى رواية (ظلام فى الصيف) - ١٩٧٢ ، وهى استكمال لرواية سابقة (ظلام مضى) - ١٩٦٨ ، حيث يستمر فى تناول موضوع التكاسل والتخمة

انحسية للانسان فى زمن (البطون المترهلة) ويطالب مطالبة قاطعة برفض حياة البلادة الحسية من أجل فعل ايجابى .

تدور الرواية فى مكان ما فى أوربا ، يقابل الراوى بطل القصة صديقة كان يعرفها من قبل . امرأة يابانية تعيش الآن فى أوربا ، ويدخل الحب الى حياتهما اليومية الروتينية . كان الرجل يعانى من شعور اليأس والحزن الذى كان يقلبه على أمره مثل « المياه الآسنة » . وأخذ يستعيد أحداث اقامته الأخيرة فى « سايجون » ، ويلاحظ أنه قد قضى سنواته العشر الأخيرة فى رحلات متصلة . ورغم الحياة البسيطة السعيدة التى يعيشانها سويا ، يقرر أن يترك المكان بعد أن تقرأ له صديقه فقره من صحيفة عن الأحداث العسكرية فى فيتنام ، فتتوسل اليه أن يبقى معها قائلة :

« انك تريد أن تهرب . ولهذا فانك تدور مثل النحلة . انك لا تستطيع أن تقف الا اذا أخذت تدور حول نفسك ، لم يطلب أحد أن تذهب الى هناك كي تموت مثل كلب بجوار سلة مهملات . هل هذا هو حلمك الكبير ؟ » .

يقول الناقد « ميكولاى ميلانوفيتش » : « ان (ظلام فى الصيف) رواية مكتوبة بجمال ، أحداثها منسقة ، وإيقاعها متناغم . فالكاتب يختبر جراح جيله التى ما زالت - رغم كل شيء - لم تتوقف عن التطلع الى الاحساس الطبيعى والبسيط . ان الحياة التى تكتفى بأشباع الحواس زائفة . والمهرب الوحيد من هذا النوع من « الظلام » هو فى الفعل أو الحركة .

ان كلا من روايتي (ظلام مضى) التى تدور أحداثها فى فيتنام و (ظلام فى الصيف) التى تدور أحداثها فى أوربا . تمثل انسانا فى حيرة يجد نفسه أمام دائرة مغلقة من صراعاته الداخلية ، وليس أمامه أى توقع أو أمل فى كسب هذه المعركة . هذا ما يدركه تماما ، ومع ذلك فانه يظل يعتقد أن بالترحال الى مناطق العالم البعيدة سيوجد علاقة ما بين مشاكل العالم ومشاكله الخاصة . ان هذه العقيدة - التى لا يعلنها - هى مصدر قوة لهذا الرجل الذى يسير على غير هدى ، والذى يرى - وهو على شفا الانهيار - بصيصا من الأمل يضىء من بعيد فى مكان ما .

وقد يأمل المرء أن يعود البطل الى اليابان فى إحدى روايات « كاكيو » القادمة . فليس أمام هذا الكاتب الطموح والشجاع خيار .

وبعد فيتنام وأوربا سيصل في النهاية الى وطنه . وهو أصعب موضوع
للكتابة . لأن كل مواطنيه يعرفون اليوم العالم المعاصر في مختلف
أشكاله . مما جعل حياتهم ليست سهلة كما كانت من قبل . وكما
يقول المثل : « معرفة أكثر تعنى معاناة أكثر » . وحياة الكاتب نفسيا
مصادق لهذا القول .

طالما قيل أن اليابان تتكون من جانبين متميزين : الاورا Ura

وهو ذلك الجانب المظلم الكئيب ، دائم التفكير والاستيطان في
شخصية اليابان ، والأوموتى Omote وهو الوجه الاجتماعي الراقى
المكون من نواح عميقة عقلانية . ويتفوق الكثير من اليابانيين اليوم في هذا
الجانب الأخير ، فيعالجون بمهارة واتقان التعقيدات الاجتماعية للنفسية
والسلوك اليابانيين . دون أن يغيروا من نسيج البيئة المحيطة بهم .

ومن المعروف أن تصنيع اليابان تم حسب الأنماط الاجتماعية
التقليدية ، أى الولاء والأبوة ، وليس من غير المؤلف أن يقول النقاد
الاجتماعيون أن ثمرات التصنيع مثل الاستقلال الذى توفره السيارة أو
المنزل ، والعائلة النووية ، والقابلية للحركة التى يقدمها التعليم الجامعى .
تتأمر كلها لتقويض النسيج الاجتماعى ، الذى جعل التقدم ممكنا فى مبدأ
الامر . وكرد فعل لتحولهم الى ما يشبه الأجانب ، اتجه كثير من اليابانيين
الى رموز اليابان القديمة حتى يؤكدوا هويتهم الثقافية لأنفسهم . وربما كان
تقدير « يوكيو ميشيما » و « ياسونارى كاواباتا » يرجع لهذه الأسباب .
ان تعبيرهم عن الحزن لضياح الفضائل القديمة يعطى جوا مريحا للتقاليد
فى عصر يشق فيه رجال الأعمال اليابانيون طريقهم بالمناكب فى أنفاق
مترو نيويورك ولندن التى لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها فى طوكيو .

مراجع المقدمة :

1. An Invitation To Japan's Literature.
Japanese Cultural Institute.
2. Japanese Literature.
Donald Keene, Grove Press N.Y.
3. The search for authenticity in modern Japanese Literature
Hisaaki Yamanouchi.
Cambridge University Press.
4. Modern Japanese Literature.
Donald Keene
Grove Press N.Y.
5. Grolier Academic Encyclopedia.
Grolier International 1983.



من المسرح الياباني



ريوانوسوگي اكوناجاوا
(١٨٩٢ - ١٩٢٧)



سوسيميكي ناتسومي
(١٩١٦ - ١٩٦٧)



اوجاي موري
(١٨٦٢ - ١٩٢٢)



ياسونارى كاواباتا
(١٨٩٩ - ١٩٧٢)



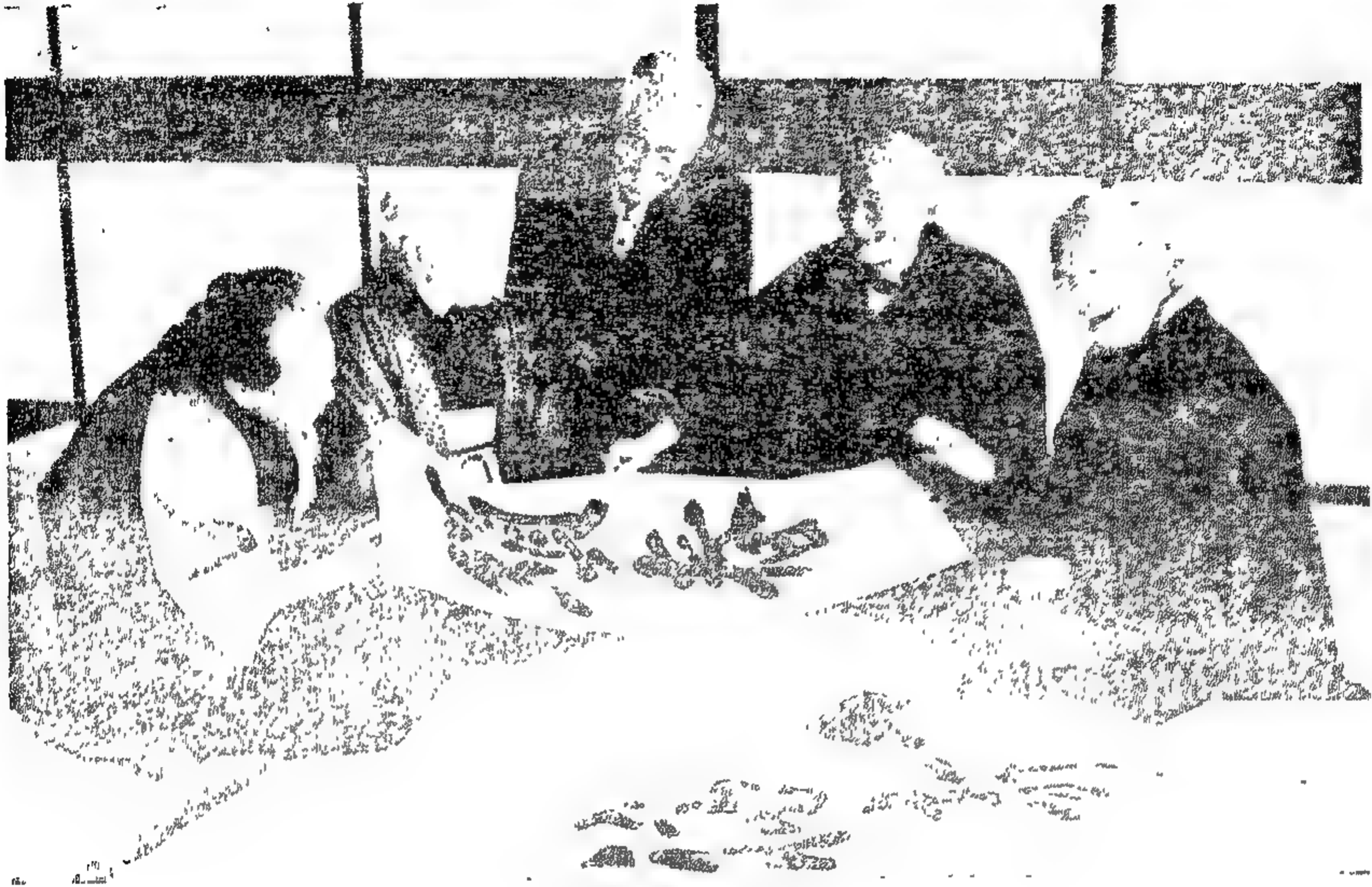
جونيتشيرو تانيزاكي
(١٨٨٦ - ١٩٦٥)



جيرو اوساراجي



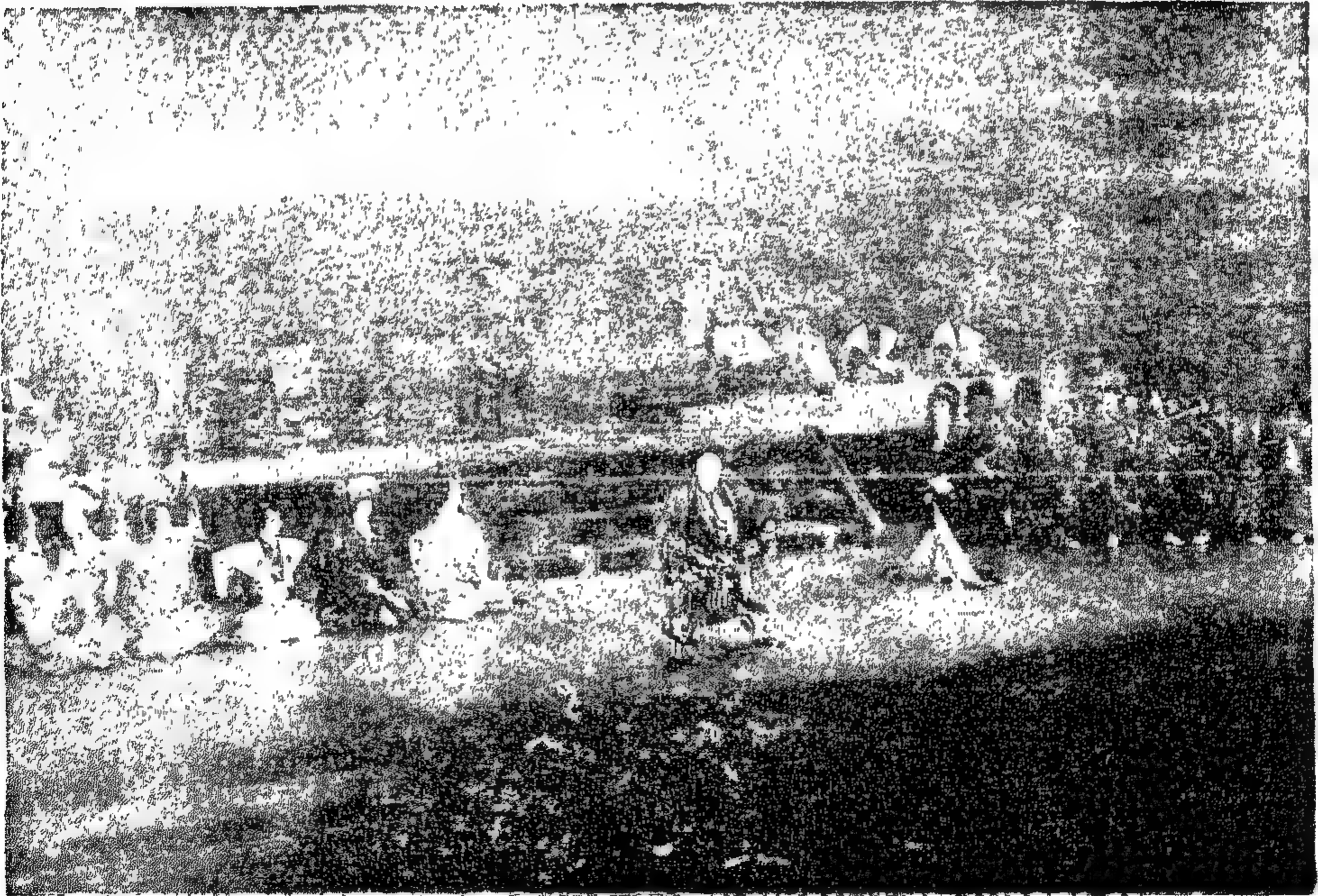
يوكيو ميشيما
(١٩٢٥ - ١٩٧٠)



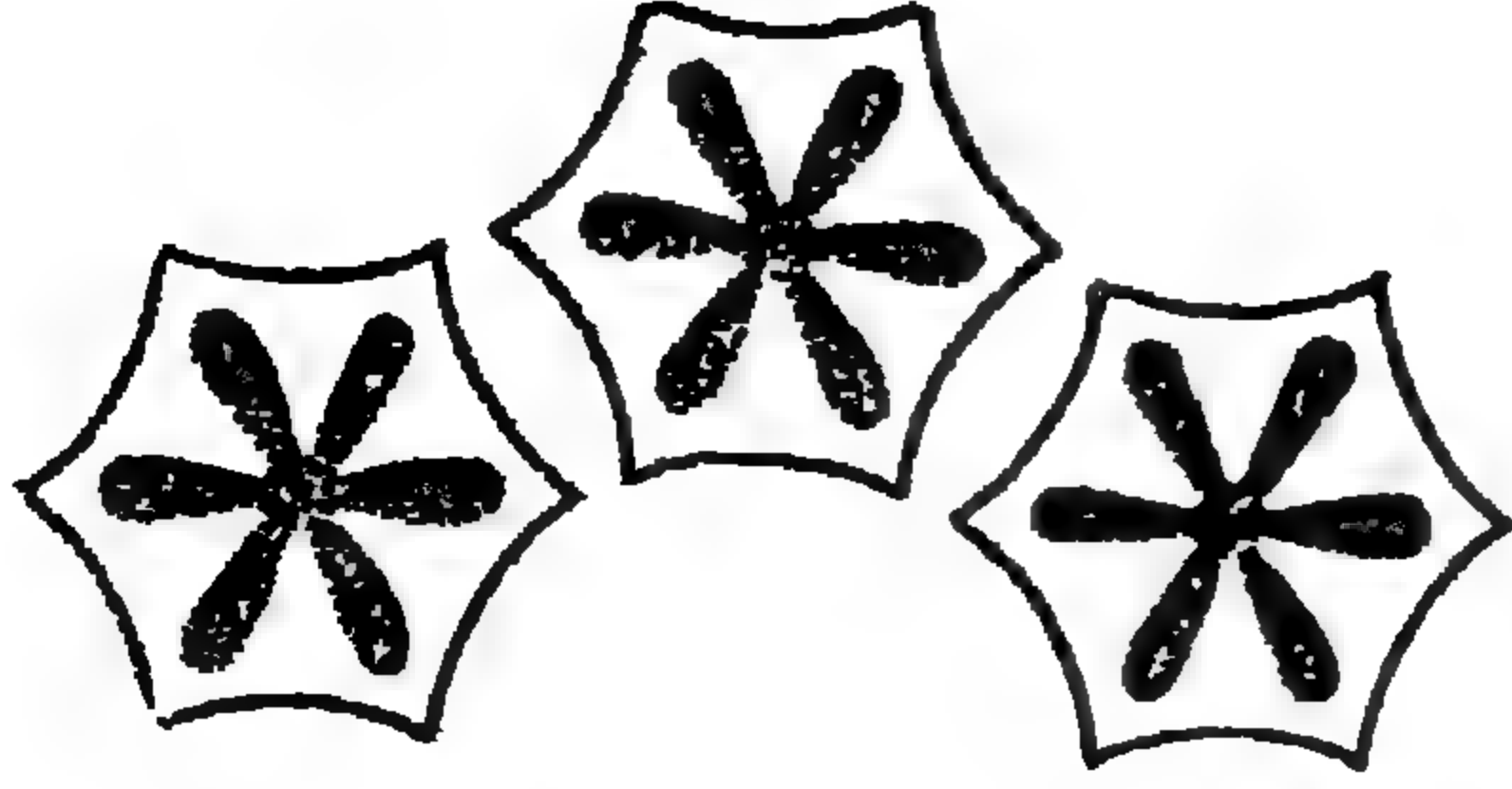
لوحات الخط الباني



مشهد من دراما الكابوكي

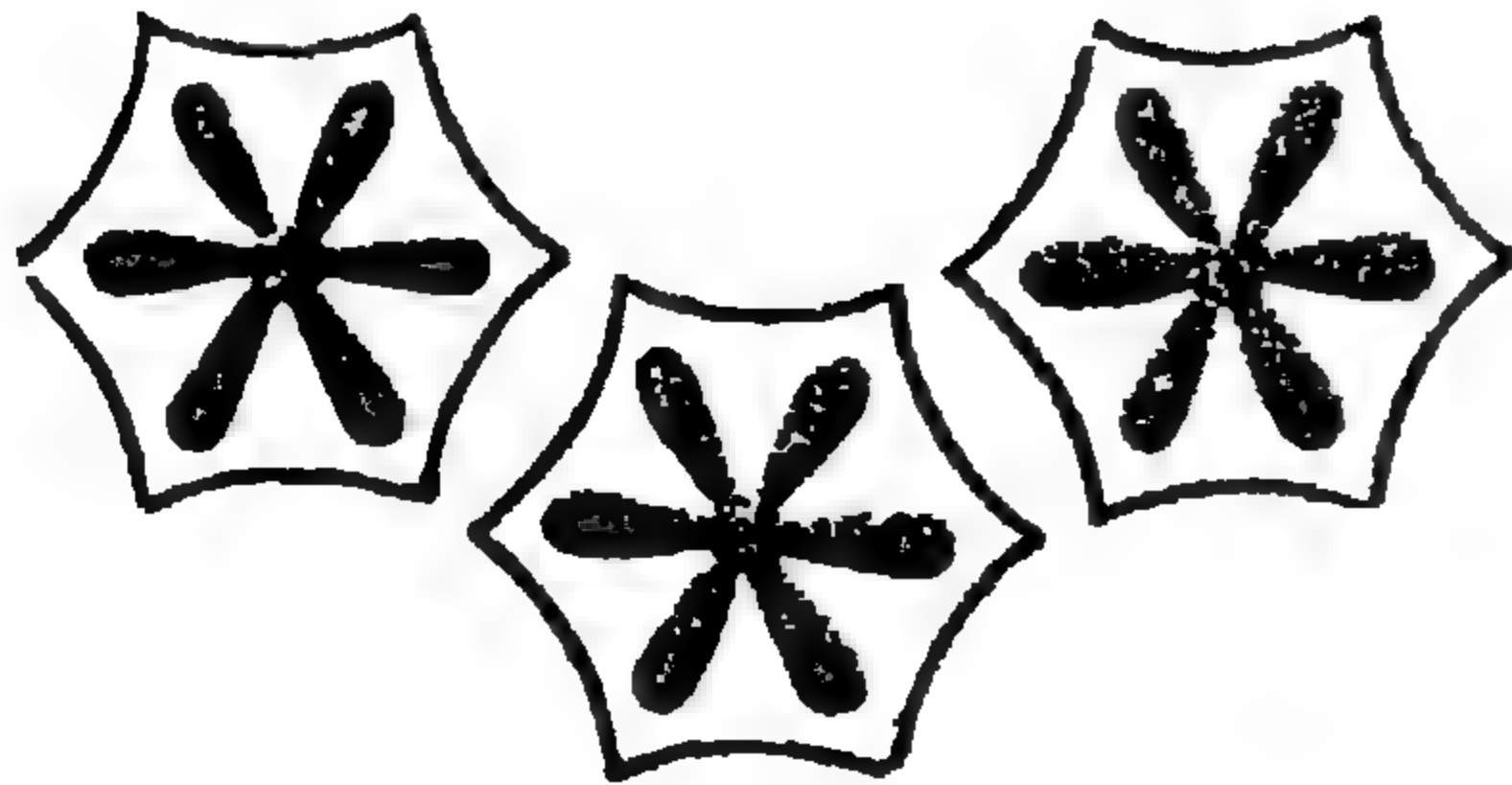


من المسرح الياباني



الشعر

- شعر التانكا : (القصائد القصيرة)
- شعر ناجا أوتا : (القصائد الطويلة)
- شعر الهايكى : (القصائد القصيرة المقتضبة)



شعر : التانكا (١)

أشهر قالب شعري استمر لما يزيد على ألف عام • فلقد كان موجودا قبل المانيوشو - وهي أقدم وأهم مجموعة أدبية ، جمعت في القرن الثامن - لعدة مئات من السنين • وظل هذا القالب في محل الصدارة الى أن ظهر قالب الهايكو في القرن السادس عشر •

والتانكا هي قصيدة من واحد وثلاثين مقطعا مرتبة في خمسة أسطر (٥ - ٧ - ٥ - ٧ - ٧) • وقوة تأثير التانكا يأتي من قالبها البسيط المحدد الذي يسحق التجربة الكلية الشاملة ويصهرها في جوهر مركز لفكرة ما أو صورة أو حادثة أو حالة نفسية •

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كنيث ركسروث •

● من قصائد آكاهيتو (توفي عام ٧٣٦ م) :

★ يا مابى نو آكاهيتو : كان مرافقا شخصيا للامبراطور شومو ،
وصاحبه فى رحلاته عبر اليابان • كانت هذه الفترة هى العصر الذهبى
للشعر اليابانى • وهو النظر لشاعر آخر اسمه هيتومارو •

الضباب يعلو فوق
البحيرات الساكنة فى أسوكا (١)
والذكريات لا تمر بهذه السهولة

اسوكا جاوا
كاوا يودو سارازو
تاتسو كيرى نو
أوموى سوجو بيكى
كوى نى أراناكو نى (٢)

● من قصائد هيتو ما زو (٦٨٠ - ٧١٠) :

★ كاكينوموتو هيتومارو : يعتقد بأنه ولد ونشأ على الأرجح فى نارا ،
العاصمة الأولى لليابان • دخل القصر الامبراطورى كموظف بسيط ، فكتب
بعضا من شعره عن أنشطة القصر وبلاطه • ومهارته فى استخدام
التانكا والتاجا أوتا (أشهر قالبين فى الشعر اليابانى) جعلته من أعظم
شعراء اليابان • ويبجلونه بسبب الانسانية والاهتمام العميق بالانسان
المنعكس فى أعماله •

(١) مكان قصر امبراطورى سابق •

(٢) الأصل اليابانى منقول بالحروف العربية •

فى الجبال الحاوية
تحف أوراق الخيزران الخضراء
بالتريخ •
فأفكر فى فتاة
ليست هنا •

لقد تحول شعرك أشييا
بينما ظل قلبك
معقودا ضدى •
أبدا فسوف لا
أحرره الآن •

رجل عجوز غريب
أوقفتنى ،
ناظرا من مرأتى العميقة •

أوراق الشجر الملونة
أخفت الممرات
على جبل الخريف •
كيف لى أن أجد فتاتى
وأنا هائم فى طرق لا أدريها ؟

● من قصائد لينى هوريكاوا (القرن الثاني عشر)

★ لا يعرف الكثير عن لينى هوريكاوا وحياتها ، فيما عدا أنها كانت وصيفة شرف لامبراطورة اليابان « دواجر تاكن » .

هل سيحبني دائما ؟
لا أقدر على قراءة قلبه .
ان أفكاري هذا الصباح
مشوشة
كشعري الأسود .

● من قصائد ناريهارا (القرن التاسع)

★ اريوارا ناريهارا : المحب الاسطوري العظيم للأدب الياباني ، ولقد كتبت كثير من مسرحيات نو حول مآثره . ومن أعظم أعماله : « حكايات ايسا » وهي مجموعة قصائد مقدمة بشرح مسبق يفسر وضع الشخصيات وحالاتهم النفسية ، وهكذا يصبحون أكثر فهما وتقبلا عند القارئ .

لقد عرفت دائما
اننى فى النهاية لابد
أن أقطع هذا الطريق
لكن الأمس لم أعرف أنه سيصبح اليوم .

● من قصائد تسورا يوكي (٨٨٢ - ٩٤٦ م) :

★ كي نو تسورا يوكي : شغل عدة مناصب رفيعة في البلاط
الامبراطوري . وبجانب كونه شاعرا وكاتبا فهو من أمهر خطاطي اليابان .
وفي عام ٩٠٥ كان رئيس تحرير أول مجموعة أدبية امبراطورية نشرت في
اليابان ، وكتب لها مقدمة مطولة .

كلا ، القلب البشري
لا يمكن معرفته .
ولكن في مكان مولدى
كانت الأزهار لها نفس الرائحة
التي لها دائما .

● من قصائد ياكاهوتشى (٧١٨ - ٧٨٥) :

★ أوتومى نو ياكاهوتشى : ابن شاعر يابانى مشهور ، تزيد أعماله
عن خمسمائة قصيدة . تقلد مناصب عديدة في حياته ، وأصبح نائبا
لوزير الحربية ، ثم نزل في المرتبة الى وظيفة محافظ . وجرى بعد وفاته
من كل أمجاده بسبب جريمة اقترفها أحد أفراد عائلته .

عندما أرى أول
قمر جديد باهتا في الشفق ،
أفكر في حاجب
فتاة رأيته مرة واحدة فقط .

شعر : ناجا أوتا (١)

وهي قصائد نادرة نسبيا في الشعر الياباني ، وعادة ما تكون
مرثية أو تمجيذا • وقصيدتا هيتو مارو التاليتان من أبرز النماذج التي
تمثل هذا النوع •

وتعتبر الناجا أوتا مثل التانكا ، فهما يمثلان الفترة الكلاسيكية في
الشعر الياباني •

● من قصائد هيتو مارو (٦٨٠ - ٧١٠) (١) :

خليج تسونو
في بحر ايوامي
ليست له شيطان جميلة
ولا يعتبر جميلا •
ربما هو كذلك ،

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كنيث ركروث •

لكننا اعتدنا المسير
بجانب بحر صيادى الحيتان
فوق حصباء « واتازو » الصخرية
حيث تهب الريح
وعشب البحر فى اخضرار الجواهر
مثل الأجنحة المرتعشة فى الصباح ،
وتهز الأمواج قيعان عشب البحر
مثل الأجنحة المرتعشة فى المساء •
تماما كطحلب البحر يتمايل ويطفو
بأحداها مع الموج ،
هكذا كانت فتاتى متعلقة بى
وهى ترقد بجانبى •
والآن قد تركتها ،
لتنزوى كالصقيع •
نظرت خلفى آلاف المرات •
عند كل لفطة طريق •
وارتدت قريتنا ،
بعيدا بعيدا أكثر •
أعرف أنها تفكر فى ، بعيدا هناك ،
تتضور شوقا كعشب الصيف ،
ربما لو انحنت الجبال
لاستطعت أن أراها ثانية ،
واقفة على بابنا •

عندما كانت على قيد الحياة
كنا نخرج الذراع فى الذراع ،
ونرتو الى أشجار الدردار
إمام منزلنا •
كانت فروعها متشابكة •
وأكاليها مزدحمة بأوراق الربيع •

كانت مثل حينا •
ولم يكن الحب ولا الثقة كافيين لإدارة
عجلتي الحياة والموت •
لقد ذبلت كسراب فوق الصحراء •
ورحلت كعصفور الصباح
في وشاح الموت الأبيض •
والآن عندما يبكي الطفل
الذي تركته في ذكراها
ويطلبها متوسلا ،
كل ما أقدر عليه هو أن أرفعه
وأعاقه بعشوائية •
ليس عندي ما أعطيه له •
وفي غرفة نومنا كانت وصادقانا

مازالنا متجاورتين ،
كما كنا نهجع فيما مضى •
اننى أخلد هناك لنفسي
وأدع الأيام تتحول الى ليال
أستلقي يقظا بالليل ، متنهدا حتى الصباح •
لا يهم كم أندب
فلن أراها ثانية •
يقولون لى أن روحها
قد تسكن جبل هاجاي
تحت أجنحة النسر •
أصارع فوق التلال
وأتسلق الى القمة •
أعرف طول الوقت
اننى لن أراها أبدا ،
ولا حتى كارتعاشة باهتة فى الهواء •
كل شوقى ، كل حبى
لن يغيرا مطلقا هذا الوضع •

شعر : الهايكى (١)

ويعتبر هذا النوع من الشعر أكثر شهرة خارج اليابان ، وهو أقصر أيضا من التانكا ، اذ يتكون من ثلاثة أسطر بها سبعة عشرة مقطعا (٥ - ٧ - ٥) . وبالرغم من أنه يبدو وكأنه تانكا فى شكل مقتضب إلا أنه قالب كامل فى حد ذاته .

● من قصائد ماتسيو باشو (١٦٤٤ - ١٦٩٤) :

★ ويعتبر من أعظم كتاب الهايكى ، ولد فى أسرة من أسر الساموراي (رجال الطبقة المحاربة) فى عصر السلام العظيم والاستقرار باليابان . أخذ وهو طفل فى الثامنة ليكون فى خدمة أحد النبلاء ، حيث خدم كحارس لابن النبيل . وعلم هذا السيد الصغير باشو الكثير ، وكتب أول أشعاره فى سن التاسعة . وبالرغم من أنه ظل يكتب الشعر طوال حياته ، إلا أنه لم يصل الى قمة طاقته حتى العشر سنوات الأخيرة من حياته . ورغم أن بعض قصائد باشو متشربة بالتصوف الدينى (ربما تأثرا ببوذية زن ، وهى ديانة اعتنقها فى أواخر حياته) إلا أن معظمها كان عبارة عن وصف بسيط لمناظر واقعية وأحداث حقيقية مع تفاصيل كافية لمخاطبة عاطفة القارئ .

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : هارولد ج . هندرسون .

« اصرار »

هل هي تهدير
حتى أصبحت كلها صوت ؟
محادثة سيكادا !

« سحب »

سحب تأتي من وقت لآخر -
وتجلب للناس فرصة للراحة
من التطلع الى القمر .

« في أرض الخراب الواسعة »

في البقيع : ومن أشياء
جرداء تماما -
كيف تغنى القبرة !

« ابن الرجل الفقير »

ابن الفقر
يبدأ في طحن الأرز ،
ويحرق في القمر .

« سبيل الشمس »

طريق الشمس :
الزهر يلتفت اليها .
عبر كل أمطار مايو .

« أصوات الصيف »

قريباً جداً تموت ،
ولا إشارة منها تبين
صرخة الجراد

« برق فى الليل »

ومضة البرق :
فى الظلمة تسافر
وطائر الليل يزقق •

● من قصائد تانيجوتشى بوسون (١٧١٥ - ١٧٨٣) :

★ يعتبر الثانى بعد باشو فى كتابة الشعر الهايكى ، له نفس الشهرة كرسام ، وكثير من قصائده ما هى الا صورة جميلة • ويستعرض الموضوع الذى يتطرق اليه مجالات رحبة متنوعة ، وتذوقا عظيما للعالم الدائب على التغير • ومن كل كتاب الهايكى العظام ، يعتبر بوسون أفضلهم كفنان •

« الصوت »

هنا ... وهناك ...
يسمع صوت مساقط المياه
أوراق الشجر الفتية ، فى كل مكان •

« السيمفونية البيضاء »

أزهار على شجر الكمثرى
وامرأة فى ضوء القمر
تقرأ رسالة هناك •

« نسيم الربيع »

نسمات الصباح هده
يمكن للانسان أن يراها محركة
شعرات يرقانة الفراشة !

« أثواب الصيف »

على اللوحات الذهبية
رقائق شفاقة مرسومة لمن ؟
رياح الحريف ... !

● من قصائد ايسا (١٧٦٢ - ١٨٢٦)

★ ربما يعتبر ايسا بين جمهور قراء الأدب الياباني أحب شعراء
الهايكى . فهو يضع فى عمله العواطف عارية ، وآلام الحياة التعيسة ،
والشكوك الدينية .

« الرضا فى الفقر »

مسقط ماء ارتفاعه قدم
انه أيضا يصدر أصوات ،
والليل بارد لطيف .

« بوذا العظيم فى نارا »

يتجلى خارجا من تجويف
أنف بوذا العظيم
طائر الخطاف !

« الضمير »

وبطريقة ما يبدو من الجور :
أن يقل الانسان ظهرا ويسمع
أغنية غرس الأرز

« أمنية »

زوجتي المتذمرة -
آه لو كانت هنا !
هذا القمر الليلة ...

● من قصائد ماساوكا شيكى (١٨٦٧ - ١٩٠٢) :

★ ولد شيكى خلال فترة تحول عظيمة فى اليابان . وأصبح قائدا
لثورة أدبية ، هاجمت القوالب المتزمته ، خصوصا القواعد التى قد
أنرت ، لأجيال بشكل عظيم ، على التكوين الشعرى . وأكد على الطبيعة
فى الكتابة ، ونصح أتباعه أن يكتبوا من أجل ارضاء ذاتهم ، مقترحا بأن
على كل كاتب أن يعرف جميع أنواع الشعر الهايكى ، ولكن عليه أن يطور
أسلوبا خاصا به .

« متدرب الكهانة »

صبي لم يصل العاشرة
انهم يعطونه للمعبد
أوه ، أنه شيء بارد !

« الجديد والتليد »

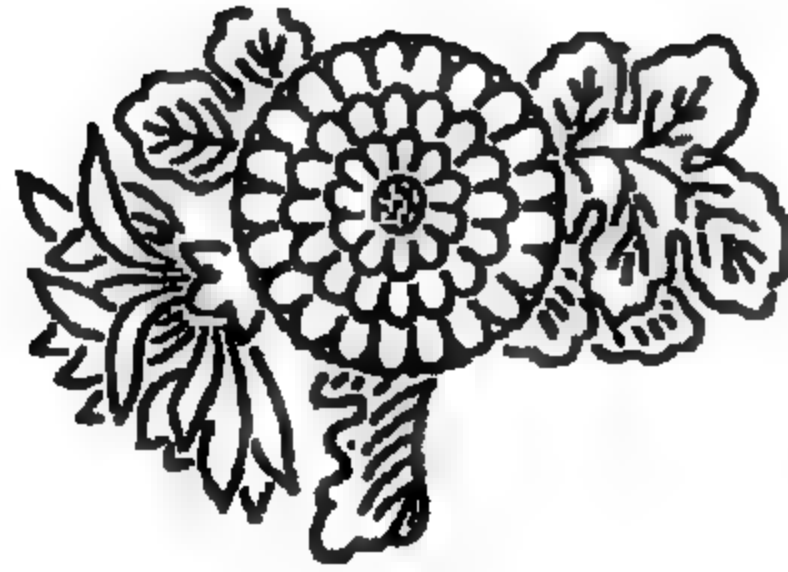
قضبان السكة الحديد ، وطيران
الأوز البرى ملاصقا فوقها
فى ليلة يسطع فيها ضوء القمر .

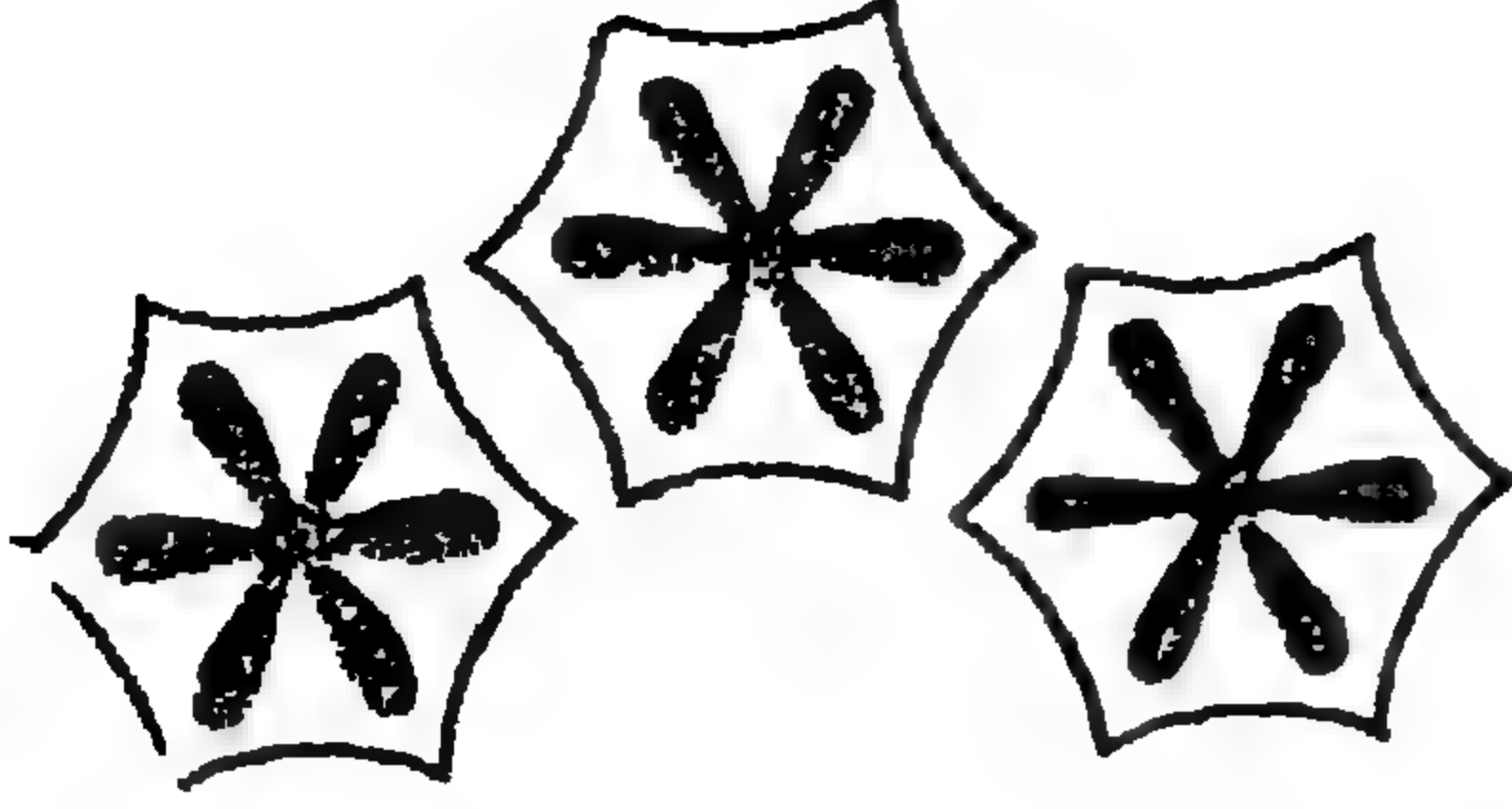
« اكتشاف كنز »

شيء نسي لفترة طويلة :
وعاء فيه الآن زهرة تتفتح
هذا اليوم من فصل الربيع !

« في ضوء القمر »

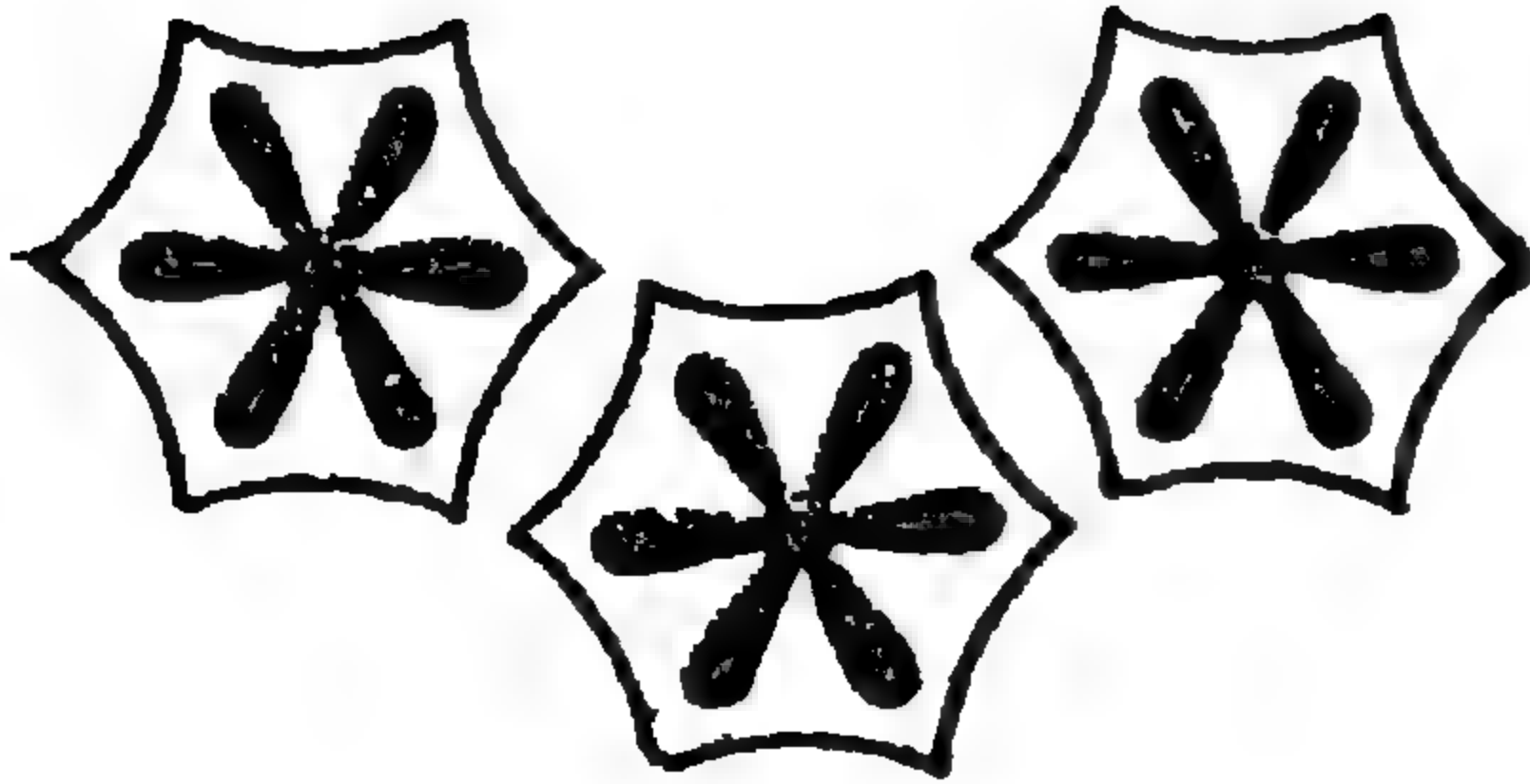
انهم يشبهون الرجال
في ليالي ضوء القمر – وخيالات المائة
تستدر شفقة الانسان عندئذ •





مسرح نو

- الطبلة الحزيرية : « دراما كلاسيكية »
- الطبلة الحزيرية : « دراما حديثة »



مسرح نو

★ دامت تمثيليات نو في المسرح الياباني قرونا طويلة ، ومن أمثلتها « الطبله الحريرية » . وفن نو المسرحي هو نوع من الدراما التي يلعب فيها الرقص والتمثيل والموسيقى (الطبول والمزمار) دورا هاما ، بل وتعتبر من عناصرها ومكوناتها الأساسية . فالتمثيل يتبع أسلوبا متميزا الى أبعد حد ، ويقوم بالأداء ممثلون رجال يستخدمون الأقنعة ، أو الوجوه المستعارة لتمثيل أدوار النساء ، والأرواح الشريرة . والعجائز ، وغيرها من الشخصيات . والكورس لا يقوم بالتعليق على الأحداث والمساعدة في رواية القصة ، بل يضطلع بحديث شخصيات معينة من المسرحية ويتولى ذلك أثناء قيامهم بالرقص أو بالتمثيل الصامت . وطبقا للتقاليد فمسرح نو مسرح أجرد لا تستخدم فيه الا أشياء بسيطة جدا مما يستعان بها عادة أثناء التمثيل ، بينما ترتدى الشخصيات الملابس اليابانية التقليدية الرائعة .

وفي يابان اليوم تقدم مسرحيات نو القديمة لكاتبها القديم « زيامي » ولآخرين الى جمهور المسرح كما كانت عليه في الأصل ، هذا الى جانب مسرحيات نو الجديدة التي مازال لها كتابها . كما أن هناك هواة مخلصين يصطحبون معهم الى المسرح النصوص المسرحية الأصلية ويتابعون النص أثناء تمثيل المسرحية ، تماما كما يفعل هواة الأوبرا الذين يتابعون نص الأوبرا ويلاحقون كلماتها . وفي بداية القرن العشرين جذب فن نو المسرحي انتباه المؤلفين الأمريكيين والانجليز ، ومنهم « ايزرا باوند » و « وليام بتلريتس » وأثر في شعرهم ومسرحياتهم .

ونعرض هنا نصين لمسرحية « الطبله الحريرية » الدراما الأصلية للكاتب القديم زيامي ، كما نعرض نصا حديثا آخر للكاتب يوكيوميشيما .

الطبله الحريرية (١)

للكاتب : موتوكيو زيامي

★ موتوكيو زيامي : (١٣٦٣ - ١٤٤٣)

هو شكسبير اليابان . بدأ التمثيل وهو فى سن السابعة ، ف جذب انتباه وحب أسرة شوجان (الحاكم الفعلى لليابان فى ذلك الوقت) ، وانطلق بقوة فى مجال أدى به الى كتابة حوالى ٢٤٠ مسرحية . وشكل بمساعدة والده فن نو المسرحى مستوحيا من التقاليد المسرحية المشهورة فى ذلك العصر ، والتي دامت حتى اليوم كأقدم فن مسرحى فى العالم .

★★★

الشخصيات

١ - أحد رجال حاشية القصر

٢ - بستانى عجوز

٣ - الأميرة

★★★

رجل الحاشية : أنا من رجال حاشية قصر كينومارو فى بلاد تشيكوزن . لا بد وأنكم تعرفون أن فى هذا المكان بركة مشهورة تسمى بركة الغار ، حيث غالبا ما يتنزه أفراد الأسرة المالكة ، وهكذا حدث فى أحد الأيام أن وقع نظر الرجل العجوز الذى يكنس الحديقة هنا على الأميرة . ومنذ ذلك الوقت أحبها حبا سبب لقلبه الشقاء وقلة الراحة .

وأخبرها أحدهم بذلك فقالت ، « الحب دنيا المساواة لا يعرف التفرقة » وبشفقتها قالت : « هناك شجرة غار بجانب تلك البركة

(١) من الترجمة الانجليزية لأرثر والى .

ومعلق على فروعها طبل • دعوه يضرب الطبل • واذا وصل الصوت
للقصر • سوف يرى وجهى ثانية •

لا بد أن أخبره بهذا •

انصت أيها البستاني العجوز ! لقد سمعت السيدة المبجلة
بحبك وتبعث لك بهذه الرسالة : « اذهب واضرب الطبل المعلقة على
الشجرة المطلة على البركة ، واذا وصل الصوت للقصر • سوف
نرى وجهى ثانية » اذهب الآن بسرعة ، واضرب الطبل !

البستاني : بالعرشة استقبل كلماتها • سأذهب وأقرع الطبل •

رجل الحاشية : انظر • هاهو الطبل الذى تحدثت عنه • هيا أسرع
واضربه !

• (يترك البستاني واقفا بجانب الشجرة ويجلس تحت « عامود
واكى » (١) •

البستاني : يتحدثون عن شجرة القمر ، الغار التى تنمو فى حديقة
القمر • • ولكن بالنسبة لى فلا توجد غير شجرة واحدة حقيقية •
انها شجرة الغار المطلة على البحيرة • أوه ، لعل الطبل المعلق فى
فروعها يصدر نغما قويا ، وموسيقى تضمد قلبى المنفطر •

انصتوا ! ان موسيقى أجراس المساء ترن لتساعدنى ،

لكنها بذلك تفرع

حكاية ثقيلة ليوم موصول بيوم آخر •

• • •
كورس (يتكلم بلسان البستاني) : وامتد الامل من غسق الى غسق • •
لكن الآن ، يا حارس الساعات ، اضرب المشتاق للضرب •

البستاني : كنت عجوزا ، أتجنب نور النهار ،

كنت هزيلا كطائر الكركى ،

ومن فوق كل ذلك البؤس

(١) دعامة على خشبة المسرح تستخدم فى مسرحيات نو •

تكون فجأة أسي حزين
أسي جديد لحب جديد •
لقد تركت الأيام آثارها ،
قادمة قادمة كالأمواج التي تلطم الشاطئ الرملى ...

كورس : أوه ، ومع هدير الأمواج البيضاء
سيتدحرج صدى الطبل •

البستاني : العالم الآخر يقترب منى ،
ومع ذلك لم أستيقظ حتى الآن ،
من خريف الحب الذي ينهى •
فى حزن ترنيمة سنين عمرى •

كورس : وببطء كقطرات ندى الخريف ••
تتجمع الدموع فى عيني ، لتسقط
مبعثرة مثل قطرات الندى من زهرة منتفضة :
على ردائى الحشن •
انظروا هذه هى الآثار ، مدموغة بحب محبوبك ،
والذى سيقراء العالم كله

البستاني : قلت « سوف أنسى »

كورس : وبذلك تحصل على عذاب أسوأ
ممن يتذكر •• ولكن كل شيء فى هذا العالم
مثل حصان الرجل العجوز فى بلاد الساي (١) •
ومرق كالمهر الأبيض ••
ومر بشجرة فى السياج ، حتى أيامنا تمر هكذا
ورغم أن الوقت آت ••
فلا يعرف أحد الطريق الذى يجب أن يطأه فى النهاية ،

(١) طبقا لحكاية يابانية ، حرب حصان رجل منه وبذلك لم تستطع الحكومة أن
تستولى عليه وتستخدمه فى فترة ثورات وقلاقل ، وبعد الثورة عمر الرجل على حصانه •

ولا أمد حياة قطرة نداء •
كل هذا أعرفه • انما معرفة عمياء مخلوطة بالحماسة •

البستاني : يصرخ ، • استيقظ ، استيقظ •

كورس : يا حارس الساعات ،
استيقظ من نوم الفجر !
واقصف على الطبل •
من أجل أن يسمع صوتها ، وسيرى فى الحال
وجهها ، ولون ردائها •••
آى ، حرير ! انه لا يدري
انه على الطبله الحريرية ، يضرب ،
ضربات بكل قوة يديه ، يديه المعروقتين ••
ولكنه لا يسمع صوتا ••
فيصرخ • هل أصبت بالصمم ، وينصت وينصت :
المطر على النوافذ ، وارتطام الأمواج على البركة •••
كلاهما يسمع ، أما الطبل فقط ، الطبل الحريرى الغريب ، فصامت -
أوه ، ألن تسمع أبدا ؟
فكرت أن أضرب الأسى من قلبى ،
أوقظ موسيقى فى الطبل الحريرى ، صدى للحب
من نسيج الكبرياء الصامت !
مرغوب كالقمر الذى يختبئ فى سحب عنيدة لليلة ممطرة.
صوت طبل الحارس ، ليدخرج الظلام من قلبى •

كورس : اننى أضرب الطبل • وتمر الأيام والساعات •
كان بالأمس ، وهاهو اليوم •

البستاني : ولكنها التى من أجلها أنتظر ••

كورس : لا تأتى حتى فى حلم • عند الفجر أو الفسق
البستاني : لا أصوات لطبل

كورس : انها لم تأت • ألم يقولوا من قبل بأن هؤلاء

الذين قد وصلهم الحب ،
لا يمكن أن يفرقهم ولا حتى اله الرعد ؟

عن الأحباب ، أنا وحدي
بلا مرشد ، وبلا راحة .
وعندئذ ناداها لتشاهد كربيه
وصرخ ، « لماذا على أن أتحمل حياة كهذه ؟ »
وفى مياه البركة ألقى بنفسه ومات .
(يترك البستاني خشبة المسرح)

(تدخل الأميرة)

رجل الحاشية : أود أن أتكلم معك سيدتى .
الطبل لم يصدر صوتا ، والبستاني العجوز ألقى بنفسه يائسا في
البركة بجانب شجرة الفار ، ومات . وروح واحد كهذا قد تتشبث
بك لتصينك بأذى . اخرجى وانظري اليه .

الأميرة (تتكلم بوحشية ، وقد لبستها روح البستاني الغاضبة ، التى

تتكلم من خلالها) :
انصتوا يا قوم ، انصتوا !
فى ضجة الأمواج الصاخبة . .
أسمع قصف الطبل .
أوه ، صوت مفرح ، أوه مفرح !
موسيقى الطبل .

رجل الحاشية : غريب ، غريب !

هذه السيدة تتحدث وكأنها شخص
مسه هوى .
ما الخطب ، ماذا بها ؟

الأميرة : حقا ، يتخبطنى مس من الهوى .

هل يعطى الطبل الحريرى أى صوت ؟
عندما دعوته لقرع ما لا يقرع ،
كان عقلى قد تداعى .

رجل الحاشية : انيا تكلمت ، وعلى وجه بركة المساء
تحركت موجة .

الأميرة : وخارجا من الموجة

رجل الحاشية : تكلم صوتا ..

(يسمع صوت البستاني ، أثناء تقدمه بالتسديج على طول قاعة
المسرح ويرتدى « قناع شيطان » يتكىء على عصاه ويحمل « مطرقة
شيطان ، فى حزامه) .

شبح البستاني : كنت خشبا طافيا فى البركة ، ولكن أمواج المראה ..

كورس : غسلتنى عائدا للشاطئ .

الشبح : الغضب يتعلق بقلبي ،

يتعلق حتى الآن عندما لا يكون الغضب ولا النحيب الا حماقة .

كورس : فكرة واحدة تستهلكنى ،

غضب لهفة مرفوضة
يغطينى مثل الظلمة
انى اتحول الى مسكن شيطان
فى جحيم أفكارى القاتمة ،
سحابة عاصفة لرغباتى

الشبح : « رغم أن المياه غاضت فى الحقول

رغم جفاف الأغادير ،
فلن يظهر المكان أبدا
للمنبوع الذى يغذى قلبى » .
لذلك فلقد عزمت . أوه ، لماذا بهذه القسوة
هياؤا لى أن أكسب
صوتا من طبل أبكم
منهكا قلبى بلا فائدة ؟
وأنهكت قلبى على لمحة خاطفة لقمر منزلق
خلال فروع شجرة خريف .

كورس : هذا الطبل الحريرى المعلق فوق شجرة الغار

الشبح : هل ستصدر صوتا ، هل ستصدر صوتا ؟

(يقبض على الأميرة ويسحبها نحو الطبل)
حاولى ! اضربىها !

كورس : يصرخ ، « اضربى ! »

النقرة السريعة ، هجوم المعركة !

أعلى ، أعلى ! اضربى ، اضربى

ملوحا بعصاه الشيطانية

دون أن يعطيها راحة .

فتنتحب السيدة « أوه يا ويلتاه ! »

وتبكي قائلة « لا صوت ، لا صوت ، يا للبوأس ! »

وهو بضربة مطرقة ، « تحسرى ، تحسرى ! »

مثل هذا العذاب فى عالم الليل

ابوراسيتسو ، رئيس الشياطين ، يدبر الأمر

وهو على عجلة النار

يذوى اللحم الأثيم ويحطم العظام الى رماد

ولا يقل عذابها الآن !

وتصرخ ، « أوه ، يالكرب ! ماذا فعلت ،

بأى بذرة كثيبة نثرت هذه الغلة ؟ »

الشبح : السبب يقف واضحا أمامك .

كورس : السبب يقف واضحا أمام عيني

اننى أعرفه الآن .

بجانب مياه البركة البيضاء ، وعلى غصن الغار

كان الطبل معلقا .

الى أن انحسرت كل ارادته من سويداء قلبه ،

ثم قفز فى البحيرة ومات .

وبينما يهتز جسده

مثل الحشب الطافي على الأمواج

روحه ، شبح حائق ،

تلتفت عقل السيدة . واسكنت في قلبها كربا وبلاء ..
والطرقة تلطم . كما تلطم تلك الأمواج الشاطيء ،
تلطم على تلج الشاطيء الشرقى .
تمر الريح ، ويسقط المطر
على اللوتس الحمراء ، والأقل والأعظم (١)
ويقف الشعر في رأسى .
« السمكة التى تقفز من مساقط المياه
تتحول فى سقطتها الى ثعبان (٢) »
لقد تعلمت أن أعرفهم ،
هكذا . هكذا شياطين عالم الليل .
وصرخ . « أوه أيتها السيدة البغيضة ! »
وغرق ثانية فى دوامة الرغبة .



(١) اللوتس الحمراء البوذية تعتبر شعار الفردوس ، أما الأقل والأعظم فهما اسمان
لجيمين باردین . وبالتالي فالمطر يسقط على الاثنين الفاضل والشرير .
(٢) طبقا للأسطورة فالسمكة التى تقفز بنجاح من خلال تصبح ثعبان . وهكذا فجهود
البستاني لأحراز المساواة مع الأميرة حولته الى روح شريرة .

الطبعة الحريية (١)

« دراما حديثة »

للكاتب : يوكيو ميشيما

★ يوكيو ميشيما (١٩٢٥ - ١٩٧٠) :

من أشهر الكتاب اليابانيين خارج اليابان . ولد في طوكيو ودرس القانون بجامعة طوكيو . ولكن حتى قبل أن يحصل على درجته في القانون ، بدأ يكتب وينشر قصصه . ظهرت أول مجموعة قصصية له في عام ١٩٤٤ ، واشتهر العديد من قصصه بعد ترجمتها الى الانجليزية . ويكشف عمله عن اهتمام بالجانب السفلي الحسيس للشخصية الانسانية والافتتان بالسلوك السيكولوجي المنحرف ، كتب ميشيما أيضا عددا من المسرحيات التي تشتمل على العديد من مسرحيات نو على نصوص تقليدية قديمة بعد أن وضعها في محيط وشخصيات حديثة ، مع تقديم رؤية سيكولوجية حديثة .

الشخصيات

ايواكيتشي ، بواب عجوز
كايوكو ، فتاة في العشرين ، موظفة
فوجيما شونوسوكي ، مدرس للرقص الياباني
توياما ، فتى
كانيكو ، موظف بوزارة الخارجية .
مدام ، صاحبة دار أزياء
عاملة المحل ، فتاة
هانابكو تسويوكا ..

(١) عن الترجمة الانجليزية لدونالدكين .

المنظر

وسط خشبة المسرح عبارة عن شارع بين مبان • فالنوافذ واللافتات في مواجهة بعضها البعض بالطابق الثالث من المباني على كلا الجانبين •

الجانب الأيمن من خشبة المسرح عبارة عن مكتب قانوني بالطابق الثالث • حجرة تبدو عتيقة على الطراز القديم يوحى بالاخلاص والصراحة • وبها شجرة غار في أصيص •

وفي الجانب الأيسر من خشبة المسرح تظهر دار أزياء • حجرة على أحدث طراز توحى بالنية السيئة والمخادعة • توجد مرآة كبيرة • الوقت ، ربيع • مساء •

(في الحجرة الواقعة في الجهة اليمنى)

ايواكيتشى : (يكنس الحجرة بمقشة • يكنس في اتجاه النافذة) :
ابتعدى عن الطريق ، ابتعدى عن الطريق • يبدو أنك تحاولين
حماية القذارة حول قدميك •

كايوكو : (تأخذ مرآة من حقيبة يدها الرخيصة وتقف في الضوء واضعة طبقة جديدة من أحمر الشفاه) • دقيقة واحدة • سأنتهى بعد دقيقة واحدة •

(يرفع ايواكيتشى جولة كايوكو من الخلف بمقشته) •
أو - و - وه ••••• انك فظيع • يبدو أن الرجال العجائز أصبحوا فاسقين بشكل رهيب هذه الأيام • (تتحرك أخيرا جانبا) •

ايواكيتشى : (يكنس) وماذا عن الفتيات الصغيرات ؟ الفتاة في التاسعة عشرة أو العشرين تبدو أفضل عندما تكون شفتاها غير مدهونتين بكل هذا الدهان • أراهن أن صديقك يؤمن بذلك أيضا •

كايوكو : (تلقي بنظرة الى ساعتها) • اننى لا أقدر على شراء الملابس الغالية • أحمر الشفاه هو أفضل ما أقدر عليه ••••• (تنظر في ساعتها ثانية) • أوه ، لقد سئمت ذلك في الحقيقة • لماذا لا نخرج أنا وهو كلانا من العمل في نفس الوقت • فلتساعدنى السماء

لو حاولت أن أقتل الوقت لانتظره في أى مكان خارج المكتب .
أول شيء تعرفه أنه يتكلف نقودا .

ايواكيتشى : لم تطأ قدمي أى مكان من أماكن الشرب الأنيقة هذه .
ولكنهم يعرفون وجهي في كل المطاعم تقريبا . اذا أردت أن تعرفي
أين تجدى حساء الفاصوليا الطيب ، فلتسأليني . (مشيرا الى
المكتب) دعوت الرئيس ذات مرة وقال أنها درجة أولى . لقد
سررت أكثر مما لو كان قد مدح حساء الفاصوليا في منزلي .

كايوكو : الأعمال بالنسبة للرئيس ليست على ما يرام في الفترة
الآخرة .

ايواكيتشى : توجد كثير من القوانين ، لذلك فهناك محامون أكثر مما
يعرف أى شخص ماذا يفعل بهم .

كايوكو : أعجب .. متى حصل على هذا المكان التقليدي لمكتبه .

ايواكيتشى : الرئيس يكره أى شيء ملتبس .. أنا متأكد من ذلك .
(ينظر الى صورة على الحائط) ويزعجه حتى لو كان إطار الصورة
منحرفا ربع بوصة . ولهذا قررت أن أقضى بقية أيامي عاملا
عنده .

كايوكو : (تفتح النافذة) هبات الريح منذ أول المساء .

ايواكيتشى : (مقتربا من النافذة) . اننى لا أتحمّل هذه الريح المتربة
التي تهب في بداية الربيع ... هبوب المساء . أوه ، توجد رائحة
طيبة آتية من مكان ما .

كايوكو : انها من المطعم الصيني بالطابق الأرضي .

ايواكيتشى : الأسعار غالية بالنسبة لي .

كايوكو : انظر الى غروب الشمس الجميل . انها تنعكس على نوافذ جميع
المباني .

ايواكيتشى : وهذه طيور الحمام تنطلق من مكتب الصحيفة . انظري اليها
متناثرة . والآن يشكلون حلقة مرة أخرى ...

كايوكو : أنا سعيدة لأنك قد وقعت في الحب . . ان ذلك يعيدك شابا
مرة أخرى .

ايواكيتشى : لا تكونى ساذجة . ان حبي من جانب واحد ، وليس
ملك .

كايوكو : انك تحب سيده عظيمه حتى اسمها لا تعرفه .

ايواكيتشى : انها أميرة الغار ، الشجرة التى تنمو فى حديقة القمر .

كايوكو : (مشيرة الى الشجرة فى الأصيل) . هذه هى الشجرة التى
تقصدها . أليس كذلك ؟ لا يوجد شيء مدهش بخصوص شجرة
الغار .

ايواكيتشى : أوه ! لقد نسيت أن أروى شجرتى الثمينه . (يخرج) .

كايوكو : أليس ماكرا ؟ يركض خارجا ليخفى ارتباكاه .

ايواكيتشى : (يدخل ومعه وعاء فيه ماء) شجرتى . أسف : نسيت
أن أزويك . دقيقة واحدة وستلمع أوراقك (يربت على الأوراق
بولح وهو يروى النبات) .
يتكلم الشعراء عادة عن لمعان الشعر كأوراق . . .

كايوكو : ألم تحصل على رد بعد ؟

ايواكيتشى : م م م

كايوكو : انه شيء يثير الاشمئزاز . انه يمرضنى . لا يوجد لديها أى
إياقة لتبعث لك برد . لن يرضى أحد غيرى فى أن يستمر رسولا
لك . كم رسالة كانت ؟ ثلاثون ، أليس كذلك ؟ اليوم تصبح
ثلاثين بالضبط .

ايواكيتشى : اذا حسبت كل رسائل الحب التى كتبتها دون أن أبعثها
لكانت سبعين فوق ذلك . لمدة سبعين يوما . . . كنت أكتب لها
رسالة وكل يوم أحرقها . هكذا كان الحال قبل عطفك واشفاقك
بتحالى لتصبحين ساعى يريدنى . معنى ذلك أن العدد الاجمالى
يساوى . . . (يفكر)

كايوكو : مائة ، طبعاً . لم تعد تستطيع العد ؟

ايواكيتشى : الحب دون مقابل شيء مر .

كايوكو : ليس اديك النية فى الكف عن ذلك .

ايواكيتشى : أحيانا أفكر بأننى سوف أحاول النسيان . ولكنى أعرف الآن أن محاولة النسيان أسوأ من عدم القدرة عليه . أقصد ، حتى لو أن عدم القدرة على النسيان كانت مؤلمة إلا أنها مازالت أفضل .

كايوكو : كيف وصلت الى مثل هذه الحالة ، اننى أتعجب ؟!

(أثناء حديثها أشعل ضوء الحجرة التى فى الجهة اليسرى .)

ايواكيتشى : لقد أشعلوا النور . كل يوم فى نفس الميعاد .. عندما تزدوى هذه الحجرة تنبعث الحياة فى تلك الحجرة ثانية . وفى الصباح عندما تعود هذه الحجرة الى الحياة تموت تلك .. كان ذلك منذ ثلاثة شهور .. كنت قد أنهيت الكنس وتصادف أن نظرت الى الحجرة التى هناك ، بلا أى شيء معين فى عقلى .. عندئذ رأيتها لأول مرة . لقد جاءت الحجرة مع وصيفتها . وكانت المدام توجه طريقها ؟ كانت ترتدى معطفا مصنوعا من الفرو الذهبى ، وعندما خلعتة ، كان رداؤها كله أسود . وقبعتها كانت سوداء أيضا . وشعرها ، طبعاً ، كان أسود ، أسود مثل سماء الليل . اذا حاولت أن أصف لك كم كان وجهها جميلاً .. كانت مثل القمر وكل شيء من حوله يسطع .. قالت كلمات قليلة ، ثم ابتسمت . فارتعشت كلى .. ابتسمت .. فوقفت خلف النافذة محملاً فيها حتى ذهبت الى غرفة القياس .. ومن هنا بدأ ..

كايوكو : لكنها ليست بكل هذا الجمال . انها ملابسها .. ملابس فاخرة .

ايواكيتشى : الحب ليس ذلك الشيء . انه شيء ما يتأق فى الشخص الذى تحبينه من مرآة قبحك .

كايوكو : فى هذه الحالة ، حتى أنا أكون مؤهلة لذلك .

ايواكيتشى : ليس هناك ما تقلقين من أجله ! فأنت فى عين صديقك تبدين الجمال كله .

- كايوكو : هل معنى ذلك أنه يوجد قمر لكل امرأة فى العالم ؟
- ايواكيتشى : بعض النساء سمينات ، وبعضهن نحيفات .. ولذلك يوجد
البدر والليل .
- (يظهر ثلاثة رجال فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى .
فوجيما ، توياما ، وكانيكو) .
- ايواكيتشى : لقد أزف الوقت . على أن أنهى بقية رسالة حب اليوم .
- كايوكو : أسرع . من فضلك ؟ سوف أقرأ كتابا أثناء انتظارى .
(يذهب ايواكيتشى الى المكتب وينهى رسالته . وتجلس كايوكو
وتبدأ فى القراءة) .

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

- فوجيما : (يحمل لفة ملفوفة بقماش مربع أرجوانى اللون) . أنا فوجيما
شونوسوكى . سعيد جدا بلقائك .
- توياما : كيف حالك ؟ اسمى توياما . وهذا هو مستر كانيكو من وزارة
الخارجية . (يقدم الرجلين لبعضهما) مستر فوجيما .
- كانيكو : كيف حالك ؟
- فوجيما : يبدو أنك ومسر كانيكو صديقان قديمان .
- توياما : أجل كان فى نفس مدرستى ، ولكنه كان متقدما عنى .
- فوجيما : أوه ، حقا ؟ .. تلامذتى سيقومون بتمثيل مسرحية راقصة .
(يناولهما كتيبات صغيرة) تفضلا هذه .. مسر تسوكيوكا قالت
انها سوف تشتري مائة تذكرة .
- توياما : (فى غيرة) . مسر تسوكيوكا ان تفعل ذلك الا اذا كانت
متأكدة من الربح .
- كانيكو : كلا ، انها ليست على غرارك .. انها من النوع الذى يخسر
ولا تفكر فى الربح اطلاقا ..

فوجيما : أجل . انها هكذا فى الواقع .

كانيكو : (بحزم) . اننى أعى تماما من هى .

فوجيما : (مغيرا الموضوع) . ان حبكة المسرحية الراقصة ساحرة .
اذا صح لى قول ذلك بنفسى .

توياما : (ينظر الى ساعته) . انها تأخرت ، أليس كذلك ؟ استدعاء
الناس هنا هكذا . . انه لذوق سئ أن تحجز رجلا لينتظر فى محل
أزياء .

كانيكو : فى عهد الملك لويس الرابع عشر اعتادت النساء أن يستقبلن
الرجال فى مخادعهن . وعندما يريد رجل ان يطرى امرأة ، كان
يقول لها شيئا مثل ، « من الذى وضع التظليل تحت عينيك ؟ »
(يقولها باللغة الفرنسية) .

فوجيما : معذرة ؟ ما معنى ذلك ؟

(كانيكو يترجم كلمة كلمة . توياما ينظر الى الجهة الأخرى) .

فوجيما : التظليل تحت عيني المرأة شيء جميل . أليس كذلك ؟ يمكن
أن تقول أنه كالسحب التى تحوم تحت القمر .

كانيكو : (مهتما فقط بما يقوله هو) . هذا هو سر الدبلوماسية كلها .
أن تسأل من الذى وضع التظليل تحت عيني امرأة ، وأنت على
دراية بأنها هى التى وضعتة بنفسها .

توياما : مستر كانيكو سيصبح سفيرا قريبا جدا .

فوجيما : (منحنيا) . تهانينا .

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى)

ايواكيتشى : لقد كتبتها . انتهيت . رسالة ممتازة هذه المرة .

كايوكو : لابد أنك ثوترت وضغطت على نفسك لكى تعصر فكري لتقول
أشياء جديدة دائما .

ايواكيتشى : هذه احدى مشقات الحب المقبولة .
كايوكا : سأتركها وأنا فى طريقى الى البيت .
ايواكيتشى : آسف لازعاجك ، كايوكا . من فضلك لا تضيعينها .
كايوكا : تتكلم وكأنها ليست عبر الشارع فقط . لا أستطيع أن أضيعها
حتى لو أردت ذلك . . . تصبح على خير .

ايواكيتشى : تصبحين على خير يا كايوكو .
كايوكو : (ملوحة بالرسالة وهى تقف بالبواب) ربما أنسى موضوع
الرسالة ، بعد كل هذا . فأنا فى عجلة من أمرى ، كما ترى .
ايواكيتشى : لا يحق لك أن تعذبنى رجلا عجوزا بهذا الشكل .

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

كانيكو : انها تأخرت بالتأكيد .
توياما : (يقف أمام المرأة ويصلح من ربطة عنقه) ان ذوق مسز
تسوكيوكا فى ربطات العنق دائما بهذا الشكل . فى الواقع أنا
أكره ربطات العنق المبهرجة .

فوجيما : هذه علبة للتبغ أعطتها لى مسز تسوكيوكا عندما أصبحت رئيسة
للشركة . ان حلية النحت المثبتة عليها أكثر قيمة من العلبة
نفسها . (يرفعها نحو الضوء) . لن تفكر مطلقا بأنها مصنوعة
من الخشب الخالص ، أليس كذلك ؟ انها تشبه العاج بالضبط ،
أليس كذلك ؟

كانيكو : نحن موظفو الدولة يجب أن نرفض جميع الهدايا . فهناك دائما
الريبة من الرشوة . اننى أحسد الفنانين .

فوجيما : كل شخص يقول ذلك .

توياما : (فى صوت باك) . ملعونة المرأة العجوز ؟ لماذا دعت الجميع
فيما عداى ؟

كايوكو : (لاهثة النفس) . أوه . معذرة . هل المدام موجودة ؟
 توياما : لقد ذهبت الى المحل منذ دقيقتين . أظن أن لديها عملا ما هناك .
 كايوكو : ماذا أفعل الآن ؟
 تويوما : هل الأمر عاجل ؟
 كايوكو : أجل . انها رسالة . اننى أعطى واحدة للمدام كل يوم . حسب طلب شخص ما .
 كانيكو : (بغيرية) . سوف أهتم بموضوعها .
 كايوكا : (مترددة) . انه لكرم منك .
 كانيكو : سأتحمل المسئولية .
 كايوكو : شكرا جزيل . اسمحوا لى .
 توياما : انها فى عجلة من أمرها !
 كانيكو : (يقرأ العنوان على المظروف) . حسنا ، اننى لست كذلك أبدا ! مكتوب « الى أميرة غار القمر » .
 فوجيما : رومانتيكية جدا ، أليس كذلك ؟
 كانيكو : ألم تكتبها أنت ، احتمال ؟
 فوجيما : انك تمزح . متى لمدرس الرقص أن يكون لديه الوقت ليكتب رسائل حب . إنه يمسك الأيادى بدلا من ذلك .
 كانيكو : الراسل شخص اسمه ايواكيتشى .
 فوجيما : انه يكتب محسنا خطه ، أيا كان هو .
 توياما : تخيل . . . يسمى المدام « أميرة غار القمر » ! لا أعتقد أننى رأيت شجرة غار . انها شجرة كبيرة جدا ؟
 فوجيما : بل متوسطة ، على ما أعتقد .
 كانيكو : لا يوجد حساب على الأذواق ، أليس كذلك ؟ هناك تعبير فرنسى بهذا المعنى انه على ما أظن
 المدام : (تدخل . انها طويلة أكثر من المعتاد) . جميل أن أجدهم جميعا هنا .
 توياما : رسالة غرام قادمة اليك ،
 المدام : ترى من بعث بها . هناك خمسة أو ستة رجال من المحتمل أن يبعثوا لى بواحدة .

- كانيكو : علاقاتك انتقالية سريعة . « المس وابتعد » (١) ، على ما أظن ؟
المدام : أجل . تمام . اننى لا أنسى دفاعاتى أبدا .
- توياما : لابد أن درعك به أدوات كثيرة .
- المدام : ولدى الحبيب ! أنت دائما تقول أشياء مسلية كهذه .
- فوجيما : (بشكل تمثيلي) . اسمحى لى أن أتجراً وأناديكى « أميرة غار القمر » ؟
- المدام : أوه ، هل هذه هي رسالة الغرام التى تتكلمون عنها ؟ فى هذه الحالة ، فهى ليست لى .
- كانيكو : لا تحاولى أن تخدعينا .
- المدام : انك مخطيء تماما . انها لمسز تسوكيوكا .
- الجميع : ماذا ؟
- المدام : (تجلس) . ان هذه الرسائل تسبب لى هياجا . انها من البواب الذى يعمل فى المبنى الذى يقع عبر الشارع . رجل عجوز فى حوالى السبعين . لقد وقع فى حب مسز تسوكيوكا ، من رؤيته لها عبر النافذة .
- كانيكو : ان ذلك لا يدهشنى . يقولون أن كبار السن بعيدو النظر . (يضحك ، معجبا بنكتته) . اننى لا أستطيع الانتظار حتى أكبر . يبدو أنه شيء مريح أن يكون الشخص بعيد النظر .
- المدام : لقد بعث لها الرجل العجوز بعشرات . . بل مئات . . من الرسائل .
- توياما : اذا أرسل كل رسائله الى نساء مختلفات ، لنجحت احداها .
- كانيكو : هناك شيء صحيح فيما تقول . ولكن ، اذا كان الحب مسألة احتمال ، فلاحتمال من أجل امرأة واحدة ربما يكون نفسه الاحتمال من أجل نساء عديدات .
- فوجيما : هل أطلعتها على الرسائل ؟ أقصد ، مسز تسوكيوكا .
- المدام : كيف يمكننى أن أطلعها عليها ؟ لقد استعملتها لمسح المشط .
- توياما : هل الأمشاط تتسخ بهذا القدر ؟

(١) اصطلاح فى لعبة السلاح .

المام : انها لامشاط كلاي . لدى خمسة كلاب لصيد الثعالب لهم شعر كالسلك . انها تغض عيونها في نشوة تامة عندما أمشطها .

كانيكو : من الذي يجرى أسرع . الحب أم الكلب ؟

فوجيما : الذي يتسخ أسرع ؟

المام : اننى أصاب بدوار عندما أتكلم مع رجال ساخرين مثلكم .

كانيكو : خارج الموضوع مرة أخرى . ماذا حدث لرسائل الغرام ؟

المام : هذا ما قد حدث . والتي كانت تأتي بالرسائل هي الفتاة الحلوة من المكتب المقابل .

توياما : الفتاة التي كانت هنا الآن ؟ ما الحلو فيها ؟

المام : انها لطيفة مؤدبة ، ولاعجائى بها كنت أقبل الرسائل كل يوم . ولكنى لم أحلم أبدا أن أعطى واحدة لمسز تسوكيوكا .

كانيكو : اذا عرفت الفتاة بذلك ، فلن تعطيك رسالة أخرى .

المام : انكم تعذروننى . ضعوا أنفسكم في مكاني . اذا قرأتها مسز تسوكيوكا وأصبحت قلقة ...

(طرق على الباب)

المام : والآن ماذا أفعل ؟ انها مسز تسوكيوكا .

كانيكو : انتباه . (هاناكو تدخل) سلام !

يوياما : (يحاول التعلق بها) . يالك من قاسسية ، أن تتأخرى مرة أخرى .

فوجيما : كنا نتوقعك في كل دقيقة .

المام : انك تبدين جميلة دائما ، رغم أنى أراك باستمرار .

(هاناكو لا تجيب ، تخلع قفازيها وهي تبتسم) .

المام : (محاولة أن تأخذ المبادرة) . كل واحد كان منتظرا على نار ،

اننى لا أريد أن أضيع دقيقة أخرى . سنبدأ القياس في الحال .

(تتفحص هاناكو من الأمام ومن الخلف .) في الواقع الموديل

أنيق ويناسب تماما خطوطك الرشيقة . ولكن في طقم ربيعى ،

أليس كذلك ، أعتقد يجب أن نحاول . . . ومع قوامك يمكن انجاز

تصميم رياضى . في الواقع لقد كنت جريئة هذه المرة في التفصيل .

الخطوط بسيطة ، بسيطة بشكل رائع . مجرد ثنيات ظاهرة على

جانبي الوسط . كما اقترحت . رائع جدا . وكأنه توكيد على العمل الفني . . . والآن . هل تسمحي بالدخول الى غرفة القياس ؟ سيكون لدينا وقت لفنجان من القهوة فيما بعد .

كانيكو : لقد جاءتك رسالة غرامية يا مسز تسوكيوكا . رسالة حب . .
خمني كم عمر الرجل الذي بعث بها . عشرون ؟ ثلاثون ؟ أكبر ؟
(هاناكو ترفع أصبعها واحدا .)

توياما : كلا ، كلا . انه ليس بتلميذ ثانوى .

(ترفع هاناكو وهي تبسم اصبعين ، فيهز الآخرون رؤوسهم .
ترفع اصبعها آخر كل مرة حتى ترفع فى النهاية سبع أصابع مع نظرة عدم تصديق) .

كانيكو : لقد خمنتها أخيرا . سبعون عاما هي سن الحجل واحمرار الوجه .
لقد قالوا بأنه بواب العمارة المقابلة ، عبر الشارع .

(المدام ، مرتبة ، تحكم اغلاق الستائر . ايواكيتشى ، فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى يحملق بثبات فى النافذة المغلقة . وأثناء الاستراحة يناول كانيكو الرسالة لهاناكو . تفتحها . يقف الآخرون خلفها وينظرون من فوق كتفها) .

توياما : (يقرأ) . « من فضلك اقرئى التعبير الثلاثين لحيى وضحيه لقلبك » ، لقد كذبت المدام ثانية . قالت بأنه يوجد مئات الرسائل؟ وليكن فى علمك يا مسز تسوكيوكا ، أن المدام قد اختلست جميع الرسائل السابقة .

كانيكو : (يقرأ) . « ان حبي ليس أمامه الا أن يقوى مع مرور الأيام . ولكي تندمل ندوب سوط الحب الذى يعذب جسدى المسن صباحا ومساء ، أطلب قبلة ، قبلة واحدة فقط » . أليس ذلك مؤثرا ؟ كل ما يريده قبلة واحدة فقط .
(ينفجر الجميع فى الضحك) .

توياما : مجرد قبلة واحدة ؟ انه متواضع فى مطالبه .

فوجيما : ان ذلك يدهشنى فى الواقع . الرجال الكبار السن أصغر منا فى قلوبهم هذه الأيام .

المدام : هل هذه هى نوعية الرسائل التى يكتبها ؟ اعترف أننى لم أقرأ جهوده الأخرى . (يمررون الرسالة اليها .) أوه ، يا الهى .

(تقرأ) « ان ما ندعوه حبا ، هو أسي خالد . لا ينتهى » .
مبتذل ، أليس كذلك ؟ انه قد يقول أيضا : « ان ما ندعوه خلا .
لا يشبه العسل ، هو مصدر للمرارة لا ينتهى » .

كانيكو : هذا الرجل العجوز يعتقد أنه الشخص الوحيد الذى يقاسى .
انه تصور مقيت . كلنا نقاسى بنفس الطريقة بالضبط . الاختلاف
الوحيد هو أن بعض الناس يتكلمون عنه والآخرين لا يتكلمون .

فوجيما : ذلك لأن لدينا احترام للذات ، أليس كذلك ؟

توياما : حتى أنا أستطيع فهم هذا القدر . لا أستطيع تحمل النعمة التى
توحى بأنه الوحيد الذى يعرف الحب الحقيقى ، وأن الآخرين كلهم
تافهون ومتقلبون .

كانيكو : سأكون مسرورا لأبين لأى شخص يرغب أن يرى كم نقاسى
مرارا وتكرارا لنتحمل خداع أنفسنا . . نحن ، جميعنا ، يا من
نعيش فى هذه الأيام الفاسدة .

فوجيما : ليس هناك شئ يمكنك أن تفعله ازاء الناس المندفعين فى
طرقهم . لا بد أنه يعتقد بوجود مقاعد خاصة محجوزة للحب .

توياما : رومانتيكى .

المام : لا يجب على اصبية الصنغار ان يتدخلوا فى محادثة الكبار .
لقد أصبحت المجادلة خطيرة . (ترون جرسا) أليس هذا ساحرا ،
يا مسز تسوكيوكا ، كيف يفعل الرجال بسبب مجادلة ؟

كانيكو : (وكأنه يلقي خطبة) . أعتقد أنى أستطيع القول دون خوف
من انكار بأننا مقتنعون بأن وجود هذا الرجل العجوز يعتبر شيئا
مقبوتا ، وأن مثل هذه الكائنات لا يمكن أن نحتملها أكثر من
ذلك . . نحن الكائنات التى تؤمن بالأحاسيس الأصلية . لا توجد
قرية مهما كانت نائية الا وتبيع كعكة ناجازاكي الاسفنجية الأصلية
والأصيلة . انى أحقر أى صاحب محل يعتقد حقا فى الكلام
الفارغ ، ويبيع بكل سخافة الكعكة على أنها أصيلة ، بل من
الأفضل أن يبيعها مغللا بأنها زائفة . ان هذا يجعل البيع غشنا
واحتيالا وهو نتاج رائع من انتاج العقل البشرى الواعى . . ان لنا
السنة تتعرف على مذاق الكعكة الاسفنجية : وجبنا يبدأ من
اللسان .

المدام : يا للشهوة ! •

كانيكو : اللسان لا يعرف الفرق بين « أصيلة » وبين « أصلية » ..
اللسان يعتمد على الاحساس بالمذاق الشائع لكل الناس • اللسان
يمكن أن يقول : « هذا مذاقه حلو » • وتواضعه الطبيعي يمنعه
أن يقول أكثر من ذلك • « أما الأصيلة والأصلية » فهي مجرد بطاقة
يلصقها الناس على الغلاف • واللسان يقصر نفسه على تحديد إذا
كانت الكعكة الاسفنجية حلوة المذاق أم لا •

عاملة المحل : (تدخل) • هل ضربت الجرس ؟

المدام : انه لم يكن من أجل كعكة اسفنجية • ماذا كان السبب ؟ أوه ،
أجل • • من فضلك احضري خمسة فناجين من القهوة حالا •

العاملة : حاضر يا مدام •

كانيكو : كل المسائل نسبية • والحب هو فن الهندسة المعمارية لعاطفة
الانكار في الأمور الأصيلة • وذلك الرجل العجوز ، من ناحية
ثانية ، نحس ، ملوث • • انه يستغفلنا جميعنا • انه مسرور بنفسه
منتفخ بالكبرياء •

فوجيما : أخشى أن ما تقول يصعب على شخص مثلي لم يتعلم أن يتتبعه ،
لكن مدرسي قال لي أن كل المجادلات عن من كان الموظف الكبير في
الشركة ، أو ما هو أقدم تقليد في الرقص • ليس له أية فائدة
تذكر للفن نفسه • وقال أن الجو الحقيقي الوحيد للرقص هو حيث
يمكن أداء ايماءة للأمام وايماءة للخلف في حرية مطلقة • • وذلك
العجوز متلهف جدا لتأسيس مدرسة لنفسه فهو (يقلد حركات
الرقص) واحد واثنين وقفزة للجانب • • يهمل العوالم الحرة غير
المقيدة لنشوة الحب •

توياما : وماذا تفكرين بخصوص كل هذا يا مسز تسوكيوكا ؟ ليس لطيفا
منك أن تظلي صامتة هكذا • لكني أقول أنه ليس كريها تماما
استلام رسائل حب حتى من مثل هذا العجوز • أليس الموضوع
هكذا ؟ قولي شيئا يا غار القمر •

المدام : مسز تسوكيوكا مهذبة النشأة ، وأنا متأكدة من أنها لا تحب
المجادلات •

توياما : ولكنها مع ذلك مغرمة جدا بتعذيب الناس •

المام : هذا مذاق شائع بين جميع النساء الجميلات .
فوجيما : وبين من هن سيصبحن نساء جميلات ، كما يقولون .
المام : بخصوص الألوان ، فالتى تناسبها أكثر هى الألوان الصعبة مثل
الأخضر .

كانيكو : وهذه الألوان ، بالطبع لا ترتديها للجمهور . انها تدخرها
للابسها الليلية عند النوم وتظهر بأنها لا تدرى بأنها تليق عليها .
نوياما : يمكننى اثبات أن مسز تسوكيوكا لم ترتد ثياب نوم خضراء
مطلقا .

كانيكو : لقد أصبحت صفيقا بشكل متزايد مؤخرا .
المام : كفى ، كفى .
(تدخل العاملة بالقهوة . يشرب الجميع بدون تعجل)

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى)

ايواكيتشى : ترى ما الخطب . لماذا لا يفتحون الستائر ؟ أوه ، الترقب
القلق . كل ما استطعت الحصول عليه هو مجرد لمحة سريعة لها .
وكنت متأكدا أنها الليلة ستشفق بحالى وتقف على الأقل بالنافذة
وتبتسم لى ، مثل صورة فى اطار . ولكنى لم أفقد الأمل بعد .
كلا لن أفقد الأمل .

(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى)

كانيكو : حسن ، والآن .
فوجيما : أو بس ! (تنسكب القهوة على حجره ويمسحها .)
كانيكو : ما الخبر ؟
فوجيما : فكرة جميلة خطرت لى وأنا أشرب القهوة .
كانيكو : لقد كنت أفكر أيضا فيما يجب أن تفعله لنعلم هذا العجوز
درسا صغيرا ، ما رأيك يا مسز تسوكيوكا ؟ عموما . . .
فوجيما : كانت خطتى . . .

كانيكو : (لا يعره انتباها) . عموما ، فمثل هذه الكائنات غير قادرة على
رؤية النور الا بعد توقيع العقاب عليها . فلا حاجة لنا أن نشفق
عليه لأنه ببساطة رجل عجوز . من الضروري أن نجعله يعى بأنه
حيث يعيش فالمكان ضيق ، ولن يدخل أحد .

توياما : تقصد أن الآدميين لن يدخلوا بيوت الكلاب ؟

كانيكو : (مستطردا مزاجه الرائق) . أجل بالضبط .

فوجيما : خطتي هي كالآتي . (يفك اللفة الملفوفة بقطعة الحرير الأرجوانية اللون فتظهر طبلة يد صغيرة) . هل ترون هذه ؟

المدام : انها طبلة ، أليس كذلك ؟

فوجيما : انها طبلة مزيفة أستعين بها في مسرحيتي الراقصة القادمة .

أوه . وحيث اننى ذكرت المسرحية ، يجب أن أشكرك يا مسز تسوكيوكا . . . التذاكر . . . على أية حال ، بالنسبة للطبلة . هل أقرعها لكم ؟ (يقرعها) ترون أنها لا تصدر أدنى صوت . انها تشبه طبلة حقيقية ولكن بدلا من الجلد ، الذى هو أساسى بالطبع ، فهي مغطاة بالحرير . . .

توياما : تقصد أنهم اخترعوا طبلة لا تصدر أي صوت ؟

فوجيما : كلا ، انها كما كنت أقول ، مزيفة يستعان بها فى الاخراج المسرحى والسينمائى كالأثاث والملابس . . .

كانيكا : وماذا تقترح أن نفعل بها ؟

فوجيما : أن نرفق بهذه الطبلة ملاحظة مكتوبة فى ورقة صغيرة ونلقى بهما فى حجرة العجوز . وعندى فكرة مدهشة نكتبها فى الملاحظة .

المدام : ان ذلك يبدو مثيرا . أخبرنا .

فوجيما : فى الملاحظة سنكتب : « من فضلك اقرع هذه الطبلة » هل تسمعوننى ؟ « من فضلك اقرع هذه الطبلة » فاذا أمكن سماع طبلك فى هذه الحجرة أعلى من ضوضاء الشارع ، سوف أحقق رغبتك . . وكفى !

توياما : فكرة ممتازة ! إن ذلك سيحط من قدر العجوز درجة أو اثنتين .

كانيكو : ألا تعتقد بأنك يجب أن تضيف : « واذا لم يصلنى الصوت فرغبتك لن تتحقق » ؟

فوجيما : ان هذا المعنى موحود ضمنا .

كانيكو : فى المراسلات الدبلوماسية لا يمكنك أن تكون حريصا لهذه الدرجة .

فوجيما : (منفعلا) ألا تعتقد أن فكرة جيدة يا مسز تسوكيوكا ؟

ساكون سعيدا بالتضحية بهذه الأداة لحمايتك . . .

توياما : من أجل عميلة اشترت مائة تذكرة ، فما قيمة طبلة ؟
فوجيما : سوف أشكرك ألا تفسرها بهذه الكيفية • مسز تسوكيوكا ،
انك توافقين أليس كذلك ؟ (هاناكو تومي • وهي تبتسم) •

المدام : ان ذلك سيريحني بالتأكيد • وقد يكون ذلك آخر يوم يضايقنا
فيه العجوز •

فوجيما : هيا ، أين الورق والقلم ؟

(فوجيما يكتب ملاحظة ليرفقاها بالطبلة • تسحب المدام الستائر •
يوجهوا هاناكو الى النافذة التي يفتحها كانيكو) •

كانيكو : ان حجرتي في ظلام دامس • هل أنت متأكدة أن العجوز
هناك ؟

المدام : ان الفتاة التي تأتي برسائله تقول أنه يحملق في هذه النافذة
الى أن تغادر مسز تسوكيوكا •

كانيكو : ما زلت لا أدري اذا كانت أصواتنا ستصل اليه •

توياما : ان ذلك سيكون على مسئوليتي • آوه ، أليس المنظر جميلا
هنا حيث أضواء النيون في كل مكان ؟

فوجيما : من سيرمي الطبلة ؟

كانيكو : أنا كنت هدافا ذائع الصيت في أيام الدراسة •

(يحرك ذراعه استعدادا •)

توياما : هاى ! ايواكيتشى ! افتح نافذتك !

(تفتح النافذة • يظهر ايواكيتشى نفسه بجبن •)

توياما : هل تستطيع سماعي ؟ سوف نرمي لك بشيء • تأكد أن تمسك
به • (ايواكيتشى يهز رأسه • يرمي كانيكو الطبلة • ايواكيتشى
يلقها بالكاد • يأخذ الطبلة الى المكتب •)

ايواكيتشى : ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟ أرسلت لى طبلة • انها تقف
بالنافذة ناظرة الى • انه شيء غريب ، عندما تنظر الى بهذه الطريقة
فكل ما يمكننى فعله أن أمتنع عن اخفاء نفسى • ترى هل تخفى
نفسها منى دائما لأننى أحملق فيها كثيرا • آوه ، ها هى ورقة
مرفقة • (يقرأ) أخيرا ستحقق رغبتى ! ماذا يوجد أفضل من صوت

الطبله حتى تعلو على ضوضاء حركة المرور ؟ لابد أن هذه هي
طريقتها الأنيقة في القول .. انها لا تستطيع نطق كلمة نعم ، ولكن
تقولها بطريقة ملتوية .. أوه ، قلبى يتوجع . انه لم يعرف مطلقا
مثل هذا الفرح من قبل . انه ضعيف ، مثل معدة طفل فقير قبل
وليمة . انه يتوجع لأنه صدم بالسعادة .. انهم جميعهم ينتظرون
في النافذة هناك . لابد من أجل الاستمتاع بذلك . الاستمتاع
بسماع عجوز يقرع الطبل لأول مرة .. آه ، عندى فكرة جيدة .
سأعلق الطبله على شجرة الغار هذه وأقرعها هناك . (يركع أمام
الشجرة) . أيتها الشجرة ، شجرة الغار العزيزة الحبيبة ،
سأهينى . سوف أعلق الطبله فى شعرك الأخضر . ثقيلة ، أليس
كذلك ؟ كونى صبوراً لبرهة فقط . انها تليق بك . انها تليق بك
تماما ، مثل حلية كبيرة جميلة قد سقطت من السماء لتزين شعرك
.. انها رائعة ، أليس كذلك ؟ حتى عندما أبداً فى قرع الطبله ،
فلن أهز أوراقك . اننى لم أكن سعيدا هكذا أمامك من قبل .
وعندما كنت أتطلع اليك كنت أفكر : ان شقائى قد جعلك أكثر
جمالا ، قد جعلك تورقين أوراقك بوفرة أكثر . وهى حقيقة
يا شجرتى ، هى حقيقة .

توياما : هيا أسرع واضرب الطبله . اننا نقف فى البرد ننتظرك !
ايواكيتشى : وهو كذلك ! اننى سأضربها الآن ، فأنصتوا ! (يضرب
الطبله . فلا يصدر أى صوت . يضرب الجانب الآخر . انه صامت
أيضا . يضرب فى جنون ولكن بلا فائدة .) انها لا تصدر صوتا .
انهم أعطونى طبله لا صوت لها ! لقد جعلوا منى شخصا أحمق ..
لقد لعبوا بى . (ينهار على الأرض ويبكى) . ماذا سأفعل ؟ ماذا
سأفعل ؟ سيدة مهذبة مثلها .. تلعب حيلة منحلة كهذه . انه
شئ ما كان يجب أن يحدث مطلقا . لا يمكن أن يحدث .
(الناس فى النافذة فى الجهة اليسرى يضحكون . وتغلق النافذة
بعنف .)

تضحكون ! هيا استمروا فى الضحك ! اضحكوا جميعكم كما
تشاءون ! .. سوف تظلوا تضحكون عندما تموتون . سوف
تضحكون عندما تتعفنون . ولن يحدث ذلك لى . فالناس الذين
تضحكون عليهم لا يموتون هكذا ... والناس الذين تضحكون
عليهم لا يتعفنون . (يفتح النافذة التى فى الخلف . يتسلق على
حافة النافذة . يجلس هناك بلا حراك لدقيقة ، وينظر الى أسفل

• فى حزن • ثم يدفع بنفسه من فوق الحافة فى ايماءة منكسرة •
• صياح من أسفل • صرخات غير واضحة من الزحام تستمر لبرهة •
(فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى جميعهم يثرثرون ويضحكون •
أنهم لا يستطيعون رؤية النافذة التى انتحروا منها العجوز ، وهم غير
واعين لما قد حدث • وفجأة يفتح الباب •)

العاملة : البواب الذى فى العمارة المقابلة قفز من النافذة وقتل نفسه •
(نهضوا وهم يصرخون صرخات مضطربة • البعض اندفع نحو
النافذة ، والبعض الآخر ركض نحو السلالم • هاناكو تقف وحيدة
بشكل متصلب فى منتصف المسرح •)

(الوقت متأخر بالليل • السماء بين المبنيين مملوءة بالانجسوم •
وساعة على رف فى الحجرة الواقعة فى الجهة اليسرى تعزف ترنيمتين
رقيقتين • الحجرة حالكة الظلام •• ونسمع صوت مفتاح يولج فى
الباب • يفتح الباب • يسطع شعاع ضوء كشاف • تدخل
هاناكو • ترتدى سترة قصيرة تغطى كتفها فوق ثوب السهرة •
وتمسك فى احدى يديها بالمفتاح وفى الأخرى بنور كشاف •
تضع المفتاح فى حقيبة يدها • تذهب الى النافذة ، تفتحها ، وتحملق
بلا حراك فى النافذة الواقعة فى الجهة اليمنى •)

هاناكو : (صوتها خفيض • تتكلم وكأنها تتكلم مع شخص موجود) •
لقد أتيت • لقد طلبت منى أن أحضر فأتيت • لقد تسلمت من
حفلة ، رغم أننا فى منتصف الليل •• رد على من فضلك • ألسنت
هناك ؟ •

(تنفتح النافذة الواقعة فى خلف الحجرة التى فى الجهة اليمنى •
ويتسلق منها شبح ايواكيتشى ، نفس النافذة التى قفز منها •
ومشى نحو اليسار • وانفتحت النافذة اليسرى المواجهة بالتدريج
اثناء اقترابه منها •)

هاناكو : لقد أتيت •• لقد أتيت بالفعل •

ايواكيتشى : لقد كنت أغدو وأجيب • بين أحلامك وهذه الحجرة •

هاناكو : لقد طلبتنى وهأنذا هنا • ولكنك لازلت لا تعرفنى • لا تعرف
كيف استطعت المجيء •

ايواكيتشى : لأننى سحبتك الى هنا •

هاناكو : كلا • بدون قوة آدمية لا يفتح باب لآدمى للمرور منه •

ايواكيتشى : هل تنوى أن تخدعى حتى الشبح ؟

هاناكو : من أين لي بالقوة ؟ ان قوتي كانت تكفى فقط لقتل عجوز جدير بالشفقة . وحتى في ذلك كل ما فعلته هو مجرد ايماءة . لم أفعل شيئا آخر . (ايواكيتشى لا يجيب) هل تسمعنى ؟ (ايواكيتشى يومئ) صوتى يصل حتى عندما أتكلم بصوت خفيض كهذا . ولكن عندما أتكلم مع الناس فلا يستطيعون سماعى الا اذا صحت كان من الأفضل لو لم تصل الأصوات من هذه الحجرة الى حجرتك .

ايواكيتشى : السماء مليئة بالنجوم . لا يمكنك رؤية القمر . لقد تغطى القمر بالطين وسقط في الوحل . كنت ألاحق القمر عندما قفزت . يمكنك أن تقولى أن القمر وأنا قد انتحرننا سويا .

هاناكو : (ناظرة أسفل الى الشارع) . يمكنك أن ترى جثة القمر ؟ أنا لا أراها . فقط سيارات الأجرة العائمة طوال الليل تعبر الشوارع . وهناك رجل شرطة يسير . لقد وقف . ولكنى لا أظن أن ذلك معناه أنه عثر على الجثة . ورجل الشرطة لن يقابل سوى رجل شرطة يأتى من الاتجاه المقابل . هل هو مرآة ، انى أتساءل ؟

ايواكيتشى : هل تعتقدين أن الأشباح تقابل أشباحا فقط ، والقمر يقابل القمر فقط ؟

هاناكو : فى منتصف الليل هذا حقيقى عن كل شيء . (تشعل سيجارة) .

ايواكيتشى : اننى لم أعد وهما . كنت وهما عندما كنت حيا . والآن كل ما تبقى هو ما اعتدت أن أحلم به . . لم يعد أحد يستطيع أن يخيب ظنى .

هاناكو : أستطيع أن أرى أنك لست تجسيدا للحب . أنا لا أقصد أن أنتقد نمو لحيتك أو زى البوايين أو قميصك الداخلى المبلل بالعرق هناك شيء ناقص . . شيء يحتاجه حبك قبل أن يتخذ شكلا . ولا يوجد دليل يثبت أن حبك فى هذا العالم كان حقيقيا ، وان كان هذا هو السبب الوحيد الذى مت بسببه .

ايواكيتشى : هل تريدین دليلا من شبح ؟ (يفرغ جيو به) ان الأشباح لا تملك شيئا . لقد فقدت كل ما كان يمكن أن أقدمه كدليل . .

هاناكو : أن لدى كثيرا من الأدلة • فالمرأة ببساطة تعرف الكثير من أدلة الحب • وعندما تقدم آخر دليل على الحب فإنها تكون عندئذ ممثلة بدلائل أن الحب قد ولى وذهب • هذا لأن النساء لديهن الأدلة على أن الرجال يستطيعون أن يحبوا وهم خاليو الوفاض •

ايواكيتشى : من فضلك لا تبينى لى مثل هذه الأشياء •

هاناكو : منذ قليل فتحت الباب ودخلت ، أليس كذلك ؟ من أين تعتقد حصلت على مفتاح الباب ؟ •

ايواكيتشى : من فضلك لا تسألينى عن مثل هذه الأشياء •

هاناكو : لقد سرقت المفتاح من جيب المدام • هل تدري ، أن أصابعى رشيقة جدا • ان اكتشافى أن مهارتى فى النشل لم تغادرنى بعد ، أعطتنى سعادة عظيمة •

ايواكيتشى : اننى أفهم الآن • انك تخافين من تماسكى ، وتحاولين أن تجعلينى أكرهك • لابد أنه ذلك •

هاناكو : اذن هل أريك ؟ لقد أعطيتنى اسما مناسباً جدا ، أميرة القمر • لقد اعتدت أن أعرف بلقب مختلف ، لقب الهلال ، من وشم فوق بطنى • وشم لهلال •

ايواكيتشى : آه - ها - ها •

هاناكو : لم أكن أنا التى طلبت هذا الوشم لنفسى • لقد فعل ذلك رجل وبعنف • وعندما أشرب يتحول الهلال الى لون أحمر ساطع ، وله عادة لون شاحب كوجه رجل ميت •

ايواكيتشى : يا عاهرة ! لقد جعلت منى أحرق مرتين • مرة واحدة كانت لا تكفى !؟

هاناكو : مرة واحدة كانت لا تكفى • أجل ، تمام ، كانت لا تكفى • حتى يرتوى حبنا أو حتى يدمر •

ايواكيتشى : لقد تسممت برجال كانوا غير صادقين •

هاناكو : ليس كذلك ، فالرجال الذين كانوا غير صادقين قد شكلونى •

ايواكيتشى : لقد خدعت لآئننى كنت صادقا •

- هاناكو : ليس كذلك ، لقد خدعت لأنك كنت عجوزا .
- (الحجرة الواقعة فى الجهة اليمنى تصبح حمراء بغضب الشبح .
وتظهر شجرة انغار فى الوهج وعليها الطبله المعلقة .)
- ايواكيتشى : ألا تخجلين من نفسك ؟ ساحل لعنة عليك .
- هاناكو : ان هذا لا يخيفنى على الاطلاق . لأنى قوية الآن . . انى أشعر
بأن هناك من أحببى !
- ايواكيتشى : من ؟!
- هانلكو : أنت .
- ايواكيتشى : هل قوة حبى هى التى جعلتك تقولين الحقيقة ؟
- هاناكو : انظر الى . . لست أنا التى أحببت حقا (تضحك) . لقد
حاولت أن تنزل اللعنة على . ان الرجال الحمقى كلهم كذلك .
- ايواكيتشى : كلا ، كلا . اننى أحبك ، ومشبوب العاطفة . كل واحد فى
عالم الموتى يعرف ذلك .
- هاناكو : لا أحد يعرف ذلك فى هذا العالم .
- ايواكيتشى : لأن الطبله لم تصدر صوتا ؟
- هاناكو : أجل ، لأننى لم أستطع سماعها .
- ايواكيتشى : انها كانت غلطة الطبله . . فالطبله الحريرية لا تصدر أى
صوت .
- هاناكو : انها لم تكن غلطة الطبله أنها لم تصدر صوتا .
- ايواكيتشى : اننى أشتاق لك ، حتى الآن .
- هاناكو : حتى الآن ! لقد مت منذ أسبوع بطوله .
- ايواكيتشى : اننى أشتاق لك . سأحاول أن أجعل الطبله ترن .
- هاناكو : تجعلها ترن . لقد جئت لأسمعها .
- ايواكيتشى : سيحدث . ان حبى سيجعل الطبله الحريرية تدق كالرعد . .
(شبح ايواكيتشى يضرب الطبله . تصدر صوتا كاملا . .) انها
أصدرت صوتا ! انها أصدرت صوتا ! سمعتها ، أليس كذلك ؟
- هاناكو : (مبتسمة بمكر) لا أستطيع سماع شيء . .

ايواكيتشى : لا تستطيعين سماع هذا ؟ لا يمكن ، انظرى سأضربها مرة
مقابل كل رسالة كتبتها لك . مرة ، مرتان ، يمكنك سماعها ،
أعرف ، ثلاث ، أربع الطبله قد رنت . (الطبله ترن) .

هاناكو : لا أستطيع سماعها . أين صوتها ؟

ايواكيتشى : لا تستطيعين سماعها ؟ انك تكذبين . لا تستطيعين سماعها ؟
عشر ، احد عشر . لا تستطيعين سماع هذا ؟

هاناكو : لا أستطيع سماع صوت أية طبله .

ايواكيتشى : انها كذبة ! (فى غضب) لن أدعك تقولينها . . انك
لا تسمعين ما أسمع . عشرون ، واحد وعشرون ، انها ترن .

هاناكو : لا أستطيع سماعها . لا أستطيع سماعها !

ايواكيتشى : ثلاثون ، واحد وثلاثون ، اثنان وثلاثون . . . لا يمكنك
قول انك لا تسمعينها . الطبله ترن . الطبله لم ترن أبدا . . ترن
الآن . .

هاناكو : آه ، أسرع واجعلها ترن . أذنأى تحنان لسماع الطبل .

ايواكيتشى : ست وستون ، سبع وستون يمكن أن تكون أذنأى
فقط هى التى تسمع الطبله ؟

هاناكو : (فى يأس ، لنفسها) . آه ، انه نفس الشيء كالأحياء من
الرجال .

ايواكيتشى : (فى يأس ، لنفسه) . من يستطيع اثبات ذلك . . انها
تسمع الطبله ؟

هاناكو : لا أستطيع سماعها . لازلت لا أستطيع سماعها .

ايواكيتشى : (بضعف) تسع وثمانون ، تسعون ، واحد وتسعون . .
ستنتهى حالا . هل تخيلت فقط أنى أسمع صوت الطبله ؟ (الطبله
تستمر فى اصدار صوتها) لا فائدة . انها مضیعة للوقت . الطبله
لن ترن على الاطلاق ، أليس كذلك ؟ أضربها مهما أضربها ، فهى
طبله حريرية !

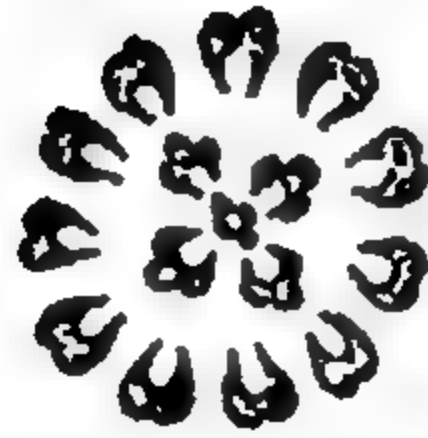
هاناكو : بسرعة ، اضربها حتى أستطيع سماعها . لا تيأس . بسرعة ،
حتى ترن فى أذننى . . (تمد يدها من النافذة .) لا تيأس !

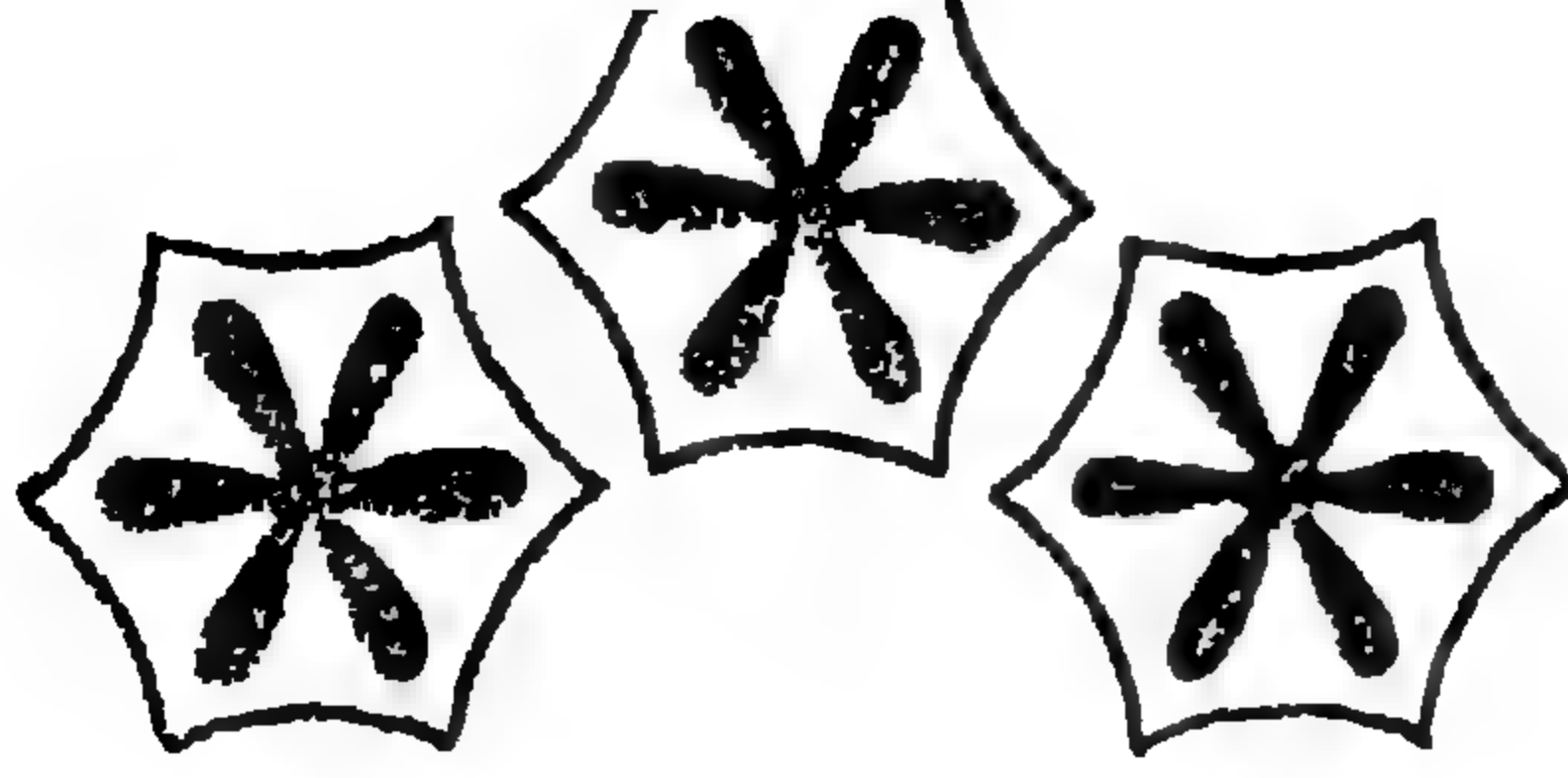
ايواكيتشى : أربع وتسعون ، خمس وتسعون ٠٠ لا فائدة ، فالطبله
لا تصدر أى صوت ٠ ما فائدة ضرب طبله بكما ؟ ٠٠٠ سبت
وتسعون ، سبع وتسعون ٠٠ وداعا يا أميرة الغار ٠٠ وداعا ٠٠
ثمان وتسعون ، تسع وتسعون ٠٠٠ وداعا ، لقد أنهيت مائة
ضربة ٠٠٠ وداعا ٠ (يختفى الشبح ٠ يتوقف الضرب ٠ تقف
هاناكو وحدها ، ونظرة جوفاء على وجهها ٠ توياما يدخل مندفعاً
فى انفعال) ٠

توياما : هل أنت هنا ؟ أوه ، لقد ارتحت ٠٠ لقد خرجنا جميعاً نبحث
عناك ٠ ماذا حدث لك ؟ تركضين هكذا فى منتصف الليل ٠ ماذا
حدث لك ؟ (يهزها) ٠ تماسكى ٠

هاناكو : (كأنها فى حلم) لقد كنت سأسمع صوت الطبله لو أنه ضربها
مرة أخرى ٠

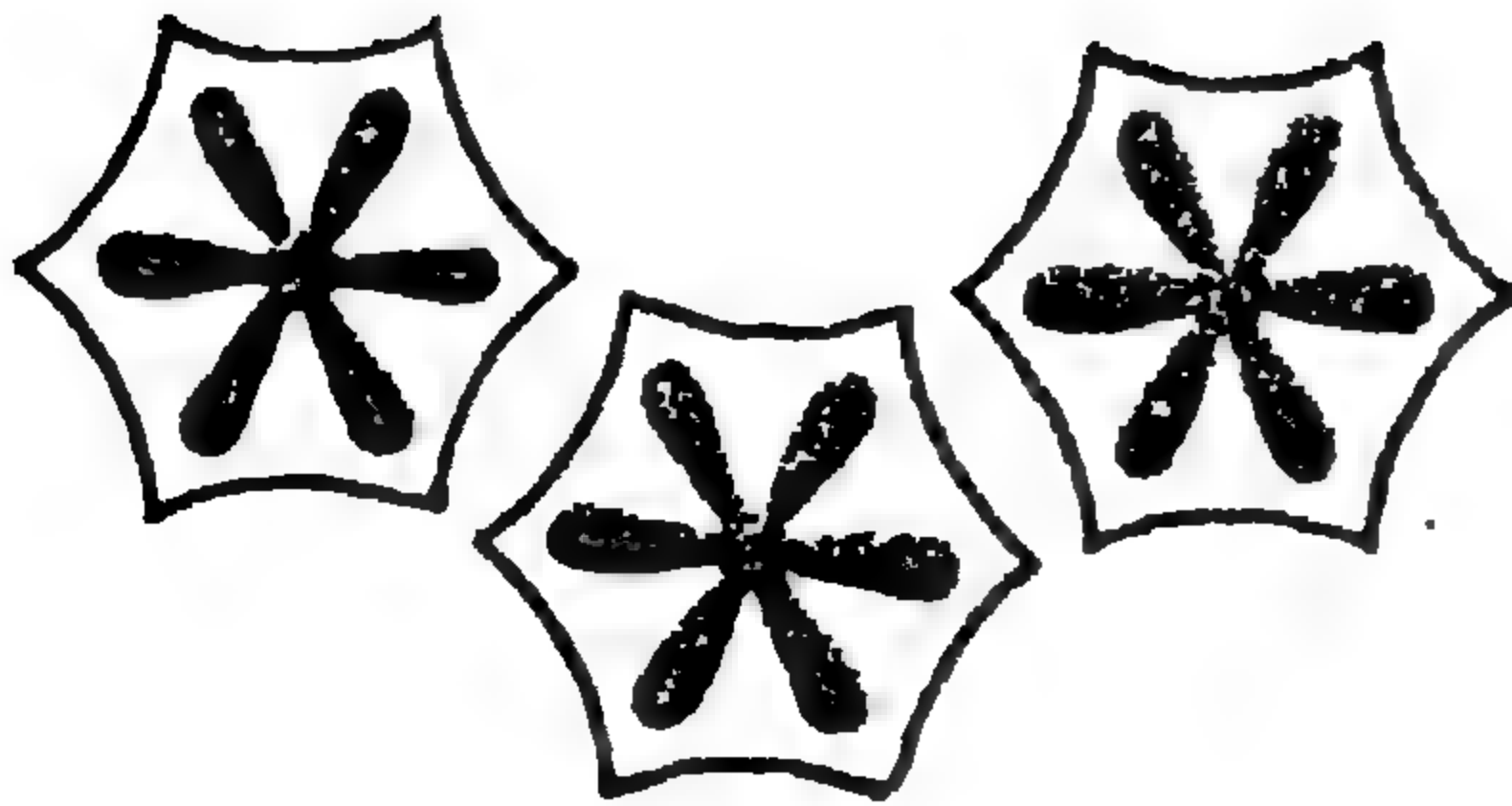
ستار





مسرقيات الفصل الواحد

• المجنون فوق السطح



المجنون فوق السطح (١)

للكاتب

خان كيكوتشى

★ خان كيكوتشى (١٨٨٨ - ١٩٤٨) :

من أشهر كتاب اليابان • وتلقى تعليمه بمدارس طوكيو وكيوتو •
كان صديقا لرايونوسوكى اكو تاچاوا من أيام الدراسة • وكان كاتبا
خصبا مثمرا ، كون ثروة كبيرة من مسلسلاته فى المجلات ومن
مسرحياته • ولكن أكثر أعماله قيمة هى كتاباته التى أنتجها قبل عام
١٩٢٠ • ولقد نشرت « المجنون فوق السطح » عام ١٩١٦ •

الشخصيات

يوشيتارو كاتسوشىما : المجنون فى الرابعة والعشرين من عمره •
سويجىرو كاتسوشىما : أخوه فى السابعة عشرة وطالب بالمدرسة
ال ثانوية •

جيسوكى كاتسوشىما : الأب

أويوشى كاتسوشىما : الأم

توساكو : جار

كيتشىجى : خادم فى العشرين من عمره •

كاهنة : فى حوالى الخمسين من العمر •

(١) عن الترجمة الانجليزية ليوزان ايواساكى وجلين هوجس •

المكان : جزيرة صغيرة فى بحر اليابان الداخلى :

الزمن : سنة ١٩٠٠ .

المنظر على المسرح يعرض الحديقة الخلفية لمنزل عائلة كاتسوشيما
وهى أغنى عائلة فى الجزيرة . ويوجد سور من البامبو يحجب رؤية المنزل،
فلا يظهر منه سوى السطح العالى الذى يبدو بارزا قبالة سماء صيف
الجزيرة الجنوبية ذات اللون الأخضر الزاهى . . ويمكن رؤية البحر من
الجانب الأيسر للمسرح ساطعا تحت ضوء الشمس . ويجلس
يوشيتارو ، الابن الأكبر للأسرة منفرج الساقين على حافة السطح ناظرا
الى البحر .

جيسوكى : (يتحدث من داخل المنزل) يوشى يجلس فوق السطح مرة
أخرى . سيصاب بضربة شمس . . الشمس قوية بشكل فظيع .
(خارجا) كيتشىجى ! أين كيتشىجى ؟

كيتشىجى : (يظهر من الجهة اليمنى) نعم ! ماذا تريد ؟

جيسوكى : أنزل يوشيتارو من فوق السطح . أنه جالس فى الشمس
الحارة وبدون قبعة . سيصاب بضربة شمس . كيف صعد هناك ؟
أريد أن أعرف ؟ من الشئونة ؟ ألم تضع أسلاكاً حول سطح الشئونة
كما أخبرتك ذلك اليوم ؟

كيتشىجى : أجل . لقد فعلت كما قلت بالضبط .

جيسوكى : (يمر عبر البوابة الى منتصف المسرح ناظرا الى السطح)
لا أدري كيف يتحمل الجلوس فوق سطح من الازدواز . . (ينادى)
يوشيتارو ! من الأفضل أن تنزل . اذا بقيت فوق السطح هكذا
ستصاب بضربة شمس ، وقد تودى بحياتك !

كيتشىجى : يا سيدى الشاب ! انزل لو سمحت . ستمرض اذا بقيت
هناك .

جيسوكى : يوشى ! انزل بسرعة ! ماذا تفعل فوق السطح عندك ! أقول لك
انزل !

(ينادى بصوت عال) يوشى !

يوشيتارو : (بلا مبالاة) ماذا ؟

جيسوكى : بدون ماذا .. انزل حالا اذا لم تنزل .. فسوف نأتى وراك بالعصا .

يوشيتارو : (محتجا كطفل مدلل) كلا ، لا أريد . هنا شيء مدهش .
كاهن الاله كومبيرا (٢) فى السحب . يرقص مع ملاك فى ثياب
وردية . انهما يناديانى . لاذهب اليهما (يصرخ فى نشوة) انتظرا !
اننى قادم !

جيسوكى : اذا تكلمت هكذا سوف تسقط كما سقطت قبل ذلك . انك
كسيح ومجنون ... ماذا ستفعل بعد ذلك لتشغل تفكير والديك ؟
انزل يا مجنون !

كيتشيچى : مهما عملت فلن تقنعه بالنزول . ألم يتسلق سطح معبد
هونزن بدون حتى سلم خشبى يتسلق عليه . ان سطحنا منخفضا
مثل هذا أسهل شيء فى العالم بالنسبة له . أقول لك ، انها الأرواح
التي تجعله يتسلق . ولا يوجد شيء يمكن إيقافه .

جيسوكى : قد تكون على حق ، ولكنه يقلقنى حتى الموت . لو أمكننا فقط
اقناعه بالبقاء فى المنزل ، فلا بأس ، حتى ولو أنه أبله دائما
يتسلق كل الأماكن المرتفعة . كل الناس ، حسب ما يقول سويجيرو ،
من هنا الى تاكاموتسو يعرفون حكاية يوشيتارو المجنون .

كيتشيكى : الناس فى الجزيرة ... كل الناس يقولون انه تحت تأثير
روح ثعلب (٣) ولكنى لا أومن بذلك . اننى لم أسمع مطلقا عن
ثعلب يتسلق الأشجار .

جيسوكى : انك على حق . أعتقد أننى أعرف السبب الحقيقى . فى
الوقت الذى ولد فيه يوشيتارو ، اشتريت بندقية مستوردة غالية
الثمن ، وأطلقت النار على كل قرد بالجزيرة . أعتقد أن روح قرد
تتقمصه حاليا .

(٢) شيطان تحول الى البوذية ، وأصبح اله السعادة وشميع البحارة .

(٣) يعتقد فى الحكايات الشعبية اليابانية أن الثعلب يستطيع أن يسحر الناس
ويبتلع الشكل البشرى .

كيتشييجي : هذا ما أعتقد بالضبط . والا ، فكيف له أن يتسلق
الشجر بهذه المهارة ؟ انه يستطيع أن يتسلق أى شئ بدون سلم .
حتى ساكو وهو متسلق محترف ، يعترف بأنه لا يضاهى يوشيتارو .

جيسوكي (بضحكة مريرة) : لا تهزل في ذلك ! انها ليست مادة لضحكك
أن يكون لدى ابن يتسلق دائما فوق السطح . (ينادى مرة أخرى)
يوشيتارو ، انزل ! يوشيتارو ! ... عندما يكون فوق السطح ،
لا يسمعى على الإطلاق . . انه في غاية الاستغراق . لقد اقتلعت
جميع الأشجار المحيطة بالمنزل حتى لا يتسلقها ، ولكن ليس هناك
ما أستطيع أن أفعله ازاء السطح .

كيتشييجي : عندما كنت صبيا ، أذكر أن شجرة الجنكة (٤) كانت
أمام البوابة .

جيسوكي : أجل ، انها كانت من أكبر الأشجار في الجزيرة . لقد
تسلقها يوشيتارو في أحد الأيام حتى قارب أعلاها . وجلس على
فرع منها يرتفع عن الأرض بما لا يقل عن تسعين قدما ، وأخذ يحلم
كالمعتاد . ولم نتوقع أنا ولا زوجتي أن ينزل حيا ، ولكنه بعد
برهة ، ترحلق ونزل . لقد عقدت الدهشة ألسنتنا فعجزنا
عن الكلام .

كيتشييجي : انها كانت معجزة بالتأكيد .

جيسوكي : لهذا السبب أقول أن روح فرد تقتمصه . . (ينادى مرة
أخرى) يوشى ! . . انزل ! . . (يخفض من صوته) كيتشييجي ،
يستحسن أن تصعد الى فوق وتحضره .

كيتشييجي : ولكنه يغضب عندما يصعد أى شخص الى هناك .

جيسوكي : لا تعبأ بغضبه . اسحبه وانزله .

كيتشييجي : حاضر ياسيدى .

(كيتشييجي يأتى بالسلم الخشبي ، ويدخل توساكو الجار)

توساكو : يوم طيب ياسيدى .

جيسوكي : يوم طيب ، والطقس جميل . هل حصلت على شئ بالشبباك
التي فردتها بالأمس ؟

(٤) نوع من الأشجار المنتشرة في الصين واليابان مروجية الورق صفراء الثمار .

توساكو : كلا ، ليس بالكثير . الموسم انتهى .

جيسوكى : ربما الوقت متأخر الآن .

توساكو (ناظرا الى أعلى نحو يوشيتارو) : ابنك فوق السطح مرة أخرى .

جيسوكى : أجل ، كالمعتاد . اننى لا أحب ذلك ، ولكن عندما أحبسه فى غرفة يبدو كالسمنكة خارج الماء . عندئذ تأخذنى به الشفقة فاسمح له بالخروج فيعود مرة أخرى ويصعد الى السطح .

توساكو : ولكنه على كل حال ، لا يضايق أحدا .

جيسوكى : انه يضايقنا نحن . . . اننا نشعر بالخجل عندما يتسلق الى هناك ويصيح .

توساكو : ولكن ابنك الأصغر ، سويجيرو له سجل رائع بالمدرسة ، لابد أن فى ذلك بعض العزاء لك .

جيسوكى : أجل ، انه طالب ممتاز ، وهذا عزاء لى . فاذا كان الاثنان أبلهين ، فلا أدري كيف كنت أستمع فى الحياة . . .

توساكو : على فكرة جاءت كاهنة لتوها الى الجزيرة . ما رأيك فى أن تجعلها تصلى لابنك ؟ هذا فى الحقيقة ما جئتك لأراك من أجله .

جيسوكى : لقد حاولنا الصلاة من قبل ، لكنها لم تأت بآية فائدة .

توساكو : ان هذه الكاهنة تؤمن بالاله كومبيرا . انها تقوم بشتى أنواع المعجزات . والناس يقولون بأن الاله يوحى لها ، ولذلك فصلواتها لها تأثير أقوى من تأثير الكهان العاديين . لماذا لا تحاول أن تجربها مرة ؟

جيسوكى : حسنا . فلنجربها . كم تتقاضى ؟

توساكو : انها لن تأخذ أية نقود الا اذا شفى المريض . فاذا شفى ، تدفع لها ما تجود به .

جيسوكى : سويجيرو يقول بأنه لا يؤمن بالصلاة . . . ولكن ليس هناك ضرر فى أن تدعها تجرب .

(يدخل كيتشىجى حاملا السلم الحشبي ويختفى خلف السور)

توساكو : سأذهب وأحضرها هنا . وفى هذه الأثناء تنزل ابنك من السطح .

جيسوكى : شكرا على اهتمامك • (بعد أن يرى أن توساكو قد ذهب ،
ينادى مرة أخرى) • يوشى ! كن ولدا طيبا وانزل •

كيتشييجى : (الذى وصل الى السطح الآن) : والآن ياسسيدي انزل
معى • اذا بقيت هنا أكثر من ذلك ستصاب بالحمى بالليل •

يوشيتارو : (مبتعدا عن كيتشييجى كما يبتعد البوذى من شخص
كافر) : لا تلمسنى ! • الملائكة أشاروا لى بالمجئ • لم يكن من
المفروض أن تأتى الى هنا • ماذا تريد ؟

كيتشييجى : لاتكلم بهذا الهراء ! انزل من فضلك •
يوشيتارو : اذا لمستنى فستمزقك العفاريت اربا •

(يمسك كيتشييجى يوشيتارو بسرعة من كتفه ويسحبه الى السلم
الخشبى • وفجأة يرضخ يوشيتارو) •

كيتشييجى : لاتثير أية متاعب الآن ، والا ستقع وتؤذى نفسك •
جيسوكى : انتبه ، على مهلك !

(ينزل يوشيتارو الى منتصف المسرح ، يتبعه كيتشييجى •
يوشيتارو يعرج بساقه اليمنى) •

جيسوكى : أو يوشى ! تعال دقيقة واحدة •

أويوشى (من الداخل) : ما الأمر ؟

جيسوكى : لقد بعثت وراء كاهنة •

أويوشى : عليها تفيد • من يدري ؟

جيسوكى : يوشيتارو يقول انه تكلم مع الاله كومبيرا • حسنا ، ان
هذه الكاهنة من أتباع كومبيرا ، لذا فلا بد أنها تستطيع أن
تساعد •

يوشيتارو : (ينظر بقلق) أبى ! لماذا أنزلتمونى ؟ كانت هناك سحابة
ذات خمسة ألوان تندفع نازلة لتأخذنى •

جيسوكى : يا أبله ! لقد قلت ذات مرة بأن هناك سحابة ذات خمسة
ألوان وقفزت من السطح • وهكذا أصبحت كسيحا • سوف
تحضر كاهنة الاله كومبيرا الى هنا اليوم لتطرد روح الشر منك ،
انتظرها ولا تصعد الى السطح ثانية •

(يدخل توساكو موجهة الكاهنة للطريق ، لها وجه خادع) •

توساكو : هذه هي الكاهنة التي حدثتك عنها .

جيسوكي : آه ، عمت مساء . اننى سعيد لقدومك . هذا الولد عار حقا على كل العائلة .

الكاهنة (من غير قصد) : لاتشغل بالك به بعد ذلك . سوف أشفيه فى الحال بمساعدة الاله . . (تنظر الى يوشيتارو) هل هذا هو الابن الذى تعنيه . . ؟

جيسوكي : أجل . انه فى الرابعة والعشرين من عمره ، والشئ الوحيد الذى يتقنه هو تسلق الأماكن العالية .

الكاهنة : وكم مضى عليه وهو بهذه الحالة ؟

جيسوكي : منذ ولادته . حتى عندما كان طفلا رضيعا كان يريد أن يتسلق . وعندما أصبح عمره أربع أو خمس سنوات تسلق ضريح المزار المنخفض ، ثم ضريح مزار بوذا العالى ، وأخيرا تسلق الى رف عال . وعندما أصبح فى السابعة بدأ يتسلق الأشجار . وفى الخامسة عشرة تسلق قمم الجبال ومكث هناك طوال اليوم ، يقول انه يتكلم مع العفاريت والآلهة . ماذا تعتقدن فى هذه المشكلة ؟

الكاهنة : لا أشك أنها روح ثعلب . ساصلى من أجله . (تنظر الى يوشيتارو) أنصت وانتبه الآن ! اننى رسولة الاله كومبيرا . كل ما أقوله يأتى من الاله . .

يوشيتارو (بقلق) : تقولين الاله كومبيرا ؟ هل رأيته ؟

الكاهنة (تحمق فيه) : لا تقل مثل هذه الأشياء الخرقاء ! الاله لا يمكن أن يرى .

يوشيتارو (متهللا) : لقد رأيته عدة مرات ! انه رجل عجوز فى ثياب بيضاء وتاج ذهبى . انه أعز أصدقائى .

الكاهنة : (تؤخذ على غرة بهذا الزعم ، فتتحدث لجيسوكي) : انها روح ثعلب ، لا بأس ، وهى حالة متطرفة جدا . سوف أخاطب الاله . . (تنشد صلاة بطريقة غريبة . يوشيتارو الذى يمسك به كيتشيجى ، يراقب الكاهنة بدون تعبير . تندمج الكاهنة فى انشادها الى أن تصل الى حالة هياج شديد ، وتسقط على الأرض

فى اغماءة • ونهض واقفة على قدميها وتنظر حولها بطريقة غريبة) •

الكاهنة : (فى صوت متغير) • أنا الاله كوميرا !

(سقط الجميع راكعين معبرين عن تبجيلهم ماعدا يوشيتارو) •

الكاهنة (بوقار متكلف) : ان الابن الاكبر لهذه الأسرة تحت سيطرة روح ثعلب • علقوه فوق فرع شجرة وطهروه بدخان أبر الصنوبر الخضراء • واذا لم تفعلوا ذلك ستعاقبون جميعا !

(يغمى عليها مرة أخرى • يظهر مزيد من علامات الاستعجاب) •

الكاهنة (تنهض وتتطلع حولها وكأنها لاتعى ما قد حدث) : ماذا حدث ؟ هل تكلم الاله ؟

جيسوكى : لقد كانت معجزة !

الكاهنة : يجب أن تمتثلوا فى الحال لما قاله الاله •• والا ستعاقبون • احذركم من أجل سلامتكم •

جيسوكى (مترددا بعض الشيء) : كيتشيجى ، اذهب واحضر بعض ابر الصنوبر الخضراء !

اويوشى : كلا ! انه لشيء قاس ، حتى ولو كان أمر الاله ••

الكاهنة : انه لن يتألم ، روح الثعلب التى فى داخله فقط هى التى ستتألم •• الولد نفسه لن يعانى أى ألم على الإطلاق • هيا اسرعوا ! (ناظرة فى ثبات الى يوشيتارو) هل سمعت أمر الاله ؟ •• لقد أخبر الروح أن تترك جسدك قبل أن تؤذيك •

يوشيتارو : انه لم يكن صوت كوميرا • انه لن يتكلم مع كاهنة مثلك •

الكاهنة (مهانة) : سوف أتساهل معك • لكن انتظر ! أيها الثعلب البغيض ، ولا توجه حديثك الى الاله بهذا الشكل •

(يدخل كيتشيجى محتضنا كمية كبيرة من أغصان الصنوبر الخضراء • اويوشى خائفة) •

الكاهنة : احترمى الاله والا ستعاقبين !

(يقوم جيسوكى وكيتشيجى بإشعال النار فى ابر الصنوبر على مضض ، ثم يحضرا يوشيتارو الى النار • يقاومهم عند اقترابه من الدخان) •

يوشيتارو : أبى ! ماذا تفعل بى ؟ أنا لا أحب ذلك ! أنا لا أحب ذلك !
الكاهنة : انه ليس صوته الذى يتكلم . انه الثعلب الذى فى داخله .
الثعلب فقط هو الذى سيتألم .

أويوشى : ولكن هذه قسوة !

(جيسوكى و كيتشىجى يحاولان ضغط وجه يوشيتارو فى الدخان .
وفجأة يصل صوت سويجىرو مناديا داخل المنزل ، ويظهر حاليا .
ويقف مندهشا للمنظر الذى أمامه) .

سويجىرو : ماذا سيحدث هنا ؟ لماذا هذا الدخان ؟

يوشيتارو : (يسعل من الدخان ، وينظر الى أخيه كما ينظر الى منقذ)
أبى و كيتشىجى يضعانى فى الدخان .

سويجىرو (بغضب) : أبى ! ما هذه الحماقة التى تقوم بها الآن ؟
ألم أقل لك مرات ومرات رأى فى مثل هذه الأعمال ؟

جيسوكى : لكن الاله ألهم الكاهنة المعجزة ..

سويجىرو : (مقاطعا) ما هذا الكلام الفارغ ؟ أتقومون بهذه الأعمال
الجنونية لمجرد أنه عاجز .

(بنظرة احتقار للكاهنة ويسحق النار ويخمدنها)

الكاهنة : انتظر ! لقد أشعلت النار بأمر الاله !

(سويجىرو يخمد آخر شرارة من النار ساخرا متهكما) ..

جيسوكى : (بشجاعة أكثر) سويجىرو ، انك متعلم ، بينما أنا لست

متعلما ، لذلك استمعت لك دائما . ولكن هذه النار قد أشعلت
بأمر الاله ولا يجب أن تخمدنها !

سويجىرو : الدخان لن يشفيه . والناس سيضحكون عليك اذا سمعوا
بأنك تحاول أن تطرد ثعلبا . كل آلهة البلد مجتمعين لن يستطيعوا
شفاء مجرد زكام . وهذه الكاهنة محتالة . كل ما تريده هو
النقود !

جيسوكى : ولكن الأطباء لا يستطيعون شفاءه .

سويجىرو : اذا لم يستطع الأطباء ، فلن يستطيع أحد . لقد قلت لك من
قبل بأنه لا يقاسى . واذا كان لوجب علينا أن نفعل شيئا نحوه .

ولكن طالما يستطيع أن يتسلق الى السطح ، فهو سعيد . ولا أحد في البلاد كلياً في مثل سعادته . . وربما في العالم بأسره . علاوة على أنك لو شفيته الآن . ماذا يستطيع أن يفعل ؟ انه في الرابعة والعشرين من عمره ولا يعرف شيئاً ، حتى ولا الألف باء . وليس لديه خبرة عملية . اذا شفى ، سوف يعي بأنه كسيح ، وسيصبح أبأس رجل في الحياة . هل هذا ما تريد أن تراه ؟ . . كل ذلك لأنك تريد أن تجعل منه انساناً عادياً . ولكن اليس من الحماسة أن تصبح انساناً عادياً فقط لتعاني وتتألم ؟ (ناظراً نحو الكاهنة) توساكو ، اذا كنت قد أحضرتها الى هنا ، فمن الأفضل أن تأخذها حالا .

الكاهنة (غاضبة مهانة) : ألا تؤمن بوحى الاله . . سوف تعاقب ! (تبدأ انشادها كما كانت تفعل من قبل . يغمى عليها وتنهض وتتكلم بصوت متغير) . أنا الاله كومبيرا العظيم ! ان ما يقوله اخ المريض ينبعث من أنايته وحبه لنفسه . انه يعلم اذا شفى اخوه . . فسيرث ممتلكات الأسرة . لا تشكوا في هذا الوحي ! **سويجيرو :** (متهيجاً يلقي بالكاهنة أرضاً) . انها كاذبة بغيضة . أيتها الحماة العجوز . (يرفسها) .

الكاهنة : (تنهض على قدميها مستأنفة صوتها العادي) . لقد أذيتنى ! أيتها المتوحش !

سويجيرو : أيتها الدجالة ! أيتها المخادعة !

توساكو : (يحول بينهما) . انتظر أيتها الفتى ! لا داعى لهذا الهياج . **سويجيرو :** (مازال ناثراً) . أيتها الكاذبة ! ان امرأة مثلك لا تفهم الحب الأخوى !

توساكو : سننصرف الآن . انها غلطتى فأنا من أحضرتها .

جيسوكى : (معطياً لتوساكو بعض النقود) . أرجو أن تعذره . انه صغير وعصبى .

الكاهنة : لقد ركلتنى عندما كان الاله يوحى الى . ستكون محظوظاً لو عشت حتى المساء .

سويجيرو : كاذبة !

أويوشي : (مهدئة سويجيرو) : كن عاقلاً وأهدأ الآن . . (للكاهنة) أنا آسفة لما حدث .

الكاهنة (راحلة مع توساكو) : ان القدم التي ركلتني بها ستتغن .
(تخرج الكاهنة مع توساكو) .

جيسوكي (لسويجيرو) : ألا تخاف من أن تعاقب علي ما فعلت ؟
سويجيرو : ان الاله لا يمكن أن يوحى الى مثل هذه المحتالة العجوز .
انها تكذب في كل شيء .

أويوشي : لقد ارتبت فيها من أول وهلة . لو كانت ملهمة من اله حقيقي
لما فعلت مثل هذه الأشياء القاسية .

جيسوكي (بدون أي اصرار) : ربما هو كذلك . ولكن ، ياسويجيرو ،
سيكون أخوك عباً عليك طوال حياتك .

سويجيرو : انه ليس عباً علي الاطلاق ، عندما أصبح ناجحاً ، سوف
أبنى له برجاً فوق قمة الجبل .

جيسوكي (فجأة) : لكن أين ذهب يوشيتارو ؟
كيتشيغي (مشيراً للسطح) : انه فوق هناك .
جيسوكي (مبتسماً) : كالمعتاد .

(أثناء الهياج السابق ، تسلل يوشيتارو منسجياً وتسلق مرة
أخرى فوق السطح ، ينظر الأشخاص الأربعة الموجودون تحت الى
بعضهم البعض ويتسمون) .

سويجيرو : لو كان شخصاً عادياً لأصبح غاضباً منك لوضعه في الدخان،
ولكنه كما ترى .. لقد نسي كل شيء . (ينادي) يوشيتارو !

يوشيتارو (مع كل جنونه الا أنه يكن حباً لأخيه) : سويجيرو ! لقد
سألت كومبيرا فقال أنه لا يعرفها !

سويجيرو (مبتسماً) : انك على صواب . ان الاله سيلهمك أنت ،
لا كاهنة مثلها .

(من خلال فتحة في السحب ، يسطع على السطح نور ذهبي
لغروب الشمس) .

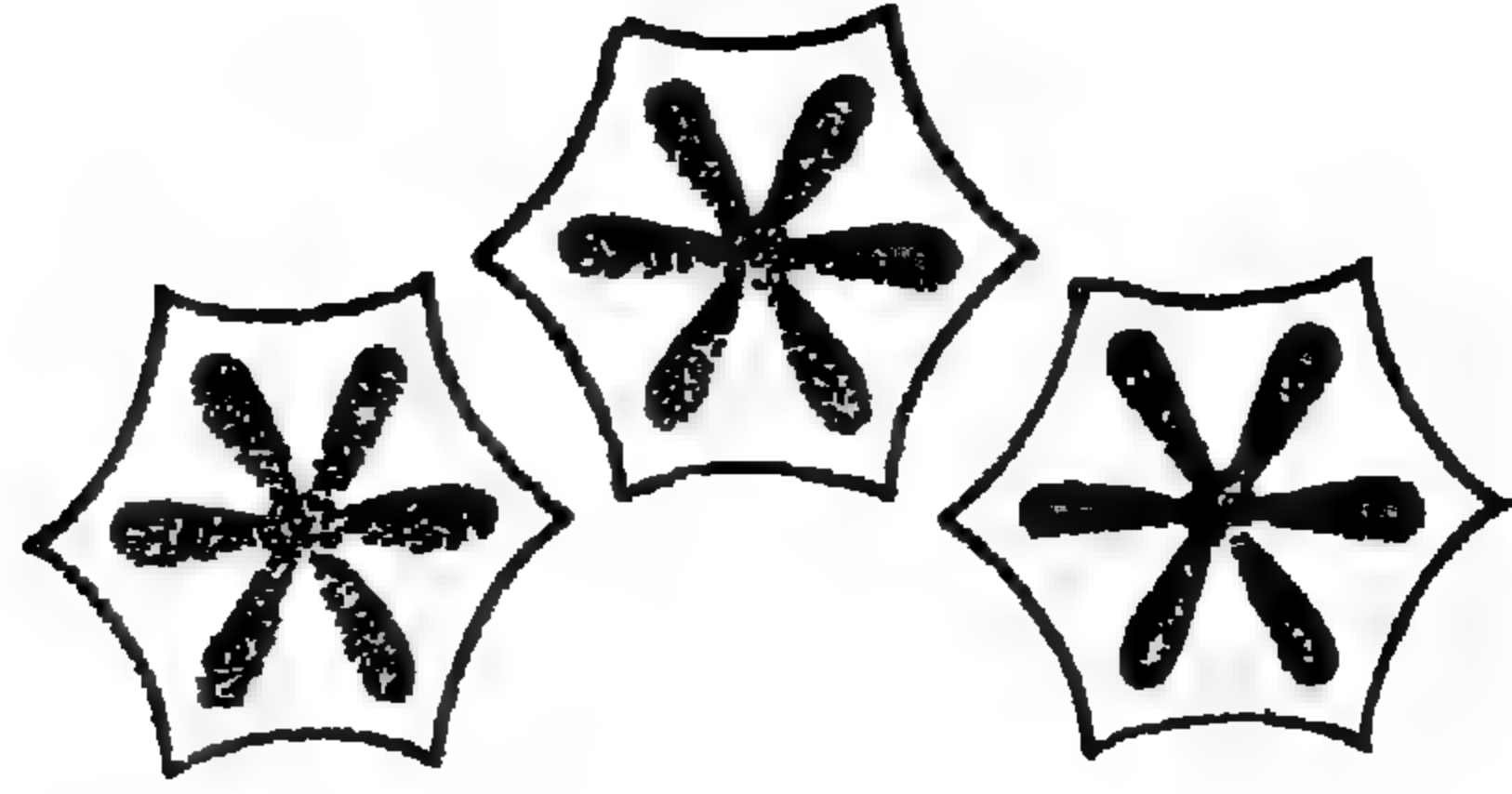
سويجيرو (متعجباً) : ياله من غروب جميل !

يوشيتارو : (وجهه مضيء بانعكاس الشمس) سويجيرو ، انظر !
ألا تستطيع أن ترى القصر الذهبي في تلك السحابة هناك ؟
هناك ! ألا تستطيع أن ترى ؟ انظر ! ياله من جمال !

سويجيرو (وكأنه يشعر بالأسف لسلامة العقل) : أجل ، أرى ، اننى أراه ، أيضا • مدهش •

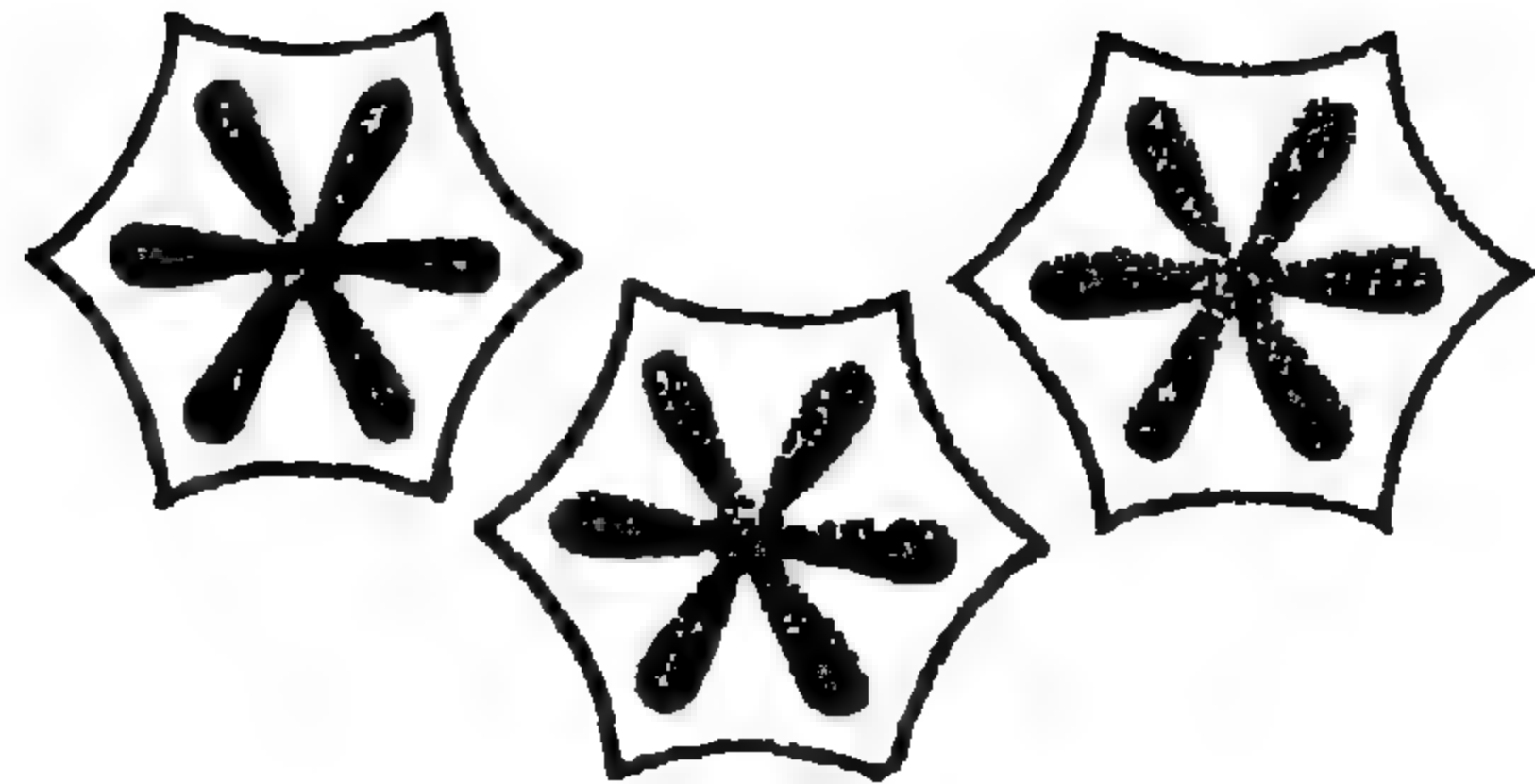
يوشيتارو : (مفعما بالفرح) هناك ! أسمع موسيقى قادمة من القصر .
موسيقى المزامير التى أحبها •• أليست جميلة ؟

(يدخل اذبان الى المنزل ، والأخ المجنون يظل فوق السطح ،
ويبقى الأخ العاقل على الأرض متطلعا الى الغروب الذهبى) ••



الحكاية

- قاطع الخيزران وطفلة القمر •
- هويتشى مقطوع الأذنين •



قاطع الخيزران وطفلة القمر (١)

لكاتب مجهول

(فى القرن التاسع)

فى سالف الزمان ، ذهب فى أحد الايام قاطع الخيزران الفقير المدعو تاكيتورى الى غابات الجبل . وأثناء دخوله أجمة من الخيزران ، أدهشته أشعة من نور باهر تنبعث من شجرة فى وسط خميلة . فقطع الشجرة واذله رؤية مخلوقة جميلة ، لا يزيد طولها على ثلاث بوصات تخرج من خيزرانة مضيئة .

قال العجوز :

— لو لم أقطع عود الخيزران لما كنت خرجت أبدا ، لذلك فانت أصبحت من حقى !

وهكذا وضع المخلوقة الصغيرة فى كف يده وحملها الى زوجته ، فوضعت العجوز الطفلة فى صندوق صغير لحمايتها من أى مكروه . وأخذت فى الأيام التالية ، تطعمها وترعاها بدون مشقة أو إرهاق .

ولم تكرر الطفلة الجنية هى البركة الوحيدة التى جسات لقاطع الخيزران العجوز وزوجته . اذ لم تمض الا أيام قليلة ، وقطع تاكيتورى شجرة خيزران ثانية ، اكتشف داخلها ذهباً وجميع أنواع الأحجار الكريمة . وفجأة وجد قاطع الخيزران الفقير نفسه غنياً جداً ، وامتلات حياته فى الحال بكل وسائل الترف والراحة .

وكبرت الطفلة الجنية بسرعة ، وضاق عليها الصندوق البذى استخدمته كمهد لها . وأطلقها الرجل العجوز وزوجته فى قصرهم المنيف المبني حديثاً ، مع حرصهما الشديد على حفظها آمنة داخل أبواب القصر .

(١) من الترجمة الانجليزية ل : ف. ب. هاريس .

واستمرت الجنية الجميلة تكبر حتى أصبحت لا تضاهى فى العالم كله ،
وملأ القصر بهاؤها المشع ، وأضاء المكان كله حتى فى ظلمة الليل ، ولذلك
إذا تصادف وأصاب العجوزين أى مرض نسي فى الحال آلامهما وأوجاعهما
بسبب أشعتها المبهجة . وعندما يحدقان فى الطفلة الجنية يزول أثر أى
غضب ولا تعذبهما أية أفكار شريرة .

وأثناء ذلك أعطى العجوز وزوجته الطفلة اسما يناسبها ، فسموها :
كاكويها هيمى ، أو الخيزرانة حلوة الشمائل ، أو الاميرة منيرة الظلام .

وعندما كبرت كاكويها هيمى ودخلت فى دور الأنوثة ، ازدهر
جمالها حتى ذاع صيتها فى طول البلاد وعرضها ، وتلهف جميع الشبان
الذين وقعت عليها أبصارهم ، على أن يفوزوا بها كعروس ، وكان من الصعب
حتى الفوز بنظرة واحدة ، وحلوة الشمائل فى حماية شديدة بالأجنحة
الداخلية للقصر . ولذلك كان طالبو يدها فى حالة جدية بالثناء ،
ولا ينامون من الامعان فى التفكير فى السحر والجمال غير المسموح لهم
برؤيته . ومع الوقت انهارت آمال شبان الاقليم وأصبحوا لا يعبأون
بواجباتهم وينفقون أوقاتهم بحماقة .. كل ذلك من أجل حبهم لكاكويها
هيمى .

وأخيرا ، تعب معظم الشبان من الملاحقة التى لا طائل ورائها .
حتى بقى خمسة نبلاء فقط من طالبى يدها ، هائمين حول القصر ، آملين
أن يجدوا فرصة لظهار حبهم . وكان هؤلاء الخطاب اللوردات اقطاعيين
(دايميو) وهم : اشيدزو كورى ، وكوراءوتنى ، وابى نوميموراجى .
فى المرتبة الثانية فقط بعد الامبراطور نفسه ، وأوتسو نوميوكى ، واللورد
موروتاكا لمقاطعة ايسو .

وفى النهاية نجح واحد منهم فى لفت انتباه تاكيتورى ، ملقيا نفسه
عند أقدام العجوز باحترام شديد ، وصرخ متوسلا :

— أناشدك أن تسمع التماسى وتزوجنى ابنتك الجميلة .

فاجاب تاكيتورى :

— الفتاة ليست ابنتى ، وليس لى أى حق فى فرض طاعتها لى .

وتركه ومضى .

ورغم مرور شهر وراء شهر ، فلا زال الخطاب الخمسة ينتظرون
خارج القصر ، متوسلين ، كلما سنحت لهم الفرصة ، لكى يستمع
تاكيتورى لمطالبهم .



فتاة الخيزران

وكان العجوز دائما يرفضهم . بينما الفتاة الجنية لم تقرر من هو أكثرهم نبلا . لذلك فلن تتخذ أحدا منهم زوجا لها .

ولما رأى تاكيتورى أنه لا يستطيع منع قدومهم الدائب للقصر ، قال أخيرا ناصحا كاكويا هيمى :

— رغم أنك خالدة لا تموتين ، فلقد اتخذت شكل أنثى . وبينما لا يوجد ضرر فى بقائك عذراء أثناء فترة حياتى ، فماذا سيكون أمرك عندما أموت ؟ .. ويوميا يحضر هؤلاء الشبان الخمسة طالبين يدك .. أرجوك أن تثبتى قلبك على واحد منهم !

فاجبت كاكويا هيمى بتواضع :

— اننى لست بهذا الجمال حتى يتنافس خمسة خطاب فى خطب ودى . واذا أصبحت عروسا لأحدهم قبل التأكد من قلبه ، فقد أندم على اختياري . لا أستطيع أن أتزوج بدون اختبار زوج المستقبل أولا .

— لكن كلهم رجال ذوو مناصب وانجازات . ويمكنك بسهولة الاختيار من بينهم الآن .

— ليس كافيا . أن يحضروا الى هنا يوما وراء يوم . لا بد أن يظهر لى كل واحد منهم عملا نبلا ، أو انجازا ذكيا حتى أستطيع أن أختار من بينهم زوجا لى .. أرجوك أن تبلغهم بهذه الرسالة .

وعند غروب الشمس فى ذلك اليوم اجتمع المحبون الخمسة أمام القصر مستعدين لاستعراض واثبات مواهبهم . واحد عزف الفلوت والثانى رقص . والثالث كان مغنيا موهوبا ، بينما الرابع كان ماهرا فى فن التصفير ، أما الخامس والاخير فاستطاع استخدام المروحة فى حركات هارمونية متناسقة تماما مع الموسيقى .

وعندما انتهى الجميع ، جاء تاكيتورى الى البوابة وحياهم وقال :

— مرحبا بكم فى سكنى المتواضع . اننى أشكركم بحرارة لسمركم الجميل . وحيث أننى فوق السبعين من عمرى ، فقد أموت فى أى وقت .. ربما اليوم ، أو غدا .. لذلك رجوت ابنتى أن تختار زوجا من بين هذه الزمرة الذكية من الشبان . ولكن حيث أنكم جميعكم متساوون ، تحس ابنتى أن أى اختيار بينكم شبه مستحيل . وأطلب منكم أن تلبوا لها طلبا آخر . وكلماتها هى كالاتى : « من ينفذ مطلبى سوف يستحقنى عروسا له » .

فصرخ جميعهم بشغف وكأنهم صوت واحد :

- كلمات العذراء معقولة ، طالما لا تستطيع الاختيار من بيننا .
وسننفذ مطلبها .

وأعلن العجوز اختبار كاكويا هيمي :

- على الأمير اشيدزو كورى أن يجد الجرة الحجرية المشهورة المحتجزة فى أيدي الآلهة . وعلى الأمير كوراموتشى أن يسافر للبحار الشرقية بحثا عن جبل هوراي حيث تنمو تلك الشجرة التى لا تمن لها ذات الجذور الفضية ، والساق الذهبى ، والفروع المحملة بجواهر بيضاء لامعة ، وعليه أن يحضر لى أحد فروعها . وعلى أبى نوميموراجى العثور على فأر النار الأحمر من الصين ، جالبا معه فراء المتلألئ . وعلى أوتسو نوميو كى البحث عن الجوهرة ذات الألوان الخمسة المتألقة فى رأس التنين . أما بالنسبة لموروتاكا لورد ايسو فأطلب منه أن يعود بالقوقعة التى يقال أن طائر السنونو أو الخطاف (٢) يمتلكها .

عندما سمع العجوز هذه المطالب لأول مرة كان مكروبا جدا ، ولذلك أعلنها ، على مضض ، أمام الشبان . ومع ذلك لم يظهر اللوردات النبلاء أية علامة قلق من المهمات الملقاة عليهم . ولكن كان فى قلوبهم إثارة عارمة وعاد جميعهم الى بيوتهم مملوئين بالغضب ، وأدرك جميعهم بأنهم سيموتون بكل تأكيد من مجرد اليأس من عدم السماح لهم بالنظر الى كاكويا هيمي الرائعة ، فعقد كل واحد منهم العزم حتى لو اضطر للسفر الى الهند البعيدة لتحقيق رغباتها فسيجازف بالمحاولة .

كان الأمير اشيدزو كورى رجلا واسع الحيلة . ولكنه كلما تدبر الأمر ، كلما رأى بوضوح بأنه قد يسافر ملايين الأميال ولا يعثر على الجرة الحجرية المحجوزة من قبل الآلهة . وربما توجد جرة حجرية واحدة فقط فى العالم كله . لذلك أرسل رسولا الى قصر الفتاة معلنا كذبا بأنه سيتوجه الى الهند فى اليوم نفسه فى بحث عن الجرة . وبدلا من ذلك سافر الأمير اسيدزو كورى الى اقليم ياماتو وبقي هناك ثلاث سنوات . وفى معبد مقام على أحد الجبال وجد جرة سوداء تناسب هدفه . فوضع الجرة فى حقيبة من القماش المطرز بالقصب مع غصن موشى بأزهار صناعية وعاد بهداياه الى قصر كاكويا هيمي . واندهشت العذراء تماما لأنها

(٢) السنونو أو الخطاف طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل . ويطلق عليه أحيانا

اسم « عصفور الجنة » .

لا نؤمن بوجود مثل هذه الجرة . ومع فحص دقيق للجرة ظهرت قصيدة شعرية لها وزن ظريف تبين من أين جاءت الجرة ، انها من معبد غابة جبل أوجورا في اقليم يوماتو وبعد أن تأكدت الأميرة من الخدعة ، كتبت قصيدة ثانية ووضعتها في الجرة . وأمرت بإعادتها الى الأمير . وعندما عاد الأمير الى قصره وقرأ قصيدة كاكويا هيمي ، عرف بأن خدعته قد كشفت فألقى بالجرة خارج بوابة قصره ، وأقسم بالإيمان المقدسة أن يبقى في عزلة حتى يستطيع نسيان عذراء أحلامه .

أما الخاطب الثاني الأمير كوراموتشي فكان رجلا عنيقا ، عرف الجميع بأنه ذاهب للبحث عن جبل هوراي ، وبعد أن خدع الجميع باخفاء نواياه الحقيقية عاد الى بيته سرا . وأحضر ستة نجارين مهرة وأمرهم ببناء منزل في منطقة منعزلة مع قرن مخفى تحت ثلاث قناطر من الطين حتى لا يرى أحد الدخان . وعندما انتهى المنزل انتقل اليه الأمير وأرسل في طلب الحرفيين المهرة في الأعمال الدقيقة وأمرهم بتصميم جواهر زائفة ذات لون أبيض رائق لتثبت على فرع الشجرة . وكذلك تم تنفيذ أوامره بدقة متناهية حتى أن الفرع ذا الجواهر أصبح بعد الانتهاء من صنعه صورة مطابقة للذي وصفته كاكويا هيمي .

وعندما أصبح الفرع جاهزا ، أخذ الأمير سفينة من أوساكا - حتى يخدع الفتاة بأنه عائد عن طريق البحر - ونزل منها . وتجمع أتباع الأمير في أوساكا للترحيب به . وقاموا بحراسة الأمير ومرافقته مع صندوق مغطى بالجوخ الجميل والفرع المقصود حتى مقر إقامته . وانتشرت الأخبار في الحال عبر البلاد عن كنز الأمير كوراموتشي ، فتسببت في حديث الناس في كل مكان عن فرع الجواهر النادرة مثل أودونجي الزهرة الأسطورية التي قيل أنها تزدهر مرة واحدة كل ألف سنة .

**وعندما علمت كاكويا هيمي بعودة الأمير كوراموتشي اضطربت،
قائلة لنفسها في أسي :**

- سيكون علي أن استسلم لهذا الأمير !

وبينما كانت هذه الكلمات على شفيتها جاء خادم الى بوابة القصر.
ليعلن وصول الأمير .

وقال الأمير وهو يحيي العجوز :

**- لم أدخر حتى حياتي نفسها في بحثي عن الفرع ذي الجواهر . .
وهانذا أعطيك هذا الكنز طالبا منك فقط أن تريه لابنتك .**

حمل تاكيتورى الفرع المزدهر بالجواهر فى الحال مع قصيدة من
الأمير للعدراء ، وقال :

— بدون شك ، لقد أحضر الأمير النبيل هذا الفرع من جبل هوراي
بعد سفر طويل .

وعندما أظهرت ممانعة فى قبول العرض ، سألها العجوز :

— ماذا تريدین أكثر من ذلك ؟ لقد اندفع الى بيتنا بملابس السفر .
أرجوك ، اقبلی الزواج من الأمير كوراموتشى .

ولما لم تجب العدراء لتكدرها وحزنها ، ظن العجوز أن السكوت علامة
الرضا ، فأسرع لاختبار المحب المنتظر بالأخبار السارة . وبينما كان
الخدم يعدون لحفلة الزواج ، عن للعجوز أن يسأل الأمير أين عثر على
الشجرة ذات الجواهر .

فاجاب الأمير كوراموتشى :

— فى السنة قبل الماضية وفى اليوم العاشر من الشهر الثانى ، أبحرت
فى الأعماق البعيدة ، وأنا لا أعرف وجهتى . وعصفت بنا الريح فسرنا
على ارادتها وطننت أنى لن أعيش لأعود ، ولكن امتدت بى الحياة فعبرت
البحار بحثا عن جبل هوراي . وبعد أن غادرنا بحر اليابان ، تلاطمت
الأمواج عاليا بطريقة تكفى لابتلاع سفينتنا ، بينما كانت الرياح المتوحشة
تسوقنا غالبا الى سواحل غير معروفة تسكنها الشياطين المنتظرة لتحطيمنا .
وهنا أحيانا أخرى فى البحار لا ندرى فى أى اتجاه نسير ، ثم فقدنا
كل شىء مرة أخرى . وكان علينا أن نعيش على الجذور وأعشاب البحر
أو القواقع . انى أجد استحالة فى وصف الغيلان المخيفة التى طلعت
علينا . وكانت هناك أوقات كنا فيها تحت سموات ترحالنا . . نسقط
مرضى ونعانى أشد الآلام دون مساعدة من أحد .

وبعد أن همنا فى البحار مدة خمسمائة يوم رأيت فى أحد الأيام ،
ساعة اقتراب الفجر ، ما يشبه جبلا صغيرا يبرز من المياه ، فأيقظت بسرعة
رفاق السفينة . وعندما اقتربنا بدت الجزيرة تزداد اتساعا وارتفاعا ومن
حدودها الجميلة عرفت أنها لا بد وأن تكون مرادى ومبتغى . كانت تشبه
المعجزة .

وأخذنا نبحر حول ساحلها مدة ثلاثة أيام الى أن رأينا امرأة تشبه
الآلهة تسحب الماء بكأس من الفضة . وقبل أن تنهى عملها ، نزلنا واتجهنا

وليها . فسألتها عن اسم الجبل المرتفع أمامنا . فأجابت بأنه يسمى جبل هوراي .

ابتهجنا .. ولكنى عندما سألت هذه المخلوقة الجميلة فلم تفصح عن شيء آخر سوى اسمها وقالت :
- انى أدعى هاكارورو .

وفجأة اختفت فى تجاويف الجبل . ولما كان يبدو مستحيلا أن نستطيع تسلق ارتفاعات الجبل . فأقنعت نفسى بالسير حول قاعدته . فرأيت أزهارا ليس لها مثيل فى أى مكان آخر على الأرض ، وجداول تفيض من قمة الجبل ، وتجرى بالذهب والفضة ، ولها لون مثل لون الزمرد وتصل بين شطآنها جسور محلاة بالمجوهرات .. وأخذت أعبر صفا وراء صف من أشجار تتلألا بأحجار كريمة ، ولكن فرع الشجرة الذى أحضرته معى كان أفقر الفروع جميعا .. ولكن لأن العذراء قد أمسرت بأحزار مثله فقد أذعنت لأمرها وامتثلت . ورغم أن مناظر هذا الجبل الساحرة كانت تفوق الوصف ازداد قلقي وأسرعت عائدا الى سفينتى . وبعد رحلة أربعمائة يوم أو يزيد عدنا أخيرا الى اليابان . وبعد نزولنا فى أوساكا ، سافرت بكل سرعة الى العاصمة ، لدرجة انى حضرت الى هنا بملابس السفر المشبعة برذاذ البحر المالح .

استمع العجوز للحكاية العجيبة بانفعال و إعجاب . ومع ذلك . دخل فى هذه اللحظة عديد من الحرفيين الى ساحة القصر فى انحناءة تواضع وتوسلوا أن يسمح لهم بعرض التماس يريدون تقديمه ، وقال قائدهم :

- لمدة تزيد عن الألف يوم لم ندخر قوتنا ولا مهارتنا فى تصميم الفرع المثمر بالجواهر ، والى الآن لم نقبض أجورنا عن هذا العمل . نتوسل اليك أن تعطينا أجورنا ، حتى نطعم عائلاتنا فى بيوتنا .

وقدم الحرفيون وثيقة مكتوبة بشكواهم الى العذراء المصدومة ، كاكويا هيمى ، أما الأمير كوراموتشى فقد لطمته الفضيحة بعنف وفقد عقله .

ومن ناحية أخرى بدت الأميرة الجنية مسرورة . ونادت على أبيها وقالت :

- فى الحقيقة ظننت هذا الفرع جاء من جبل هوراي . ولكن حيث أننى قد خدمت بخدعة جوفاء كهذه ، لذلك أطلب منك أن تعيد الهدية فى الحال .

كان الأمير فى هذا الوقت مغموما لدرجة أنه لم يستطع الوقوف ولا الجلوس ، ولكنه هام على وجهه حول الساحة حتى غربت الشمس ، ثم هرب تحت غطاء الظلام الى الليل .

وبقلب رحيم نادت كاكويا هيمى الحرفيين المشتكين وأعطت كلا منهم أكثر مما يريد جزاء عمله ، ولكن بينما كانوا فى طريقهم الى بيوتهم ، هجم عليهم أعوان الأمير كوراموتشى . وسلبوا أموالهم وألقوا بهم شبه أهوات بجانب الطريق .

أما بالنسبة للأمير . . فقد قام فرسانه واتباعه بالبحث عنه فى الجبال لعدة أيام فلم يعثروا على أثر له فى البلاد كلها .

وكان الخاطب الثالث ، أبى بوميموراجى بمثابة رئيس وزراء الدولة . كان رجلا ذا ثروة ونفوذ . ولانجاز مهمته أرسل أبى رسولا الى صديق فى الصين ومعه رسالة ومبلغ ضخم من المال ، وفوض صديقه فى الحصول على جلد فأر النار المشهور . وفى تلك الأثناء جاء رد من صديقه يعلنه فيه بأن هذا الجلد غير موجود فى الصين . وكتب صديقه :

— ومع ذلك ، اذا تم العثور عليه فى أى بقعة فى العالم : فسيحضره شخص ما بكل تأكيد الى الصين .

ولم يمض وقت طويل حتى وصل رسول من الصين ، ومعه ثوب مصنوع من الفراء المرغوب قيل قد تم شراؤه من الهند باعتباره كنزا يرجع الى الازمان القديمة وجيء به الى الصين .

وقدم الرسول الثوب لأبى قائلا له اذا لم يدفع الثمن فسيعاد الثوب مرة أخرى . وأعطى أبى بكل سعادة المبلغ المطلوب للرسول وألقى بنفسه ساجدا اعترافا بالجميل نحو مملكة الصين .

كان الصندوق الذى يحتوى على الجلد فى لون الزمرد الجميل ، بينما كان الثوب نفسه أزرق غنيا وطرف كل شعرة من الفراء يضىء بطريقة رائعة . انه كنز من جمال لا ينافس . وبجانب ثدرته ، فهو ثمين من أجل لونه فقط .

وصل الخاطب النبيل وهو يرتدى ثوبا أنيقا ومعه أعوانه الى قصر تاكيتورى حيث ظلوا منتظرين عند المدخل حتى جاء العجوز ليحييهم ويستلم الهدية .

وقالت كاكويا هيمى عندما رأت الهدية لأول مرة :
- حقا انه ثوب فراء جميل ، ولكن هل هو حقيقى أم زائف لست
أدرى ؟ .. فلندع النار تختبره !

فاجاب أبوها :

- كلام جميل !

فاعترض ابى نوميهوراجى قائلا :

- ان هذا الشك لا أساس له ، ولكن اختبروه ان كان ولا بد .
وهكذا ألقوا بالثوب فى النار حيث شبت فيه فى الحال وتلاشى .
وعند منظر الثوب المحترق اتخذ وجه النبيل لون أوراق الأعشاب .
وأعادت كاكويا هيمى المسروقة الصندوق ذا اللون الزمردى الى أبى
نوميهوراجى .

أما الخاطب الرابع ، أوتسونوميوكى ، فابتكر خطة مباشرة للفوز
بالعذراء . اذ نادى جامعا محاربيه وقال لهم :

- توجد فى رأس التنين جوهرة تبرىق بخمسة ألوان ، والشخص
الذى سيحضر لى هذه الجوهرة سيحصل على أى شىء يتمناه قلبه .
ورغم أن المحاربين وافقوا بسرعة ، الا أن النبيل ضحك باحتقار ،
وقال موبخا :

- طالما أنتم جزء من عشيرتى فليس لكم الاختيار بل الموافقة .
والآن انطلقوا فى مهمتكم فى الحال !
وبعد أن زود محاربيه بتمويل ضخم من الحرير والقطن والطعام
والنقود ، أمرهم اوتسو نوميوكى قبل أن يغادروا ميناء أوساكا ،
قائلا :

- لا تدعوا أحداكم يعود قبل أن تعثروا على الجوهرة ذات الألوان
الخمسة . وأقسم أنى سأصوم وأقدم القرابين للآلهة أثناء غيابكم .
وأثناء انتظارهم لسفنهم فى أوساكا ، تجمع المقاتلون لدراسة
المغامرة . واعتبر الجميع اوتسو نوميوكى متعاليا وأنانيا ، وقرروا أن
على سيدهم أن يقود البحث والتنقيب بنفسه . وأنهوا نقاشهم بتقسيم
الامدادات والنقود بينهم وانطلقوا لحال سبيلهم .

وبدأ لورد اوتسو فى هذه الأثناء بناء قصر منيف للعروس التى
ستصبح فى القريب من نصيبه . صمم القصر وطلبت جدراناه بدهان

اللاكيه الذى يسطع بالألوان الحمراء والذهبية وألوان أخرى عديدة ، وكان سطحه معلقا من حبال مجدولة من خيوط حريرية مختلفة الألوان ، بينما تعلقت فى الأجنحة المتعددة رسوم رقيقة على قماش مطرز بالقصب ..

وعندما اكتمل القصر ، أخذ لورد أوتسو يترقب كل يوم فى قلق عودة محاربيه . ولكن عندما مرت سنة دون رجوعهم ، خرج باحثا عن رجاله . وعندما وصل ميناء أوساكا وسأل عن اخبار البعثة ضحك البحارة الذين سألهم ساخرين ، وقالوا :

— ان هذا كلام حمقى . لا يمكن لأحد أن يذهب فى مثل هذه المهمة .

وقال لورد اوتسو أخيرا فى يأس :

— لو كان التنين هنا لقتلته بقوة قوسى وأخذت رأسه . كلا ، لن انتظر عودة هؤلاء الأوغاد . سناخذ ثلاثتا سفينة ونقلع سويا .

وفى ذلك اليوم استأجر اوتسو سفينة وأبحر فى البحر . وعندما اقتربت السفينة من اليابسة البعيدة عن شواطئ اليابان ، هبت عاصفة . وتحولت السماء فى الحال الى سواد وارتفعت النوبة الهوجاء ودفعت السفينة بعيدا عن الساحل . وكأنها ستسحبها تحت البحر ، بينما الأمواج الغاضبة تضربها وتأرجحها وكأنها تدور فى دوامة عاتية ، وكان وميض البرق قويا لدرجة أن البحارة توقعوا سقوط صواعق عظيمة ستضرب السفينة وتغرقها ..

وسأل اوتسو القبطان وهو خائف :

— ما هو مصيرنا ؟

فاجاب القبطان :

— لقد أبحرت المحيطات طولا وعرضا لكنى لم أقابل مثل هذه المخاطر . اذا لم يبتلعنا البحر فسيصعقنا البرق وحتى اذا عطفنا علينا الآلهة بقوة العاصفة قد تحمل السفينة بعيدا الى المحيطات الجنوبية .

وبعد أن سكب وابلا من الدموع اضاف القبطان :

— اننا نواجه كارثة بسبب اتباع سيد عديم الرحمة مثلك !

فصرخ اللود اوتسو قائلا ، وهو فزع من دوار البحر :

— لماذا تتهمنى بهذه المראה ، الانسان يركب المحيطات تحت رعاية القبطان ، وكأنه يضح ثقتة فى جبل عال جليل .

فأجاب القبطان :

— اننى لست الهيا ، ولا أستطيع السيطرة على كل شيء • عاصفة عظيمة تهب وأمواج ثائرة ، وصاعقة على وشك السقوط فوق رؤوسنا • • كل هذا لانك تريد أن تذبح تينينا • أنا متأكد أن هذا من عملك • • أتوسل اليك أن تصلني من أجل نجاتنا •

وصلى اللورد اوتسو ، مقسما آلاف المرات بأنه سيصرف نظره عن خطئه في سرقة حتى ولو شعرة واحدة من رأس التنين • وبعد وقت ليس بطويل ظهرت الدلائل بأن الآلهة قد سمعت صلاته ، فبرغم أن الريح كانت تهب بطريقة أكثر عنفا إلا أن الرعد قد توقف ووميض البرق اختفى تماما • وأثبتت الريح تعاطفها • • وفي غضون أربعة أيام تمكنت السفينة من الرجوع الى ساحل اليابان • •

وعندما عاد مرة أخرى الى اليابسة وجد اللورد اوتسو نفسه متعبا ومريضا بنزلة برد ، وتورمت عيناه وأصبحتا في شكل برقوكتين حمراوين كبيرتين • وعاد محاربوه في الحال اليه قائلين :

— الآن ، لقد عرفت بنفسك كم هو شاق أن تسرق جوهرة من رأس التنين •

فوافق اللورد اوتسو قائلا :

— انكم على حق • وأرحب بكم مرة أخرى في خدمتي • بالتأكيد أن التنين يخص أسرة آلهة الرعد ، ومن يبتغي جوهرة لا بد أن تكون نهايته بائسة ، وانكم على صواب في انكم لم تذهبوا وراءه • وليست كاكويا هيمي الا عذراء شريرة تحاول تحطيم الرجال • وانى أمنع أى واحد يقترب منها ثانية •

وهكذا حملت الغريبان وصقور السمك الحبال المجدولة بخيوط الحرير من سطح القصر الجديد والقتها بعيدا ، بينما سخر الناس من وراء ظهر اللورد اوتسو مشيرين الى عينيه الوارمتين قائلين :

« الجوهرة من رأس تنين أو تنينين • •

قالوا أهلا بها !

وبدلا منها

أحضر برقوكتين حمراوين ! »

والآن الخاطب الخامس ، مورتاكا لورد مقاطعة ايسو الذى كانت مهمته الحصول على القوقعة النادرة الموجودة فى عش طائر الخطاف أو عصفور الجنة . فقد علم مورتاكا ان عددا كبيرا من طيور الخطاف أو عصافير الجنة قد بنت أعشاشها فوق سطح أحد مباني الحكومة . لذا نصب سقالة ووضع بها عشرين رجلا لمراقبة الطيور . ومع ذلك ، خافت الطيور عند رؤية هذا العدد من الرجال وغادرت السطح فورا .

وبناء على نصيحة حكيم ، طرد لورد مورتاكا جميع خدمه ما عدا واحدا ، وبدأ مع هذا الخادم البحث ليل نهار عن القوقعة . كان وقت الانتظار مرهقا ، اذ قيل له أن القوقعة المسحورة يمكن العثور عليها فقط عندما يضع طائر الخطاف بيضة فى العش . وأخيرا ، فى إحدى الأمسيات عند الغروب ، رأى مورتاكا خطافا يدور فوق عشه . فرفع خادمه ، بسرعة فى سلة الى السطح ، ولكن الخادم أفزع الطائر وعاد خالى الوفاض فتسبب فى غضب سيده الذى صرخ فيه :

— ان ارتباكك هو السبب . سأقوم بذلك بنفسى !

وبعد أن رفع لورد مورتاكا الى السطح ، وضع يده فى العش ، فشعر بشئ منبسط ، فأمسك به بأحكام ، ثم نادى على الخادم لانزاله الى الأرض فقبض الخادم مسرعا على الحبل وتسبب فى انقلابه ، فغطس مورتاكا فى جرة كبيرة من الماء كانت مقدمة كقداس لأحد الآلهة . ولما أفاق لورد مورتاكا من الصدمة ، وجد نفسه لا يستطيع الوقوف . ورغم جراحه ، كان مورتاكا منفعلا بعثوره على كنزه . وأقبح خادمه عندئذ نارا . وفى وهج النار اكتشف لورد مورتاكا أن كنزه لم يكن القوقعة النادرة ، ولكن صخرة عادية . حاول لورد مورتاكا جهده أن يخفى الحادث المؤسف عن الناس ، ولكنه فشل ، وانتشرت القصة فى الحال فى أنحاء البلاد . ومع جراحه واكتئابته النفسى ازدادت الحالة الصحية لمورتاكا سوءا ، ومات أخيرا من شدة المرض والحزى .

وفى الحال وصلت قصة كاكويا هيمى وخطابها الخمس الى أسماع الامبراطور نفسه . فأمر الامبراطور المفتون أحد رجال بلاطه بزيارة الفتاة وأن يأتى بتقرير عن أخلاق هذه الفتاة التى أجبرت الرجال على المعاناة ولم ترض بالزواج من أحدهم .

ورفضت ابنة قاطع الخيزران مقابلة ممثل الامبراطور . وغضب الامبراطور فى البداية ، ولكنه أخذ بعد ذلك رفضها على أنه رغبة منها فى اختباره . وبالتالي ، انتهز الامبراطور الفرصة فى أحد الأيام أثناء قيامه برحلة صيد ووقف عند قصر قاطع الخيزران .

وأمن في النظر الى المنزل ، حيث رأى فتاة مشعة بالنور جالسة في حجرة . لن تكون هذه بالتأكيد سوى كاكويا هيمي الاسطورية ، فأسرع الى الداخل . وأمسك الامبراطور بكم ردائها ، وجفلت الفتاة وانتحت لتخفي وجهها عنه ، ولكنه استطاع أن يلمح جمالها المشع . فطلب الامبراطور منها أن تصحبه الى قصره في الحال . ولكن الفتاة اختفت فجأة . فبهت الامبراطور وامتلاً بالأسى مدركاً أن كاكويا هيمي لم تكن من البشر .

— أوه ، كاكويا هيمي ، عودي للظهور ثانية ، أتوسل اليك . دعيني أنظر الى جمالك مرة أخرى ، ثم أعود راجعاً الى قصرى .

وعمرت الامبراطور الفرحة عندما اتخذت الفتاة الشكل البشري مرة أخرى . ولن تسعف الكلمات في تصوير انتشاء الرجل وهو يتفرس في ملامح الفتاة . وبعد أن أعد رجال البلاط وليمة فرح عظيمة عاد الامبراطور أسفاً الى قصره ، تاركاً قلبه في قصر قاطع الخيزران العجوز .

ومرت ثلاث سنوات ، وفي ربيع السنة الرابعة ، لاحظت الخادومات أن كاكويا هيمي كانت تراقب القمر بعيون مضطربة . فناشدتها احداهن أن تتوقف عن ذلك ، لأنه كان من الواضح أن الفتاة تزداد حزناً يومياً مع نوره . ومع ذلك فلم تتوقف كاكويا هيمي عن التحديق الى أعلى نحو القمر . وعندئذ أخبرت الوصيفات قاطع الخيزران العجوز بحالة كاكويا هيمي . فسأل الفتاة في الحال عن سبب تعاستها . فأجابته قائلة :

— لا أستطيع أن أقول . يكفي القول بأن قلبي يزداد حزناً عندما احقق نحو القمر .

ولم تكن كاكويا هيمي تبكى في ليالي المحاق التي لا يظهر فيها القمر . ولكن مع عودة القمر هلالاً يعود الحزن في الحال . وعندما اقترب اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن ازدادت كاكويا هيمي تعاسة ، ولم تعد تحاول أدنى محاولة في اخفاء دموعها . وتوسل تاكيتورى مرة أخرى للفتاة لتخبره عن سبب شقائها .

ووافقت أخيراً ، وبدأت تقول :

— منذ فترة طويلة ، فكرت في اخبارك بالحقيقة ، ولكنني لم أرغب في ايدائك .

وامتلات عيون الفتاة بالدموع وهي تقول :

— أنا لا أنتمى لعالمكم • انى من عالم القمر ، ولقد أزف الوقت لكى
أعود • وسينزل فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر رسل مبعوثون
لإعادتى الى موطنى •

فصرخ العجوز فى غضب ولوعة :

— هذا ما لا يصدقه العقل بالتأكيد • لقد عثرت عليك فى تجويف
عود الخيزران ، ولم تكونى عندئذ أكبر من بذرة يانعة • • ولقد رببتك
بعناية تكسر العظام • سوف أموت اذا أخذوك منى !

— ان هذه رغبتى • من يأمر بذلك هو سيد عالم القمر ، وعلى
الامتثال •

وفى الحال وصلت أخبار ورطة كاكويا هيمى الى الامبراطور ، فأرسل
تابعاً الى بيت قاطع الخيزران • لقد ضاعفت الأحزان سنين قاطع الخيزران
العجوز • • فأصبحت ذقنه فى بياض الثلج ، وانحنى ظهره واحمرت عيناه
من البكاء الدائم • وطلب تاكيتورى من التابع ، وهو غارق فى دموعه
ونحيبه ، أن يجعل الامبراطور يقوم بإرسال جنود مقاتلين فى اليوم الخامس
عشر من الشهر حتى يمكنهم أسر مبعوثى القمر •

وفى فجر اليوم الخامس عشر ، بعث الامبراطور بقائده مع ألفين من
المقاتلين تمركز بنصفهم على تل مجاور للقصر ، وأخذ الباقون مراكزهم على
سطح المنزل نفسه • وأمر تاكيتورى خدامه العديدين بأن يسلحوا أنفسهم
بالأقواس والسهام وينضموا الى الجنود المدافعين • • وفى هذه الأثناء ،
وضعوا كاكويا هيمى فى حصن منيع ، حيث أمسكت النساء بذراعيها •
ووقف قاطع الخيزران خارج الباب شاهراً سلاحه • •

وصرخ تاكيتورى فى المحاربين الشجعان المتيقظين قائلاً :

— اذا نزلوا فى كثرة قطرات الندى فجطموهم •

ولكن كاكويا هيمى قالت :

— لن تحمينى الأبواب المحكمة ولا آلاف المقاتلين • ولا فائدة من
الأقواس والسهام أمام الأسلحة السماوية • فأقوى الأقوياء من المدافعين
سيفقد شجاعته عند قنومهم •

وصاح تاكيتورى رداً عليها :

— أنذريهم ، سأمزق عيونهم ، وأنزع شعورهم ، وأشق ثيابهم ،
وأذلهم أمام الناس •

ولكن كاكويا هيمى أجابت :

— من الأفضل ألا يسمع أحد من الآخرين كلماتك هذه .. لقد شملتني بحب ورعاية وأتوق الى أن اطل معك ومع أمى التى ربتنى فى سنين عمر كما الأخيرة . انى لا أرغب فى العودة لعالم القمر ، رغم أن الأسى لا يدخل تلك الأرض مطلقا ، ورغم أن كل الرعايا هناك يعيشون فى شباب خالد ، ويتمتعون بجمال الوجه والقوام .

فقال تاكيتورى بجسارة :

— لا تزعجى نفسك ، فليس عندى أدنى تعامل مع هؤلاء المبعوثين السماويين ، مهما كان جمالهم .

وعندما توغل الليل وأصبح القمر بدرا ، أخذ يكبر حتى وصل حجمه عشرة أضعاف حجمه الطبيعى ، ولذلك ملأ نور أشعته منزل قاطع الخيزران . وأخيرا امتلأت السماوات بحشد من المحاربين الأفذاذ راكبين قمم السحب العظيمة ، ونزلوا فى التو حيث اصطفوا صفا صفا على ارتفاع خمسة أقدام من الأرض .

وفقد المدافعون عن الفتاة شجاعتهم عند مشاهدتهم . ولم البعض فيما بعد شعورهم مستجمعين قواهم وحاولوا أن يقاتلوا ، ولكن وجد كل واحد منهم يده مغلولة مخدرة لا تقدر على تصويب السهام نحو الهدف . وتمكن واحد من بينهم كان موفور العضل ، راسخ الايمان أن يطلق كل سهامه ، ولكنها أخطأت مرماها ، وهكذا وقف الجميع بلا حول ولا قوة محملقين كالحمقى فى صفوف جنود القمر . كان رداء المبعوثين من القمر جميلا جدا ليس له مثيل على الأرض حتى يمكن مقارنته به ، وكانت العربة التى جلبوها لتحمل كاكويا هيمى الى وطنها مغطاة بمظلة رائعة الجمال .

واتجه واحد منهم يبدو أنه قائدهم الى باب الحصن الذى حفظت فيه كاكويا هيمى ، فترنح تاكيتورى متهاويا فى الحال كأنه رجل مخمور بالساكي (١) وكما يقع النائم ، تعثر وسقط على الأرض .

وقال القائد :

— لقد سمحنا لكاكويا هيمى أن تبارك بيتك لفضيلة فيك . وهى كانت قد أذنبت فى السماء منذ سنين مضت .. فنفيناها كعقاب لذنوبها ،

(١) مشروب يابانى كحولى متخمر مصنوع من الارز .

للحظة وجيزة فى الأبدية بمسكنك المتواضع . وسيكون نهاية عقابها على يدك ، ولا فائدة من توسلاتك . انى أمرك بإبرازها فى الحال .

وأمر القائد القمرى باحضار العربية متجاهلا احتجاجات تاكيتورى ،

ونادى قائلا :

— تعالى بسرعة !

وانشق باب الحصن فى الحال وسحبت قوة غير مرئية كاكويا هيمى من أذرع وصيفاتها ..

وقالت وهى تتطلع الى أبيها كسير الفؤاد :

— انى لا أريد العودة للقمر ، لكن طالما أن هذا أمر حتمى ، فارجوك أن تنظر الى وأنا ذاهبة .

فتوسل العجوز منتحبا :

— خذينى معك !

فهزت الفتاة رأسها وناولته رسالة كتبتها لتخفف عنه بعد ذهابها .

وأحضروا لكاكويا هيمى ثوبا من الريش كالذى ترتديه المخلوقات القمرية ، مع كأس فيه اكسير الخلود . ورغم أنهم أمروها بالشرب الا أن الفتاة ارتشفت رشفة واحدة فقط من الكأس مصجمة أن تترك اكسيرا كافيا للعجوز والامبراطور . وأعطى القائد القمرى موافقته كارها ، جاذبا فى نفس الوقت الثوب المجنح حول جسد كاكويا هيمى .

وما كاد قماش القمرين يلمس العذراء حتى اختفى الحزن من قلبها . ولم تعد تندم على مغادرتها عالم الانسان . وصعدت العربية تلقائيا ، بينما العجوز ينتحب ويترقب . وصعدت العذراء مع ألف مقاتل قمرى الى السماوات .

عندما ذهب كاكويا هيمى (حلوة الشمائل ومنيرة الظلام) ، فقد قاطع الخيزران كل رغبة فى الحياة ، ولم يرغب فى تذوق اكسير الخلود . ولم تمض فترة الا وفترت همته من المرض والتندامة ، ورقد فى سريره ولم ينهض بعد ذلك مطلقا .

وأخبر قائد جنود الامبراطور سيده بكل هذه الأحداث عند عودته الى القصر . وأحضر معه رسالة كاكويا هيمى والكأس الذى يحتوى على

أكسير الخلود • وكان قلب الامبراطور ثقيلًا • وبعد لحظات طويلة من
المعاناة نادى الامبراطور على مستشاريه ، وسأل الحكيم عن أى جبل
الامبراطورية يرتفع أقرب الى القمر •

فأجاب المستشار :

— فى إقليم سورجا يوجد جبل بركانى يرتفع عاليا فى السماوات •
هذا هو أقرب جبل الى القمر بالتأكيد •

فأمر الامبراطور عندئذ بجلب الرسالة واکسير الخلود الى قمة الجبل
والقائما حيث تلتقيهما النيران ...

لأن القوشي [الاكسير] قد احترق
فوق ذروة الياما [الجبل] العظيم •
وهكذا سمى فيما بعد
قوشي نو ياما
والى هذا اليوم يقال أن الدخان ••
يتصاعد من الاكسير الذى ما يزال يحترق ••
يمكن أن يرى صاعدا من أعماق
جبل بركانى عظيم
وهذا الجبل
هو فوجى ياما



هويتشى مقطوع الأذنين (١)

من هياكوهونوجاتارى [المائة حكاية]

لكاتب مجهول (القرن الثامن عشر)

كتبت هياكو مونوجاتارى (المائة حكاية) خلال فترة مسلام فى التاريخ اليابانى . ساعد ازدياد أعداد المتعلمين بين الناس ، وظهور كتاب جدد لا يمتدحون النبلاء ، مع تطور الطباعة ، فى ظهور كتب ومؤلفات لجمهور أكثر اتساعا .

★ ★ ★

منذ قرون مضت ، كان يعيش فى أكاماجاسيكي رجل أعمى اسمه هويتشى . وكان مشهورا بالانشاد والعزف على البيوا (٢) . ولقد تدرب منذ طفولته على الانشاد والعزف ، ولقد تفوق على مدرسيه فى فترة صباه . وأصبح بيواهوشى (٣) مشهورا بصفة خاصة بانشاده لتاريخ أسرتى الهيكى والجينجى ، وقيل انه عندما غنى أغنية معركة دان - نو - أورا (٤) « فلم يعف حتى سجاد « الأبيسون » الفاخر من الدموع » !

كان هويتشى فى مطلع حياته العملية فقيرا جدا ، ولكنه وجسد صديقا مخلصا ليساعده . كان قس اميداجى (٥) مغرما بالشعر والموسيقى، وكان غالبا ما يدعو هويتشى الى المعبد ليعزف وينشد . ولأن القس كان شديد الإعجاب بمهارة الصبى المدهشة ، فقد اقترح القس على هويتشى

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : لافكاديوميرن .

(٢) آلة موسيقية يابانية مثل العود .

(٣) قس يابانى وعازف عود .

(٤) منظر لموقعة بحرية مشهورة فى عام ١١٨٥ ، التى فيها هزمت جماعة جينجى جماعة

الهيكى الذين اندحروا مع أسرهم .

(٥) معبد بوذى قرب أكاماجاسى ، مكان المعركة . لقد بنى ليهدى أرواح أموات الهيكى

الذين ، من المعتقد أنهم يسكنون البحر وشواطئ دان - نو - أورا .

أن يجعل المعبد بيتا له ، فقبل هذا العرض بامتنان كبير ، وأصبح لهويتشى حجرة فى مبنى المعبد ، وكان مطلوبا منه فقط مقابل الطعام والإقامة أن يرضى القس بالأداء الموسيقى فى أمسيات معينة ، لو كان غير مشغول بمهام أخرى .

وفى إحدى أمسيات الصيف دعى القس خارج المعبد ، لأداء صلاة يوذية فى منزل رجل دين توفى أخيرا ، فذهب الى هناك مع مساعده ، تاركا هويتشى بمفرده فى المعبد . . كانت ليلة حارة ، ففكر الرجل الأعمى أن يجلس فى الشرفة الواقعة أمام حجرة نومه طلبا للجو اللطيف . وكانت الشرفة تطل على حديقة صغيرة فى مؤخرة معبد الاميداجى . وانتظر هويتشى هناك عودة القس ، وحاول أن يخفف من وحدته بالتمارين على العزف على آلة البيوا . وحل منتصف الليل ولم يظهر القس . ولكن الجو كان لم يزل حارا فظل كما هو فى الشرفة . وأخيرا سمع اقتراب خطوات من البوابة الخلفية . وعبر شخص ما الحديقة ، وتقدم الى الشرفة ، ووقف فجأة أمامه . . ولكنه لم يكن القس . ونادى صوت عميق باسم الرجل الأعمى على نحو أبتى وبشكل تعوزه الكياسة . . انها طريقة الساموراي (٦) عندما يستدعى من هو أدنى منه مرتبة :

— هويتشى !

جفل هويتشى جدا وظل هكذا لحظة لا يجيب ، فنادى الصوت ثانية فى نبرة أمرة خشنة :

— هويتشى !

فأجاب الرجل الأعمى ، خائفا من نبرة التهديد الواضحة فى الصوت :

— هاى ! اننى أعمى ! . . اننى لا أستطيع أن أعرف من ينادى !

فهتف الغريب ، متحدثا بلطف أكثر :

— ليس هناك ما تخشاه ، انى أقف قرب المعبد ، ولقد بعثت اليك برسالة . ان مولاي الحالى شخص عالى المكانة رفيعة ، وهو الآن يقيم فى أكاجاسيكى ، مع صحبة كبيرة من النبلاء ورغب فى مشاهدة منظر معركة دان — نو — اورا ، لأنه زار ذلك المكان اليوم . وعندما سمع

(٦) عضو طبقة عسكرية بالوراثة فى عهد الإقطاع باليابان .

بمهارتك فى انشاد قصة المعركة . أصبح يرغب الآن فى سماع أدائك :
لذلك سوف تأخذ آلتك الموسيقية البيوا وتأتى معى فى الحال الى المنزل
حيث ينتظر فيه المجلس المهيّب !

وفى تلك الأيام كان أمر الساموراي لا يرد . ارتدى هويتشى
صنّده ، وأخذ آله البيوا وخرج مع الغريب ، الذى قاده برشاقة ، ولكن
جعلّه يضطر الى أن يمشى بسرعة جدا . . وكانت اليد التى تقوده من حديد ،
ودلت قعقة مشية المحارب على أنه مدجج بالسلاح . . ربما كان حارس
قصر ما يؤدى ذلك كجزء من وظيفته . وزال انزعاج هويتشى الذى انتابه
فى البداية . . وبدأ يتخيل نفسه حسن الحظ ، من أجل تخيله تأكيد
إلتابع عن « شخص عالى المكانة ربيعها ، ففكر فى أن هذا المولى الذى
يرغب فى سماع الانشاد لن يكون أقل من لورد من الدرجة الأولى .
وتوقف الساموراي عن السير ، وتنبه هويتشى الى انها قد وصلا الى
بوابة بمدخل فسيح ، وتعجب ، لانه لم يتذكر أية بوابة كبيرة فى هذا
الجزء من المدينة ، ما عدا البوابة الرئيسية لمعبّد أميدجى . وقال
الساموراي :

كايون (٧) !

وسمع صوت فتح المزلاج ، ومر الاثنان : وعبرا فضياء خديقة ،
وتوقفا مرة أخرى أمام مدخل ما ، وصرخ التابع فى صوت عال :

— يا من بالداخل ! لقد أحضرت هويتشى !

ثم سمعت أصوات أقدام متعجلة ، وانزلاق حواجز « بارافانات » ،
وانفتاح أبواب وأصوات نساء يتبادلن الحديث . . وعلم هويتشى من لغة
النساء أنهن لا بد أن يكن شغالات فى أحد قصور النبلاء ، ولكنه لم يستطع
أن يتخيل لى مكان قد قاده الساموراي . ولم يكن لديه الوقت للحدس .
وبعد أن ساعدوه فى صعود عدة سلالم من الحجر ، قالوا له أن يترك
صنّده على آخر سلّمة . وقادته يد امرأة فوق أرضية من ألواح الخشب
المصقول المنبسطة بشبّكل لامتناه ، وحول أركان مدعمة بالعمدان الخشبية
لا يتذكر عيدها من كثرتها ، ثم فوق امتدادات مذهلة من الأرضية المفروشة
بالحصير الى أن وصل الى وسط غرفة فسيحة . وهناك اعتقد بوجود
أناس عظماء كثيرين مجتمعين : وكان صوت حفيف الخريف مثل صوت

(٧) صيغة يابانية مؤدبة نستخدم للاستئذان بالدخول من حارس يؤدى وظيفته .

أوراق الشجر فى الغاية • وسمع أيضا همهمة واسعة من أصوات تتحدث فى نغمات منخفضة ، وكان الحديث حديث قصور •

وقالوا لهويتشى أن يأخذ راحته ، ووجد وسادة ركوع معدة له • وبعد أن اتخذ مكانه عليها ، وضبط آله ، وخاطبه صوت امرأة تكهن أن تكون « الروجو » ، أو القيمة المسئولة عن خدمة النساء ، قائلة :

— مطلوب منك الآن انشاد تاريخ الهيكل بمصاحبة آلة البيوا •

ولأن انشاد هذا التاريخ كله قد يتطلب العديد من الليالى ، لذلك تجاسر هويتشى وسأل :

— حيث أن القصة كلها لا تروى على مرة واحدة ، فما هو الجزء الذى ترغبون فى أن أرويها الآن فى جلال ؟

فجاء صوت المرأة بهذه الإجابة :

— انشد قصة معركة دان — نو — أورا ، لأن الرثاء عميق •

ورفع عندئذ هويتشى صوته ، وأنشد أنشودة القتال على البحر المر ، وجعل آله تصدر صوتا يشبه صوت المجاديف والاندفاع السفن وأذيق السهام ؛ وصياح وسحق الرجال ، واصطدام الصلب على الخوذات وارتطام المذبوح فى نهر الدماء • واستطاع أن يسمع من عن يساره وعن يمينه فى وقفات عزفه ، أصواتا متممة بالمديح :

— يا له من فنان رائع !

— لم نسمع مطلقا مثل هذا العزف فى اقليمنا !

— لا يوجد فى الامبراطورية كلها منى آخر مثل هويتشى !

وحلت به عندئذ شجاعة عذبة ، وعزف وغنى أفضل من قبل ، فانتشرت همسات الدهشة من حوله • ولكنه عندما جاء أخيرا ليروى قدر الأبرياء والعاجزين ، وهلاك النساء والأطفال الجديرين بالشفقة ، والموت المفاجئ لنى — نو — أما ، مع طفلها الامبراطورى الذى كانت تحمله بين ذراعيها ، عندئذ تفوه المستمعون كلهم سويا بصرخة كرب واحدة طويلة طويلة • وبعددها بكوا وانتحبوا بصوت عال ومسبحون حتى أن الرجل الأعشى أقزعه عنف الحزن الذى تسبب فيه • واستمر النشيج والعويل لبعض الوقت • ولكن ذبلت بالتدريج أصوات العويل والنواح ، ومرة ثانية ، سمع هويتشى فى السكون العظيم الذى أعقب ذلك ، صوت المرأة التى افترض أنها « الروجو » المسئولة عن خدمة النساء •

قالت :

— بالرغم من التأكيد لنا بأنك عازف حاذق على البيوا ، ولا تبارى في الانشاد ، لم تعرف أنك بهذه المهارة التى أثبتتها بنفسك الليلة . لقد سر مولانا ليقول لك بأنه- ينوى أن ينعم عليك بجائزة مناسبة . ولكنه يرغب فى أن تقوم بالأداء أمامه مرة كل ليلة من الليالى الستة القادمة ، والتى بعدها من المحتمل أن جلالته سيقوم برحلة العودة . ولذلك فعليك أن تحضر مساء غد الى هنا فى نفس الوقت . وسنرسل لك التابع الذى قادك الليلة . . . هناك موضوع آخر أمرت أن أبلغك به . . من المطلوب أنك لن تتكلم مع أى أحد عن زيارتك هنا ، أثناء فترة إقامة مولانا فى أكاما جاسيكي . وحيث انه مسافر متخفيا وباسم مستعار ، فهو يأمر بعدم ذكر هذه الأشياء أنك حر الآن لتذهب عائدا الى معبدك .

وبعد أن عبر هويتشى عن شكره ، قادته يد امرأة الى مدخل المنزل ، حيث كان التابع نفسه الذى أرشده الى الطريق من قبل منتظرا ليأخذه الى محل اقامته . وقاده التابع الى الشرفة التى تقع فى مؤخرة المعبد ، وهناك حياه مودعا .

كان الوقت فجرا تقريبا عندما عاد هويتشى ، لكن غيابه عن المعبد لم يلاحظه أحد ، فالقى قد عاد فى ساعة متأخرة ، وافترض أنه نائم . واستطاع هويتشى خلال النهار أن يأخذ قسطا من الراحة ، ولم يقل شيئا عن مغامرته الغريبة . وفى منتصف الليلة التالية جاء الساموراي مرة أخرى ، وقاده الى المجلس المهيّب ، حيث قام بالانشاد آخر بنفس النجاح الذى حصل عليه من أدائه السابق . ولكن غيابه عن المعبد خلال هذه الزيارة الثانية قد اكتشف بمحض الصدفة ، وبعد عودته فى الصباح طلبه القس لمقابلته ، وقال له فى نبرة عتاب :

— لقد قلقنا عليك أيها الصديق هويتشى . فمن الخطر أن يخرج أعمى وحيدا ، وفى ساعة متأخرة كهذه . لماذا خرجت دون أن نخبرنا ؟ لقد كان بإمكانى أن أكلف أحد الخدم لمصاحبتك . . . وأين كنت ؟

فاجاب هويتشى متخلصا :

— اغفر لي ، أيها الصديق الكريم ! كان على أن أقوم بعمل خاص ، ولم استطع ترتيب الأمر فى أى موعد آخر !

واندهش القس لتكتم هويتشى أكثر مما تألم : وشعر بأنه غير طبيعى ، وارتاب بوجود خيلا ما ، وخشى أن يكون الغلام الأعمى قد سحرته

بعض الأرواح الشريرة أو ضللتها • ولم يلق بمزيد من الأسئلة ، ولكنه أعطى تعليمات لخدام المعبد الرجال أن يراقبوا تحركات هويتشى سرا ، وأن يتبعوه فى حالة مغادرته للمعبد بعد حلول الظلام •

وفى الليلة التالية نفسها ، رأى الخدم هويتشى وهو يغادر المعبد • فأضياءوا مصابيحهم فى الحال ، وتبعوه • ولكنها كانت ليلة ممطرة ، ومظلمة جدا • وقبل أن يستطيع أهل المعبد الخروج الى الطريق العام ، كان هويتشى قد اختفى • ومن الجلى أنه قد سار مسرعا جدا ، وهذا شيء غريب ، آخذين عماء فى الاعتبار ، وحالة الطريق التى كانت سيئة للغاية • وأسرع الرجال عبر الشوارع ، مستفسرين من كل بيت كان هويتشى معتادا على زيارته ، ولكن لم يستطع أحد أن يعطيهم عنه أية أخبارا • وأخيرا ، عندما قفلوا راجعين الى المعبد عن طريق الشاطئ روعوا من بصوت الببوا ، وهى تعزف بعنف ، فى جبانة مدافن اميداجى • وفيما عدل النيران الشبحية التى كانت توضع هناك فى الليالى المظلمة • • فقد كان كل شيء غارقا فى ظلام حالك السواد • لكن الرجال أسرعوا فى الحال الى الجبانة ، وهناك ، وبمساعدة مصابيحهم ، اكتشفوا هويتشى ، جالسا بمفرده فى المطر أمام المقبرة التذكارية لانتوكو تينو (٨) جاعلا آله الببوا تدوى عاليا ، ومنشدا بصوت مرتفع نشيد معركة دان - نو - اورا • وكانت من خلفه ومن حوله ومن كل مكان فوق المقابر نيران الاموات مشتعلة مثل الشموع • ولم يظهر مثل هذا الحشد لاونى بى (٩) من قبل مطلقا على مشهد من انسان بشرى • •

فصرخ الخدم : سان (١٠) هويتشى ! سان هويتشى ! انك مسحور سان • هويتشى !!

فقال لهم مستنكرا :

« انى خطأ لا يغتفر ، أن تقاطعونى بهذا الأسلوب ، أمام هذا المجلس المهييب • »

وعند ذلك ، ومع غرابة الأمر وكأنه من عالم الغيب ، لم يستطع الخدم كتم ضحكهم • • لقد كان مسحورا بالتاكيد ، فقبضوا عليه الآن ،

(٨) طفل امبراطور الهيكى الذى غرق فى معركة دان - نو - اورا •

(٩) نيران شيطانية ، هكذا يسميها الصيادون الذين يدعون بأن بحر دان - نو - اورا وفواطكه كانت مغطاة بالنيران الشبحية •

(١٠) نصيفة احترام يابانية لمخاطبة اللاتى والموت •

وسحبوه وأوقفوه على أقدامه ، وأسرعوا به عائدين الى المعبد بالقوة .
حيث خلصوه في الحال من ملابس المبللة بأمر من القس ، وغيروا له
ملابسه ، وأطعموه وأشربوه . وأصر القس بعد ذلك على تفسير كامل
لتصرف صديقه العجيب .

تردد هويتشى طويلا قبل أن يتكلم . ولكنه قرر في النهاية عندما
وجد أن سلوكه قد أزعج بالفعل القس الطيب وأغضبه ، أن يقلع عن
تحفظه ، وروى كل شيء . . روى كل ما حدث منذ أول زيارة للساموراي .

فقال القس :

— هويتشى يا صديقى المسكين ، انك لفى خطر عظيم ! كيف لسوء
الحظ لم تخبرنى بكل هذا من قبل ! ان مهارتك المدهشة فى الموسيقى قد
ورطتك فى الحقيقة فى مشكلة غريبة . كان يجب أن تعي الآن بأنك لم
تكن تزور أى منزل أو قصر ، بل كنت تقضى لياليك فى الجبابة ، بين
مقابر الهيكى ، وكان ذلك أمام المقبرة التذكارية لانتوكوتينو حيث عثر
عليك رجالنا الليلة ، جالسا تحت المطر . وكل ما كنت تتخيله لم يكن الا
وهما . . فيما عدا نداء الموتى . وبطاعتك لهم مرة ، وضعت نفسك تحت
رحمتهم . واذا أطعتهم ثانية بعدما حدث بالفعل ، فسوف يمزقونك قطعة
قطعة . ولكنهم قد يحطمونك ان أجلا أو عاجلا على أية حال . . والآن
سوف لا أستطيع أن أبقي معك الليلة ، اننى مطلوب لأداء خدمة أخرى
خارج المعبد ولكن ، قبل أن أذهب ، فمن الضرورى حماية جسدك بكتابة
النصوص المقدسة عليه .

وقبل الفجر عرى القس ومساعد هويتشى : ثم رسما بفرشاة
الكتابة على صدره وعلى ظهره ، وعلى رأسه ووجهه وعنقه ، وعلى أطرافه
ويديه وقدميه . . وحتى على باطن قدميه ، وعلى كل أجزاء جسمه . .
نص سونزا (١١) المقدس الذى يدعى هانيا - شينكيو . وعندما تم ذلك
نبه القس هويتشى قائلا :

— يجب عليك الليلة ، بعد خروجي مباشرة أن تجلس فى الشرفة
وتنتظر . سوف ينادون عليك . ولكن لا تجيب ولا تتحرك ، مهما حدث .
لا تقل شيئا واجلس ساكنا . . وكأنك « تتأمل » واذا تحركت أو أصدرت
أى صوت فسوف تمزق اربا . لا تدع الخوف ينتابك ولا تفكر فى طلب

(١١) هى رسالات فى البوذية ، وهى مكتوبة شعرا ومبنية على الأحاديث الدينية
والفلسفية لبوذا .

المساعدة .. لأنه لن تنقذك أية مساعدة . إذا فعلت ما أخبرك به بالضبط .
سيمر الخطر ، ولن يوجد ما تخشاه بعد ذلك .

وعند حلول الظلام خرج القس ومساعداه من المعبد ، وأجلس هويتشى نفسه فى الشرفة . طبقا للتعليمات التى أعطاها له القس . ووضع آلة البيوا على الأرضية الخشبية بجانبه ، واتخذ وضع التأمل ، وبقي ساكنا تماما ، آخذا فى اعتباره ألا يسعل أو يتنفس بصوت مسموع . ومكث هكذا لعدة ساعات .

وبعدئذ سمع خطوات قادمة من عند المدخل . لقد مروا بالبوابة ، وعبروا الحديقة ، واقتربوا من الشرفة ، وتوقفوا .. أمامه مباشرة .

وناداه الصوت العميق :

— هويتشى !

ولكن الرجل الاعمى حبس أنفاسه وجلس بلا حراك .

فناداه الصوت للمرة الثانية بضراوة :

— هويتشى !

ثم مرة ثالثة بتوحش :

— هويتشى !

بقى هويتشى ساكنا كالحجر . فزمجر الصوت متذمرا :

— انه لا يجيب ! .. هذا لا ينفع ! .. يجب أن نرى هذا الشخص .

وكانت هناك جلبة أقدام ثقيلة تصعد الى الشرفة . واقتربت الأقدام بتأن ، ووقفت بجانبه .. ولدقائق طويلة ، أحس هويتشى خلالها أن جسمه كله يهتز لضربات قلبه ، وكان هناك سكوت الموت .

وأخيرا تهمم الصوت الأجش بالقرب منه قائلا :

— ها هي البيوا ، ولكن بالنسبة لعازف البيوا فلا أرى .. سوى أذنين فقط ! .. وهذا يفسر سبب عدم رده : فليس لديه فم ليرد به .. ولم يعد باقيا منه سوى أذنيه .. والآن سأخذ هاتين الأذنين لمولاي .. كدليل على اطاعة الأوامر الجليلة ، على قدر الامكان .

وأحس هويتشى فى تلك اللحظة بأصابع حديدية تقضم أذنيه وتنزعهما ! ولم يبك رغم الألم العظيم . وتقهقرت الخطوات الثقيلة على

طول الشرفة ، ونزلت الى الحديقة . ومرت من المدخل .. وبلاشت .
وشعر الرجل الأعمى من كلا جانبي رأسه بقطرات سميكة دافئة تسيل .
لكنه لم يجرؤ أن يرفع يديه .

وعاد القس قبل شروق الشمس . فأسرع في الحال الى الشرفة في
الخلف ، ولكنه انزلق فوق شيء رطب ، فتفوه بصرخة رعب ، لأنه رأى .
على ضوء مصباحه ، ان هذه الرطوبة كانت دما . ولكنه شاهد هويتشى
جالسا هناك ، في وضع التأمل .. ولا يزال الدم ينزف من جراحه .
فصرخ القس المرتعب :

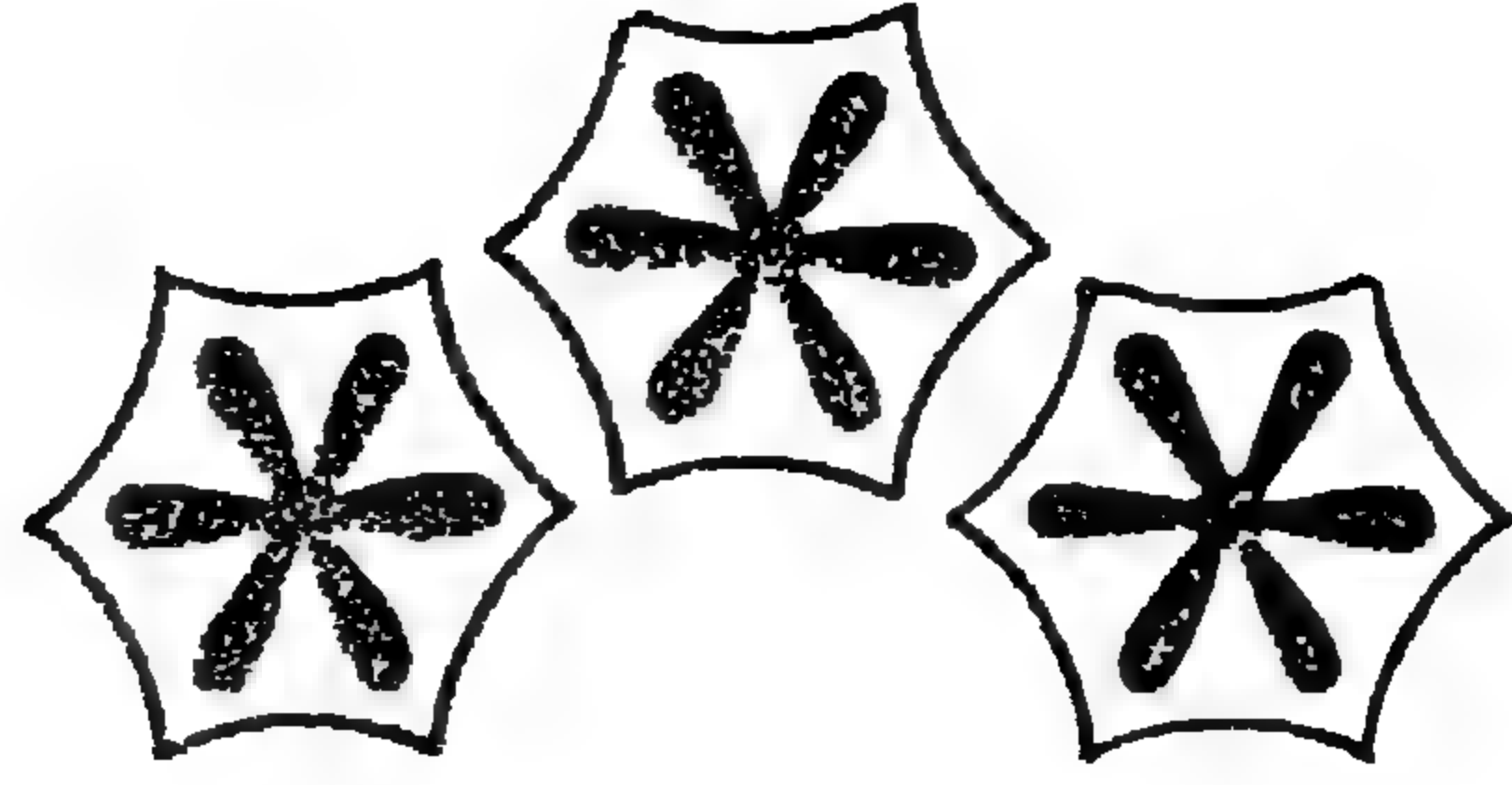
— هويتشى يا مسكين ! ما هذا ؟ .. لقد آذوك ؟

وشعر الرجل الأعمى بالأمان ، عندما سمع صوت صديقه . فاتفجر
في نسيج ، وروى مغامرته الليلية بالدموع .

فصاح القس :

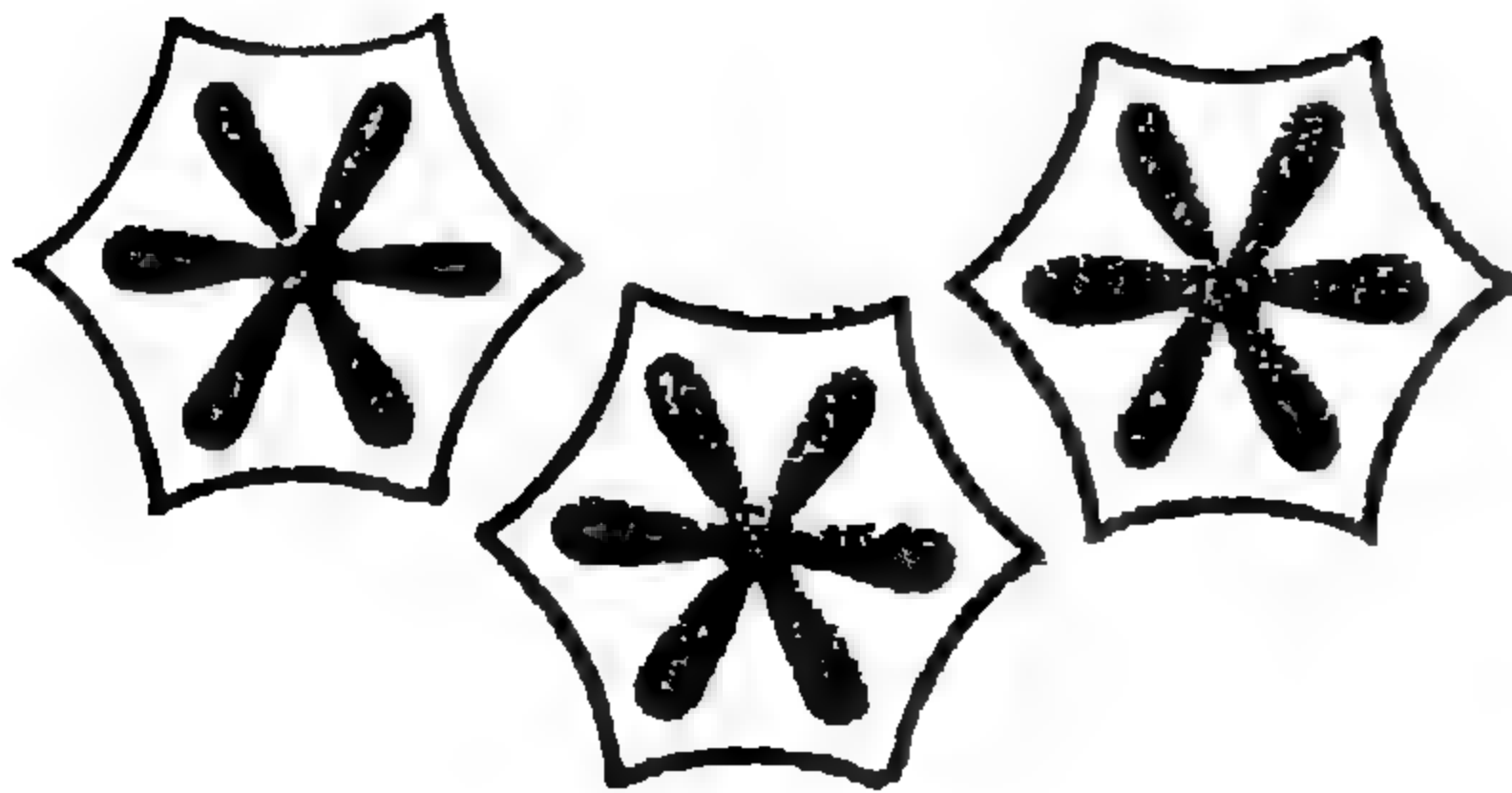
— مسكين يا هويتشى ، مسكين ! انها غلطتى ! .. غلطتى الفظيعة !
.. لقد كتبت النصوص المقدسة على كل مكان من جسمك .. ما عدا
أذنيك ! لقد كلفت مساعدي أن يقوم بهذا الجزء من العمل .. وكان خطأ
جسيما منى لأنى لم أؤكد بنفسى أنه قام بذلك ! .. حسن لا يمكن تغيير
الوضع الآن ، ولكننا سنحاول فقط مداواة الجراح بأسرع وقت ممكن ..
ابتهج يا صديقى ! .. لقد زال الخطر الآن . ولن يزعجك هؤلاء الزوار
مرة أخرى .

وشفى هويتشى من مصابه بمساعدة طبيب ممتاز . وانتشرت قصة
مغامرته الغريبة فى شتى الأنحاء ، وجعلته مشهورا فى الحال . وذهب
العديد من النبلاء الى اكاما جاسيكي يسمعونوه وهو ينشد ، وأعطيت له
منح كبيرة من المال ، ولذلك أصبح رجلا ثريا .. ولكن منذ وقت
مغامرته ، عرف بين الناس بلقبه : ميمى — ناشى — هويتشى : « هويتشى
مقطوع الأذنين » .



القصة القصيرة

- صور من الجحيم
- أتوبيس الفحم
- قرع سيبي
- اللص
- الجندي



صور من المجيم (١)

للكاتب

رايونوسوكى اكوناجاوا

★ رايونوسوكى اكوناجاوا (١٨٩٢ - ١٩٢٧) :

يسمونه أحيانا ادجار ألن بو اليابان . يعد من أشهر الكتاب اليابانيين خارج اليابان . قضى معظم حياته فى الكتابة ، رغم أنه عمل كمدرس وكصحفى . أعاد الحياة للأساطير القديمة ، ولكنه عمقها بأبعاد سيكولوجية . كان نزاعا لمرتبة الكمال فى الأسلوب الذى خاض تجربته بشكل متكرر مع القصة القصيرة ، قاله المفضل .

ثم دمج قصتين من قصصه القصيرة ، « راشومون » : حكاية عن السرقة والموت ، و « فى الدغل » التى تروى حادثة فردية من وجهات نظر مختلفة ، ليصيحها الفيلم اليابانى ذائع الصيت « راشومون » ، فكان سبرا لطبيعة الإدراك الحسى والواقع .

[١]

أشك فى أنه سيأتى انسان آخر شبيه للورد هوريكاوا ، وبالتأكيد لم يأت مثله أحد حتى الآن . يقول البعض بأن ملاكا حارسا ظهر لصاحبة العصمة والدته فى حلم قبل ولادته ، وعلى الأقل فمنذ يوم ولادته وهو أكثر الناس ، فى الحقيقة ، شذوذا . . . كان يجفل الناس ويروعهم بشكل دائم بسبب ما يفعله من خوارق الأعمال . وما عليك الا أن تلمح

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ و. هـ. هـ. تورمان .

خطة من خطط هوريكاوا لتدرك عظمتها • ولن يحلم أى شخص عادى مطلقا بالجرأة والجسارة التى تمت بها •

لكن • بالتأكيد لم تكن نية سيادته مجرد أن يمجد ذاته ، لقد كان كريما ، ولم ينس الطبقات الفقيرة ، وكان يريد امتاع البلد كلها عندما كان يفعل ذلك •

وهناك قصة عن قصر كاوارا المشهور فى هيجاشى سانجو ، اذ قيل أن شبح وزير الميسرة ظهر هناك ليلة وراء ليلة ، الى أن تمكن سيادته من طرد الروح الشريرة بعد التعزيم عليها وتعنيفها • ولهذا كانت له هيبتة فى العاصمة ، حتى كان يعتبره كل شخص ، رجلا كان أم امرأة ، أم طفلا على أنه تجسيد لاله • وذات مرة أثناء عودته فى عربته من الاحتفال بازدهار الحوخ ، انفلت ثوره وأصاب رجلا عجوزا عابرا ، لكنهم يقولون أن الرجل المصاب أطبق يديه سويا وانحنى احتراما حيث كان ممتنا بالفعل بأن ثور سيادته قد دهسه •

وهكذا بدأت تحاك قصص طيبة كثيرة عن حياة سيادته • وفى إحدى الحفلات قام بعرض ثلاثين جوادا أبيض ، وفى مناسبة أخرى أعطى فتى أثيرا لديه ليصبح دعامة بشرية لجسر ناجارا • ولن توجد نهاية اذا بدأت فى سردها جميعا ، ولكنى أشك ، رغم تعدد هذه النوادر أن تضاهي احداها فى رعب قصة صنع ستار (٢) الجحيم الذى يعتبر من أقيم الكنوز الفنية فى القصر • لم يكن سيادته ينزعج بسهولة ، ولكنه بدا عليه فى تلك المرة الاستفزاز • وكم ازداد قزعنا ، حينئذ ، نحن الذين فى خدمته ، لقد خفنا على أرواحنا نفسها • وبالنسبة لى ، فلقد خدمته لمدة عشرين عاما ، ولكنى شاهدت هذا المنظر المروع ، شعرت بأن مثل هذا لا يمكن أن يكون قد حدث من قبل على الإطلاق • ولكنى أروى هذه القصة ، يجب أن أحكى أولا عن يوشيهيدى الذى رسم صور الجحيم •

[٢]

أتوقع أن يتذكر الكثيرون يوشيهيدى حتى اليوم • كان فى زمنه رساما مشهورا ، لم يتفوق عليه أحد من معاصريه • كان حينئذ فى حوالى

(٢) سائر « بارافان » ، وعادة ما يكون بحطة فنية •

الخمسين من عمره . على ما اعتقد . كان مشاكسا سيء الطبع . لايسر ناظريه : قصير القامة ، كيس من الجلد والعظام . وكانت شسفتاه الحمراءوان النضرتان تظهرانه أكثر سراً . وكأنه من احدى فصائل الحيوان ، كان بعضهم يقول ان ذلك بسبب وضعه لفرشة الالوان المحمرة بين شفتيه ، ولكننى أشك فى ذلك . بينما قال آخرون أكثر قسوة بأن مظهره ، وحركاته توحى بالقرد . . ويذكرنى ذلك بهذه القصة . كانت يوزوكى الابنة الوحيدة ليوشييهيدى ، فتاة ساحرة فى الخامسة عشرة ، لا تشبه أباهها على الإطلاق ، وتعمل وصيفة فى هوريكاوا فى ذلك الوقت وكانت يوزوكى ، ربما لوفاة أمها وهى مازالت طفلة صغيرة ، رقيقة العاطفة وذكية ذكاء يفوق سنها . وتحظى بتدليل صاحبة العصمة . وأفراد حاشيتها بالتالى .

وحدث فى ذلك الوقت أن قدم أحدهم قردا أليفا من تامبا كهيدية، فسماه اللورد الصغير العايب يوشييهيدى . وكان القرد حيوانا له مظهر كوميدى ، على كل حال ، ومع هذا الاسم ، لم يكن أحدا فى القصر يستطيع أن يقاوم الضحك عليه . بل فعلوا أكثر من ذلك ، فكانوا يضايقونه بهتافهم :

« يوشييهيدى ، يوشييهيدى ! » اذا تسلق شجرة الصنوبر بالحديقة أو لطح الحصير أو قام بأى عمل آخر .

وفى أحد الأيام كانت يوزوكى مارة فى احدى القاعات الطويلة عندما ظهر القرد من خلف باب انزلاقى ، هاربا بأقصى ما فى وسعه . كان من الواضح أن ساقه مصابة لأنه كان يعرج ، غير قادر ، على ما يبدو ، أن يتسلق عامودا برشاقتة المعهودة . وجاء وراءه اللورد الشاب ملوحا بسوطه . وصائحاً : « قف بالى ! يا سارق البرتقال ! » ترددت يوزوكى للحظة ، الشئ الذى أعطى الفرصة للقرد الهارب أن يتسلق جونلتها صارخا بشكل يستدر الشفقة . وفجأة أحست أنها لا تستطيع كبح شفقتها ، فمدت يدها فتأرجح كم الكيمونو البنفسجى فى نصف دائرة ، والتقطت القرد برقة ثم انحنت أمام اللورد الشاب وقالت بحلاوة « التمس عفوكم . انه مجرد حيوان . كن رحيما واعف عنه ، يا سيدى » .

فجاءها راكضا منفعلا ، وعبس ودق بقدمه مرتين أو ثلاث مرات

وقال :

— لماذا تحمينه ؟ لقد سرق بعض البرتقال ١٩

فقلت مكررة :

ـ ولكنه مجرد حيوان •

ثم أردفت قائلة وهي تبتسم بحزن :

ـ وطالما أنك تناديه يوشيهيدى ، فكأنه أبى الذى يعاقب • وهذا ما لا أستطع رؤياه •

فهزمت جراتها السيد اللورد ، الذى قال على مضض :

ـ حسن ، اذا كنت تدافعين عن أبيك نفسه ، فسأعفو عنه ، ضد قرارى •

واستدار ، ملقيا بالسوط ، وعاد عبر الباب الانزلاقى الذى أتى منه •

[٣]

ومنذ ذلك اليوم أصبحت يوزوكى والقرد مخلصين لبعضيهما البعض فعلقت جرسا ذهبيا ، كانت الأميرة قد اعطته لها ، وعلقته حول رقبة القرد بحبل أحمر لامع ، ولم يدعها القرد تفارق بصره • فعندما أصيبت بالبرد مثلا ذات مرة وذهبت الى فراشها ، تأثر القرد بشكل واضح وجلس بلا حراك بجانب وسادتها يقضم أظافره •

وشىء غريب آخر ، فمن ذلك الوقت لم يقم أحد بمضايقة القرد بالشكل السيء كما كان يحدث من قبل ، بل على العكس ، بدأوا يدللونه وحتى اللورد الشاب فكان يلقي له ، من حين لآخر بثمر البرسيمون أو الكستناء •

ولقد غضب ذات مرة عندما أمسك بواحد من الساموراي (٣) يرفس القرد • أما بالنسبة للورد الكبير ، فيقولون أنه عندما سمع بأن ابنه يحمى القرد من الأذى ، طلب يوزوكى لتمثيل أمامه والقرد بين ذراعيها • ولابد أنه سمع فى هذه المناسبة لماذا قامت بتدليل القرد ، فقال لها :

ـ انك فتاة بارة ، وسأكافئك على ذلك •

(٣) رجل من الطبقة العسكرية بالوراثة فى عصر الاقطاع باليابان •

واعطاها كيمونو قرمزي اللون للاحتفالات الرسمية ، فأنجنت
شاكرة ، وفبلت الكيمونو بعظيم الاحترام والاذعان ، وقام القرد بتقليد
حركاتها ، الشيء الذى دغدغ شعور سيادته بشكل كبير . وهكذا
أصبحت الفتاة التى ناصرت القرد أثيرة عند سيادته ، لأنه أعجب ببرها
وولائها لوالدها . لا ، كما تناولتها الاشاعة ، لأنه كان مغرما بها .
وقد يكون هناك أساس لهذه الاشاعة ، وسأروى عن ذلك فيما بعد .
أما الآن يكفى القول أن لورد هوريكاوا لم يكن من النوع الذى يقع فى
حب ابنة فنان ، مهما كانت جميلة .

وهكذا انسحبت ابنة يوشيهيدى من حضرتها ، بعد تشريفها ،
ولأنها كانت حكيمة وطيبة ، فلم تشعر الوصيفات الأخريات بالغيرة منها
انما أصبحت هى وقردها محبوبين أكثر من ذى قبل ، وبصفة خاصة،
عند الأميرة ، التى لم تعد تقدر على مفارقتها ، وبدأت ترافقها بشكل
ثابت فى عربة مسراتها .

ومع ذلك يجب أن نترك الابنة لفترة ونعود الى الوالد . فالبرغم من
أن القرد أصبح مدلا من قبل الجميع ، الا أنهم جميعهم كرهوا يوشيهيدى
العظيم . ولم يكن ذلك فى حدود أهل القصر فقط ، بل كان رئيس دير
يوكوجاوا يكرهه ، فاذا ذكر يوشيهيدى يتغير لونه وكأنه واجه شيطانا .
(كان هذا بعد أن رسم يوشيهيدى كاريكاتيرا لرئيس الدير ، طبقا لما
تناقلته السنة الخدم ، وهو أمر لا يعدو أكثر من القيل والقال) . على
أية حال ، كان الرجل غير محبوب عند أى شخص يقابله . واذا كان
هناك البعض ممن لا يتحدثون عنه بسوء ، فكانوا لا يتعدون اثنين أو
ثلاثة من زملائه الفنانين أو من الناس الذين يعرفون صورته ولوحاته
ويقدرونها ، ولا يعرفون الانسان فيه .

لم يكن يوشيهيدى مجرد شخص منفر فى مظهره : فالناس كانت
تكرهه أكثر بسبب عاداته . ولا يوجد من يلام على عدم شعبيته
الا نفسه .

[٤]

كان شحيحا . . كان سيء المزاج . . كان صفيق الوجه . . كان
كسولا . . كان شرها ، وأسوأ من كل شيء أنه كان متعجرفا بكل الازدراء ،
متاكدا من أنه أعظم فنان فى البلاد .

اذا كان فخورا بعمله فقط لما كان الوضع بهذا السوء . الا أنه كان
يحتقر كل شيء . حتى عادات وتقاليد المجتمع . وعندما كان يتنفذ صورة

آلية الجمال رسم صورة موسى فاجرة ، ولصورة فودو (٤) رسم خريج
سجون خسيسا ، فكانت الموديلات التي يختارها مثيرة للاشمئزاز ، ولقد
قال ببرود عندما أخذوه للعمل فيها : « سيكون من الغريب أن تعاقبني
الآلية والبوذا وأنا الذي أمنحهم الحياة بفرشاتي » .

وكان الذين يتدربون على يديه يروعون عندما يفكرون في المصير
المرعب لما هو مدخر لهم في مخزنه ، وكثيرون تركوا رسمه . انه
الكبرياء . . كان يتخيل نفسه أعظم رجل في اليابان كلها .

باختصار ، فبرغم كونه موهوبا بشكل استثنائي ، الا أنه يتصرف
من برج عاجي ، وكثير من الفنانين الذين ليسوا على وفاق معه ، كانوا
يؤكدون أنه دجال ، لأن رسمه وألوانه كانت غير مألوفة على الإطلاق .
انظر الى رسوم الباب لفناني الماضي المشهورين ! تكاد تشم رائحة
زهور الخوخ في ضوء القمر ، تكاد تسمع صوت أحد رجال البلاط على
« البارافان » وهو يعزف الفلوت . وهكذا اكتسبوا شهرتهم بسبب
الجمال الفائق .

اما صون يوشيهيدى فكانت مشهورة بأنها مشثومة وكثيبة دائما،
فمثلا ، رسم « الأوجه الخمسة للحياة والموت » على بوابة معبد ريوجاي ،
فكانوا يقولون بانك اذا مررت على البوابة في الليل لامكنك سماع
تنهدات ونشيج الآلهة التي رسمها هناك . وآخرون يقولون بانك
تستطيع أن تشم رائحة الجثث العفنة . أو عندما رسم ، بأمر من سيادته
صور بعض نساء أهل القصر ، ففي خلال ثلاث سنوات مرضت كل
واحدة منهن ، وكان زوجها قد فارقته ، ومتن جميعهن . واعتبر هؤلاء
الذين يتكلمون عن يوشيهيدى بالسوء هذه الواقعة دليلا أكيدا على أنه
يستخدم السحر الأسود في تنفيذ صوره .

ابتهج يوشيهيدى لشهرته بالانحراف والضلال . وذات مرة عندما
قال له سيادته هازلا :

— يبدو أنك تحب القبح !

فالتوت شفتا يوشيهيدى الحمراءوان بشكل غير طبيعي في ضحكة
ذميمة وقال بازدراء :

— أجل . فعادة لا يستطيع الرسامون فهم جمال الأشياء القبيحة !

٤) فودو في البوذية اليابانية هو إله الصلح والاستقامة وقاهر الشياطين .

ولكن يوشيهيدى هذا الذى لا يوصف ، عديم الضمير ، كانت له
خلة انسانية رقيقة .

[٥]

وكانت هذه الخلة هي عاطفته نحو طفلة الوحيدة ، التى أحبها
جدا . وكما قلت من قبل ، كانت يوزوكى رقيقة ومخلصة بعمق
لأبيها ، وكان حبه لها لا يقل عن اخلاصها له . أليس مما لا يصدق أن
هذا الرجل الذى لم يقدم أى تبرع للمعبد يزود ابنته بمثل هذا الكيمونو
ودبايس الشعر هذه باستخفاف طائش بالتكلفة ؟

انما شعور يوشيهيدى نحو يوزوكى لم يكن أكثر من عاطفة . فلم
يقدر فكره مثلا فى اختيار زوج صالح لها . ومع ذلك فقد يستأجر
أجلافا لاغتيال أى شخص يقترب منها بسوء . لذلك ، عندما أصبحت
وصيفة فى هوريكاوا ، بأمر سيادته ، تقبل يوشيهيدى النبا بشكل
سوء جدا ، وحتى عندما امتثل أمام « اليايميو » (٥) عبس لبرهة . وكان
الظن الأكبر لمن لاحظ استياء يوشيهيدى تصديق اشاعة أن نياقة اللورد
— متجديا بجمالها — قد ذاق مباحجها ، نكاية فى أبيها .

وبالطبع ، حتى لو كانت الاشاعة كاذبة ، فكان من الواضح أن
شدة عاطفته جعلت يوشيهيدى تواقا لأن تخسر ابنته مكانتها بين نساء
سيادته . وعندما أمر سيادته يوشيهيدى بأن يرسم مونجو اله الحكمة ،
اتخذ غلام نيافته المفضل كموديل له ، فأثنى عليه لورد هوريكاوا كل
الثناء ، لأنها كانت صورة جميلة ، وقال له بكرم :

— سأعطيك ما تتمناه كمكافأة . فماذا تطلب ؟

فأبدى يوشيهيدى امتنانه ، ولكن ماذا تعتقد كان الطلب الجسور
الذى طلبه ؟ أن تترك ابنته خدمة سيادته ؟ قد يكون من الوقاحة أن يطلب
أحد السماح لابنته بالعمل داخل القصر ، ومن سوى يوشيهيدى يطلب
إطلاق صراح ابنته ، مهما كان مدى حبه لها ؟ فحتى اللورد الكريم بدا
متكدرا ، وراقب يوشيهيدى فى صمت لمدة طويلة ، ثم بصق ووقف
فجأة قائلا :

— كلا !

وتكرر حدوث ذلك . وأثناء استعادتي لهذه الذكريات الآن أجد
أن نظرة سيادته ليوشيهيدى كانت تزداد برودة فى كل مرة . ولعل

(٥) لقب يطلق على السيد الاقطاعى (هوريكاوا) .

يوزوكي أصبحت بسبب ذلك مهتمة بسلامة أبيها ، لأنها كانت كثيرا ما تجز على أكمامها . وتنتحب عندما تكون فى غرفتها . وبدون شك فهذا هو الذى جعل الاشاعات القائلة بأن سيادته قد وقع فى حب ابنة يوشيهيدى متداولة بين الناس . واحداها يقول أن وجود ستار الجحيم نفسه كان يعود الى حقيقة عدم اذعانها لرغباته ، ولكن هذا بالطبع لم يكن حقيقيا .

فنحن نؤمن بأن سيادته لم يستغن عنها لأنه ببساطة يشفق عليها . لقد شعر بالأسف لموقفها ، وبدلا من أن يتركها مع أبيها المتحجر أرادها فى القصر حيث لا يوجد أى أزعاج لها . ولم يكن هذا سوى منة منه . وكان من الواضح أن الفتاة قبلت عطفه ، ومن المبالغة القول بأنها كانت خليلته . كلا ، فسيكون هذا افتراء تاما لا أساس له من الصحة .

على أية حال ، فبسبب طلبه الخاص بابنته ، أصبح يوشيهيدى مكروها من قبل سيادته . وعندئذ أمر لورد هوريكاوا الفنان يوشيهيدى والزمه برسم « بارافان » لدوائر الجحيم .

[٦]

عندما أقول « بارافان » لدوائر الجحيم ، تبدو مناظر هذه الرسوم المخيفة تطفو أمام عيني . هناك رسامون آخرون رسموا صورا من الجحيم ولكن صور يوشيهيدى كانت مختلفة من أول « اسكتش » . وفى أحد اركان اللوحة الأولى رسم الملوك العشرة (٦) وأسرههم بمقياس صغير ، والباقون كانوا عبارة عن دوامة مرعبة من النار حول غابة من السيوف التى تبدو مستعدة للانفجار لها . وفى الحقيقة ، فيما عدا أرواب موظفى الجحيم ، التى كانت منقطة بالألوان الصفراء والزرقاء ، كان لون اللهب هو السائد ، وفى المركز ينبثق دخان فاحم السواد راقصا ، وينطلق منه الشرر مثل الفحم المشتعل المتطاير .

كانت لمسات الفرشاة لذلك فقط مدعاة للاندعاش ، ولكن معالجة المذنبين المتقلبين مرات ومرات فى نار الانتقام كانت لا تشبه أية صورة

(٦) حكام العالم السفلى فى الميثولوجيا اليابانية .

عادية للجحيم • فمن أرفع نبيل الى أخط متسول • كل ما يمكن أن
نتصوره من أشخاص كنت تراهم هناك • رجال بلاط في الملابس
الرسمية ، عذارى البلاط المغريات في أبواب القصر ، قسس يدندنون
فوق مسابيح ابتهالاتهم ، علماء على منصات خشبية عالية ، فتيات
صغيرات في قمصان بيضاء ، عرافون يلوحون بعصيهم الورقية ...
لن أذكرهم جميعهم • فجميعهم كانوا هناك ، مغلفين باللهب والدخان ،
تعذيبهم زبانية ذوو رؤوس ثيران وجياد : منتفخين مبعثرين في شتى
الاتجاهات مثل أوراق الشجر المتساقط في عاصفة هوجاء ، وهم يفرون
هنا وهناك • وكانت هناك العرافات بشعورهن المعلقة في سوكات ،
وأطرافهن موثوقة بأحكام أكثر من أرجل العناكب • وأمرأ صغار كانوا
معلقين رأسا على عقب كالحفافيش ، صدورهم مoxوزة بالرماح ، يضربون
بسياط من حديد ، يسحقون بمثاقيل مهولة من الحجر الصلب ، ينقرهم
طير مشثوم ، تفترسهم تنينات مسمومة • لا أدري كم من المذنبين
مرسومين ولا أستطيع حصر كل أنواع وأشكال تعذيبهم •

انما يجب أن أذكر منظرا مروعا كان يبرز من بين المناظر الأخرى
• كانت ترعى قمم أشجار السيف الحادة كانياب الحيوان ، أرواح
متعددة تتكالب عليها ، باصقة اثنتين أو ثلاث مرات بعمق • وتهوى
عبر الفضاء عربة تجرها ثيران تتطاير غمامات عيونها فتفتحها زعايب
الجحيم ، وفي داخلها محظية امبراطور في أبهة فائقة الجمال ، وشعرها
الأسود الطويل يصفق في اللهب وتحنى رقبتها البيضاء وتتلوى في
كرب مبرح • لا شيء يجعل تعذيب جهنم المتقدم أكثر واقعية مثل ظهور
هذه المرأة في عربتها المشتعلة • فرعب الصورة كلها كان مركزا في هذا
المنظر • كان انجازا ملهما لدرجة أن من ينظرون اليها يعتقدون سماع
صراخات مرعبة في آذانهم •

آه ، ولهذه الصورة وقعت هذه الواقعة ! وبدونها كيف حتى
ليوشيهيدي أن يعبر بهذه الحيوية عن آلام جهنم المبرحة ؟ ولانجاز هذه
الصور يلقي يوشيهيدي قدرا في منتهى القسوة أودى بحياته • لأن هذا
الجحيم الذي صورته كان الجحيم الذي سيسقط فيه أعقم رسام في البلاد
في يوم ما • قد أكون متسرعا في روايتي لهذه القصة الغريبة لصور
من الجحيم ، أو لعل قد سردت الطرف الخاطيء للقصة في الأول • فإلعد
الآن الى يوشيهيدي بعد أن أمره سيادة اللورد برسم صور للجحيم •

لمدة خمسة أو ستة شهور كان يوشيهيدى مشغولا بالعمل فى هذه الصور حتى أنه لم يعد يراه أحد بالقصر على الإطلاق . أليس من الملفت للنظر أنه بكل عاطفته . عندما انغمس فى رسمه ، لم يرغب حتى فى رؤية ابنته ؟ . والمتدرب الذى اشرت اليه من قبل قال بأنه عندما ينشغل يوشيهيدى فى عمل ما . فيكون كما لو أن ثعلبا (٧) قد سحره . وطبقا للقصص التى دارت فى ذاك الوقت فيوشيهيدى قد حقق شهرة بمساعدة السحر الاسود بسبب قسم كان قد أداء لأحد آلهة الحظ العظيم . والدليل على ذلك ، انك اذا ذهبت الى مرسمه وأمعنت النظر فيه . دون أن يدري ، لأمكنك رؤية أطراف الثعالب تعج بالمكان من حوله وهكذا كان ، فعندما حدث وأمسك بفرشاته نسي كل شيء الى أن انتهى من الصورة . وكان يغلق على نفسه فى حجرة واحدة ليل نهار ، ولا يكاد يرى ضوء النهار . وعندما رسم صورا من الجحيم كان هذا الاستغراق كاملا .

كان يحتفظ بمصراع النوافذ منسدلا أثناء النهار ، ويخلط ألوانه السرية على ضوء مصباح معلق على حامل ثلاثى القوائم . وجعل تلاميذه يرتدون ملابس فيها كل أنواع البهجة رسمها وأعددها لهم بعناية فائقة . لم يكن عمله فى « بارافان » الجحيم سببا فى تصرفه هكذا ، بل كان يطلب ذلك فى كل صورة يرسمها . وفى الوقت الذى كان يرسم فيه « الوجوه الخمسة للحياة والموت » فى ريوجايجي ، تصادف ورأى جثة ملقاة بجانب الطريق . وأى شخص عادى قد يشيح بوجهه ، أما يوشيهيدى فقد خطا من بين زمرة الناس ، وربض جالسا ، ورسم على راحته الوجه والأطراف شبه المتعفنة بالضبط كما كانت عليه .

كيف لى أن أنقل لكم تركيزه العنيف ؟ بعض منكم سيظل يفشل فى إدراكها . وطالما لا أستطيع أن أرويها بالتفصيل ، فسوف أقولها بشكل اجمالى .

كان التلميذ ، عندئذ ، يخلط الألوان ، فظهر يوشيهيدى فجأة وقال :

(٧) من المعتقد فى الفولكلور اليابانى أن الثعلب يقدر على سحر الناس واتخاذ الشكل البشرى .

– أحب أن آخذ لى سنة من النوم . ولكن أحلاما مزعجة كثيرة
أخذت تزعجنى فى الآونة الأخيرة .

ولما كان هذا ليس بالشئ الشاذ ، فأجاب التلميذ باقتضاب ولكن

بآدب :

– سمعا وطاعة يا سيدى !

قال هذا دون أن يرفع يده عن شغله . بينما قال الفنان فى وحشة
واهتمام غريبين عليه :

– أقصد أننى أودك أن تجلس بجانب وسادتى أثناء غفوتى .

فكر التلميذ وقال فى نفسه بأنه من غير الطبيعى أن يتزعج بالأحلام
لهذه الدرجة من السوء ، ولكن الطلب كان بسيطا ، فوافق بأذعان .
ولما كان يوشيهيدى مازال قلقا فقد طلب منه أن يأتى اليه فى الحال .
وقال له مترددا :

– واذا جاء تلميذ آخر فلا تدعه يدخل الحجرة أثناء نومي .

وكان يقصد بالحجرة ، الحجرة التى يرسم فيها « البارافان » .
كانت الأبواب فى هذه الحجرة محكمة الاغلاق وكأنه ليل ، وعادة ما كان
يترك ضوءا مشتعلا ، ويقف البارافان حول جوانب الحجرة ، وكانت
الخطوط الأولية للتصميم بالفحم كاملة . ووضع يوشيهيدى بمرفقه
على الوسادة مثل رجل مرهق تماما ، وسقط فى النوم بهدوء . ولكن
قبل مرور ساعة بدأ صوت بغيض بشكل لا يمكن وصفه يصل لآذان
التلميذ .

[٨]

فى البداية لم يكن أكثر من صوت ، أما الآن فيسمع كلمات واضحة
لرجل يثن أنينا وهو يغرق فى الماء .

ماذا . . . اتنادينى ؟ أين ؟ الى أين . . . الى الجحيم ؟ الى جحيم النار
من هذا ؟ من فضيلتكم ؟ لو أعرف من . . .

وتوقف التلميذ بلا وعى عن خلط الألوان ، شاعرا بأنه قد أصبح
متطفلا على أسرار خصوصية ، وتطلع الى وجه الفنان . كان هذا الوجه

متجعدا شاحبا ، تتناثر عليه قطرات كبيرة من العرق • وكانت الشفتان جافتين ، والفم بأسنانه القليلة كان فاغرا فى اتساع وكأنه يتلهف على نسمة هواء • • وهذا الشيء المترجرج وكأنه معلق فى خيط كان لسانه !

— لو كنت أعرف من ••• أوه ، انه فضيلتكم ، أليس كذلك ؟ ماذا ! جئت للقائى • لهذا على أن آتى • أن أذهب الى الجحيم ! ابنتى تنتظرنى فى الجحيم !

فى هذه اللحظة هبط ظل غريب سديمى أو بدا كذلك على وجه البارافان ، فأحس التلميذ بخرق للطبيعة • فهز فى الحال سيده بكل قوته ، ولكن يوشيهيدى كان لم يزل فى قبضة الكابوس ، مستمرا فى مناجاته • • ومن الواضح أنه قد أصبح غير قادر على الاستيقاظ من نومه • • وعلى ذلك أخذ التلميذ بجسارة ، الماء المخصص لفرششات الألوان وسكبه فوق وجه يوشيهيدى • فصاح قائلا :

— انها تنتظر : ادخل هذه العربة • ادخل هذه العربة وانزل الى الجحيم •

(وتغير صوته وهو يقول هذه الكلمات ، كان لصوت رجل يختنق. وفى النهاية فتح عينيه • وقفز فزعا كمن وخزته ابر • لا بد أن أمور القدر المشئوم لهذا الحلم مازالت معه • كانت تجربته مرعبة ، فقفر فاه وأخذ يحملق فى الفضاء • وبدأ عندئذ وكأنه استعاد نفسه) ، وقال باقتضاب :

— اننى بخير الآن • يمكنك أن تغادر الحجرة • • !

ولما كان التلميذ سيوبخ توبيخا عنيفا اذا لم يطع ، لذا غادر الحجرة. فورا • ولما شاهد ضوء النهار الجميل ، تنهد الصعداء كما لو كان قد استيقظ من حلم مزعج •

لم يكن هذا أسوأ شيء • فبعد شهر طلب من تلميذ آخر ان يدخل عليه فى الحجرة الخلفية • كان يوشيهيدى يقرض فرشاته كالمعتاد فى الضوء المعتم لمصباح الزيت • وفجأة التفت الى التلميذ وقال :

— اريدك أن تتعري مرة أخرى •

ولما كان قد طلب منه فعل ذلك عدة مرات من قبل ، فاطاع التلميذ فى الحال • ولكن عندما شاهده هذا الرجل ، الذى لا يصح ذكره ، عاريا تماما امامه أصبح وجهه مشوها بشكل غريب وقال ببرود ونفور :

— أريد أن أرى رجلا مغلولا بالسلاسل • أريدك أن تفعل ما
أطلبه منك لفترة وجيزة •

وكان التلميذ المتدرب شخصا جادا لا يعرف الهزل ، وكان من
رأيه سابقا أن الإمساك بالسيف أفضل بكثير من الإمساك بفرشاة
الألوان ، ولذلك أدهشه هذا الطلب • وكما قال بعد ذلك :

— بدأت أتساءل ترى هل أصيب استاذي في عقله وسيسيقوم
بقتلي •

ومع ذلك ، جلب يوشيهيدي ، الذي زاد نفاد صبره مع تردد الآخر
سلسلة حديدية خفيفة تصلصل في يده ، وبدون اعطائه فرصة الطاعة
أو الرفض قفز على المتدرب وجلس على ظهره ، ولوى ذراعيه وربطها من
حواله عدة مرات • وكان الألم يكاد لا يحتمل ، لأنه شد نهاية السلسلة
بوحشية ، ولذلك سقط التلميذ بصوت عال متدحرجا على الأرض ثم
رقد ممتددا ••

[٩]

وقال أنه رقد هناك مثل جرة النبيذ المتدحرجة على جانبها • ولأن
يديه وقدميه محنية وملوية بقسوة فلم يكن يستطيع أن يحرك سوى
رأسه • كان سميئا ، ومع اعاقه دورته الدموية تجمع الدم ليس في
وجهه فقط بل في كل مكان تحت جلده • ومع ذلك ، لم يزعج هذا
يوشيهيدي على الإطلاق ، وسار حول « جرة النبيذ » •• وأخذ
يرسم « اسكتش » وراء « اسكتش » •• ولست في حاجة لأن أتوصع
في وصف معاناة التلميذ •

ولو لم يحدث شيء ، لتأخر التعذيب وطال • ولكن لحسن الحظ ••
أو ربما لسوء الحظ •• جاء شيء مثل الزيت الأسود كالخط الرفيع ••
جاء متدفقا بشكل متعرج من خلف جرة في ركن الحجرة • تحسرك
في البداية مثل المادة اللزجة ، ولكنها بعد ذلك انزلجت بنعومة أكثر
حتى تحركت وهي تومض الى أن وصلت أنفه • فسحب نفسه وجبسه
كرها ، ثم صرخ :

— ثعبان ! ثعبان !

وبدا أن كل الدم في جسده منيتجمد في الحال ، ولم يكن هذا
مستغربا • فبعد قليل سيلمس الثعبان رأسه بالفعل بلسانه البارد ،

رأسه الذى كانت نعضه السلاسل • حتى يوشيهيدى المجرى من المبادئ الخلقية لا بد وأن روعه ذلك • فالقى بفرشاته وانحنى مثل ومضة النور • وأمسك الثعبان من ذيله برشاقة • ورفعته الى أعلى • ورأسه الى أسفل • فرفع الثعبان رأسه • ولف نفسه فى دوائر • ولوى جسده • ولكن لم يستطع الوصول ليد يوشيهيدى •

والقى يوشيهيدى الثعبان فى الجرة التى فى ركن الحجرة وفك السلسلة التى تربط التلميذ على مضض • وقال متشاكيا بشكل هجومي:

— لقد جعلتني أضرب فرشاتي بطريقة خرقاء •

وكل ما فعله هو أن حل وثاقه • ولم يحصل المسكين الذى عانى طويلا على كلمة شكر • ومن الواضح أن يوشيهيدى قد اغتاظ لزلّة فرشاته عن أن يدع الثعبان يعض تلميذه • وفيما بعد سمعوا أنه احتفظ بالثعبان هناك كموديل •

قد تعطيك هذه القصة فكرة عن جنون يوشيهيدى وعن انهماكه المشثوم • ومع ذلك أحب أن أصف تجربة أخرى فظيعة كادت أن تودى بحياة تلميذ صغير السن • كان فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة فى ذلك الوقت • غلام كالبننت أشقر الملامح • ناداه استاذة فجأة فى احدى الليالى من حجراته • وعلى ضوء المصباح رأى يوشيهيدى يطعم طائرا عجيبا • فى حجم قط عادى • قطعة لحم يغمرها الدم كان ممسكا بها فى يده • وكان للطائر عينان واسعتان مستديرتان فى لون الكهرمان • وأذنان مثل الريش بارزتان من كل جانب لوجهه • كان يشبه القط بشكل غير طبيعى •

[١٠]

كان يوشيهيد يكره دائما أى شخص يتدخل فيما يفعله • فكما كان الحال مع الثعبان • فتلاميذه كانوا لا يعرفون مطلقا ما لديه فى حجراته • ولذلك فأحيانا كان يضع على منضدته طاسات فضية وأحيانا جمجمة أو قوائم مصقولة ذات جزع واحد • • أشياء غريبة متعددة • كموديلات لما يقوم برسمه • • ولكن لا أحد كان يعرف أين يحتفظ بهذه الأشياء • بالتأكيد أن الاشاعة التى تقول ان اله الخط العظيم كان يملئه بمساعدة سماوية قد ظهرت لهذه الأسباب •

وعندما رأى التلميذ هذا الطائر الغريب على المنضدة ، وتخيل أنه من الأشياء التي يحتاجها الفنان من أجل « بارافان » الجحيم ، فانحنى وقال باحترام :

— ماذا تريد يا سيدى ؟

فلحق يوشيهيدى شفثيه الحماوين ، وكأنه لم يسمعه ، وهز ذقنه فى اتجاه الطائر ، فقال التلميذ :

— أليس هذا أليفا !

وشعر أثناء قوله ذلك بشعور غريب نحو هذا الطائر شبيه القط ذى الأذنين .

وأجاب يوشيهيدى بسخرية :

— ماذا ! ألم تر طائرا مثل هذا ؟ هذه هى مشكلة من يعيش فى العاصمة . انها بومة ذات قرون . لقد أعطاها لى صياد منذ يومين أو ثلاثة . ولكنى لا أعتقد بوجود بومة أخرى مستأنسة مثل هذه !

وعندما قال ذلك رفع يده ببطء وضرب ظهر البومة التى انتهت لتوها من أكل اللحم بالطريقة الخاطئة . فأصدرت صرخة وحشية عالية، وطارت من المنضدة وأبرزت مخالبها وانقضت على وجه التلميذ الذى أصيب بالهوس ورفع كمة ليقى وجهه . ولو لم يفعل ذلك لتمزق وجهه بشكل سيء .

وأثناء صراخه أشاح بكمة ليطرد البومة بعيدا ، ولكنها صرخت واستغلت ضعفه وهجمت مرة ثانية فركض الغلام فى الحجرة الضيقة جيئة وذهابا محاولا الهرب ، وناسيا حضور الأستاذ ووقف مذهولا محاولا أن يصددها عنه ، ثم قبع جالسا . . ليطردها بعيدا . فحامت البومة النحس ودارت عاليا وفى ارتفاع منخفض وراء فريستها ، واثبة على عينيه متنبهة لأى فتحة .

ويبدو أن الحفقات الصافقة لجناحيها كانت تستحضر شيئا خارقا للطبيعة له رائحة تشبه أوراق الشجر الميتة ، أو رزاز مساقط الماء . كانت شنيعة ومقززة للنفس . وكان لدى التلميذ احساس بأن مصباح الزيت المعتم هو ضوء القمر الغامض ، وأن الحجرة أصبحت مثل واد مغلق ، وأن الهواء نذير شؤم يهب بعنف على أحد الجبال البعيدة .

ولم يكن فزع التلميذ راجعا لهجوم البومة ذات القرنين • فالذى جعل شعره يقف كالثقوب هو منظر الفنان يوشيهيدى • لقد وقف الأخير يراقب الصباح ببرود ، وفرد ورقة بيضاء ، وبدأ يرسم الصورة الرائعة للولد شبيه البنت ، والطائر المربع يشوّه • وعندما شاهد التلميذ ذلك بطرف عينه ، انتابه فزع خال من المعنى ، لأنه فكر فى أنه سيقتل حقا من أجل الفنان •

(١١)

لا يمكنكم القول ان هذا يستحيل تصديقه • لقد نادى يوشيهيدى على التلميذ المتدرب متعمدا فى تلك الليلة لكى يطلق البومة وراءه ويرسمه وهو يحاول الهرب • لذلك عندما رأى التلميذ ما يرمى اليه الأستاذ خبا رأسه فى أكمامه لا اراديا ، وبدأ يصرخ لا يدري بماذا ، وخر جاثما على الأرض فى طرف الحجرة بجانب الباب الانزلاقى • وصاح يوشيهيدى عندئذ وكأنه مخبول بعض الشيء ووقف على قدميه ، وفى الحال ارتفع صوت ضربات جناحي البومة ، ثم جاءت الجلبة المروعة لأشياء تتفكك أو تنهار على الأرض ، فرفع التلميذ رأسه لا اراديا ليرى ، برغم انه كان يرتعش بشكل خطير ، أن الحجرة أصبحت حالكة الظلمة ، وخرج منها صوت يوشيهيدى مناديا بخشونة على تلاميذه •

فرد واحد منهم من بعيد ، ثم جاء راكضا بعد دقيقة ومعه مصباح • فرأى على نوره الخابى المصباح الثلاثى القوائم مقلوبا ، والبومة ترفرف فى ألم باحدى جناحيها على الحصير الذى كان يسبح فى الزيت • وكان يوشيهيدى فى وضع شبه جالس خلف المنضدة ، وكان يبدو مذعورا متمتما بكلمات لا يمكن فهمها من قبل بشر • هذه ليست مبالغة • وكان هناك ثعبان أسود التف بجسمه بسرعة حول البومة محيطا برقبتها وبأحد جناحيها • فمن الواضح أن التلميذ عندما سقط على الأرض قلب الحجرة ، فزحف الثعبان خارجها وقامت البومة بمحاولة ضعيفة للانقضاض عليه • وكان هذا هو الذى تسبب فى القعقة والاضطراب • وتبادلت التلميذان النظرات ووقفا ببساطة مصعوقين يرقبان هذا المنظر المشهود • ثم انحنيا ليوشيهيدى بدون كلام ، وانسحبا • ولم يكتشف أحد ما حدث للبومة ولا للثعبان •

وهذه الحادثة مماثلة لأحداث أخرى كثيرة • نسيت أن أقول أن يوشيهيدى تلقى الأوامر لرسم البارافان فى بداية الخريف • ومنذ

ذلك الوقت حتى نهاية الشتاء وتلاميذه كانوا في حالة رعب دائم بسبب سلوكه الغريب . ولكن قرب نهاية الشتاء كان يبدو أن شيئا ما بخصوص الصور كان يزعج يوشيهيدى ، حتى أنه أصبح مفهوما أكثر من المعتاد ، ويتكلم بجفاء أزيد . ولم يتقدم استكش « البارافان » الذى تم ثمانية أعشاره . وفى الحقيقة كانت لا تبدو هناك أية فرصة فى أن ينتهى من تلوين الخطوط الاولى .

لا أحد يدرى ما الذى يعوق العمل فى « البارافان » ، ولا أحد حاول اكتشاف ذلك . وهكذا كان التلاميذ مفتونين بكل شيء يحدث . لقد شعروا بأنهم محبوسين فى قفص واحد مع ذئب أو نمر ، ولكن منذ ذلك الوقت وهم يحتالون للابتعاد عن استأذهم بقدر الامكان .

(١٢)

وبالتالى ، فليس هناك الكثير الذى يستحق أن يروى عن هذه الفترة . واذا كان لابد من قول شيء ، فسيكون عن هذا العجز العنيد الذى كان ، ولأسباب غريبة ، يفعل باكيا بسهولة . . ويقولون ، أنهم كثيرا ما كانوا يجدونه والدموع فى عينيه ، عندما كان يعتقد بعدم وجود أحد بالقرب منه . وفى يوم ما - مثلا - ذهب أحد التلاميذ الى الحديقة لشأن ما . وكان يوشيهيدى واقفا فى الممر غائبا عن الوعي . محملا فى السماء الواعدة بالربيع ، وعيناه تفيضان بالدموع ، فأحس التلميذ بالخرج وانسحب خلسة دون أن ينبس ببنت شفة . أليس هذا منظرا مشهودا للرجل المتعجرف الذى استخدم جثة متعفنة كموديل لصورة « الوجة الخمسة للحياة والموت » أن يبكى هكذا كالطفل ؟

وبينما كان يوشيهيدى يرسم « البارافان » فى نوبة جنون لا يسبر غورها عاقل ، وبدا من الملاحظ على ابنته أنها كانت قانطة ، وغالبا ما تظهر وهى تغالب الدموع . وعندما يحدث هذا لفتاة شاحبة الوجه تصبح أهدابها ثقيلة ، وتظهر الظلال حول عينيها ويزداد وجهها حزنا . فى البداية قالوا أنها تقاسى من قصة حب ، أو كانت تلوم أباهما ، ثم شاع بعد ذلك أن اللورد هوريكاوا كان يريد أن يغويها ويفوز بها . ثم توقف كل الكلام عن الفتاة بشكل فجائى وكان الكل قد نسيها .

وحول ذلك الحين وفي وقت متأخر في إحدى الليالي ، تصادف
مرورى بأحد الممرات ، عندما خرج القرد يوشيهيدى الى فجأة ، وبدأ
يسحب أهداب ثوبى باصرار . وحسب ما أذكر كانت الليلة دافئة ،
وكان القمر الشاحب مشرقا ، وزهور الخوخ تفوح بعيرها . وعرى
القرد عن أسنانه البيضاء ، وجعد من طرف أنفه ، وزعق بوحشية
في ضوء القمر وكأنه معتوه . فتكدت وغضبت خوفا على ثوبى الجديد ،
فرفست الهواء وكأنى أرفس القرد ، وكدت أمشى عندما تذكرت بأن
اللورد الشاب قد استاء من الساموراي الذى ضرب القرد . بالإضافة
الى أن تصرفه بدا غير عادى ، لذلك مشيت أخيرا بضع خطوات فى الاتجاه
الذى كان يشدنى اليه .

والتفت الممر هناك مبديا مياه البركة بيضاء شاحبة فى ضوء
الليل ، خلف شجرة الصنوبر بفروعها المنحنية فى رقة . وفى ذلك
المكان سقط فى أذنى صوت أناس يتشاجرون من حجرة مجاورة . وكان
كل شيء من حولى ، ما عدا ذلك ، يغوص فى سكون تام . ولم أستمع
الى أصوات أخرى فى الضوء الخافت الذى لا هو ضبابى ولا هو ضوء
قمر . ولم يكن هناك الا صوت الأسماك الواثبة فى البركة . ومع هذا
الضجيج الذى صم أذنى توقفت بشكل غريزى . وكان أول ما فكرت
فيه أنهم بعض الأشخاص الشرسين ، فاقتربت من الباب الانزلاقى
بهدهوء ، ممسكة أنفاسى ، ومستعدة لظهار شجاعتى .

(١٣)

ويبدو أن القرد قد فكر بأبنى شديدة التردد . فركض من حولى
مرتين أو ثلاث وأخذ يصرخ وكان هناك من يخنقه ، ثم وثب من الأرض
الى كتفى مباشرة فتراجعت برأسى للخلف حتى لا تصيبنى مخالبه ،
ولكنه تعلق بكى ليتجنب السقوط على الأرض ، فترنحت للخلف
خطوتين أو ثلاث ثم اصطدمت بالباب الانزلاقى بشدة . وبعد ذلك لم
يعد هناك سبب للتردد . ففتحت الباب فى الحال وكنت على وشك
التقدم داخل الحجرة فى الجزء الذى لا يقع تحت ضوء القمر ، ولكن
مر فى لحظتها شيء أمام عيني . ما هذا ؟ فتاة جاءت تركض من
طرف الحجرة وكأنها تنفلت من زنبرك ، فكادت أن تصطدم بى وتقع
خارج الحجرة حيث ركعت لاهثة ، رافعة بصرها الى وجهى وهى ترتجف
وكانها لا تزال ترى شيئا مرعبا .

هل أحتاج لأن أقول بأنها كانت يوزوكي ؟ بدت فى تلك الليلة
مفعمة بالحياة ، وظهرت وكأنها شخص مختلف • عيناها الكبيرتان
تلمعان وخداها يضطربان احمرارا • والكيمنو والجونلة مختلفتا
الترتيب وتعطيانها سحرا لا تمتلكه عادة • هل هذه هى حقا ابنة
يوشيهيدى المنطوية ؟ • واستندت على الباب الانزلاقى وأخذت أحرق
فى قوامها الجميل فى ضوء القمر • ثم ، استدلت على اتجاه الخطوات
الواجفة وهى تخفت مبتعدة • فتساءلت بعينى :

— ما هذا ؟

ولكنها عضت فقط على شفيتها ، وهزت رأسها ولم تقل شيئا •
كانت تحس بخزي غير عادى • ثم انحنيت فوقها ووضعت فمى فى أذنها ،
وسالت فى همس :

— من يكون ؟

ولكن الفتاة لا زالت تهز رأسها ، والدموع تفيض من عينيها
وتتعلق بأهدابها الطويلة ، وعضت على شفيتها أشد من قبل • لقد
كنت دائما انسانية غبية واذا لم يكن الشئ واضحا تماما ، فلا أستطيع
فهمه • ولم أدر ما أقول ، ووقفت بلا حراك لبرهة وكأننى أنصت لضربات
قلبها • ولكن كان ذلك لأننى شعرت بالأا يجب أن أسألها وأضيق
عليها بالسؤال •

لا أدرى كم دام ذلك • وفى النهاية أغلقت الباب الذى كنت قد
تركته مفتوحا ، وعدت أنظر للفتاة ، التى يبدو أنها استعادت هدوءها ،
وقلت بكل رقة ممكنة :

— من الأفضل أن تعودى الى حجرتك •

ثم أزعجنى احساس غير مريح بأنى قد رأيت شيئا كان لا يجب
أن أراه ، وعدت بهدوء الى حيثما أتيت • ولكن قبل أن أخطو عشر
خطوات ، تعلق شئ ثانية بطرف جونلتى بشكل مهذب هذه المرة •
فاندعشت وتوقفت ، والتفت حولى • ماذا تفكرون كان ذلك ؟ انه القرد
يوشيهيدى ، وجرسه الذهبى يجلجل ، ويداه مضمومتان كالانسان
وينحنى لى بكل أدب مرة تلو مرة •

وبعد حوالى أسبوعين جاء يوشيهيدى الى القصر وطلب مقابلة لورد هوريكاوا فى الحال . وكان يعتبر من الطبقات الدنيا ولكنه كان ذا منزلة خاصة . وسيادة اللورد الذى عادة يصعب الوصول اليه منح ليوشيهيدى حق الامتثال فى الحال . وسجد الأخير أمام السيد الاقطاعى باحترام وحذر ، وبدأ يتكلم بصوته الأجش :

— منذ زمن مضى يا سيدي طلبت « بارافان » الجحيم . فعملت ليل نهار ، وتحملت آلاما كثيرة ، والآن يمكن رؤية النتيجة : فالتصميم أوشك على الانتهاء .

— تهانينا . اننى راض ومسرور .

ولم يكن فى نبرة صوت سيادته اقتناع ، ولا حمية .
فاجاب يوشيهيدى وعيناه منخفضتان بحزم ، وكأنه يبدو غاضبا :

— كلا ، فالتهانى لم يأت أوانها بعد . انها انتهت تقريبا ،
انما هناك جزء واحد فقط لا أستطيع أن أرسمه . . حاليا !

— ماذا ! لا تستطيع أن ترسم جزءا منها . . ؟ !

— كلا يا سيدى ، لا أستطيع أن أرسم أى شىء ليس له موديل .
حتى لو حاولت ، فالصورة سينقصها الاقتناع . أليس هذا كأننى لا أستطيع رسمه ؟

عندما سمع اللورد هذا مرت ابتسامة مزمجرة على وجهه .

— اذن لكى ترسم « بارافان » الجحيم يجب أن ترى الجحيم ،
هيه ؟

— أجل يا سيدى ، منذ سنوات شاهدت فى حريق كبير لهبا
عن قرب يشبه النيران العارمة للجحيم . واللهب الذى فى رسمى
هو الذى رأيته عندئذ . ونيافتك على معرفة بهذه الصورة على ما أعتقد ،
فقال اللورد وكأنه لم يسمع يوشيهيدى وتبعت كلماته كلمات
الفنان دون توقف .

— ماذا عن المجرمين ؟ انك لم تر مسجونين ، أليس كذلك ؟

— لقد رأيت رجالا مربوطين بسلاسل من حديد • ونسخت تفاصيل لرجال تهجم عليهم طيور عجيبة • وهكذا لا أستطيع القول بأننى لم أشاهد معاناة المجرمين تحت وطأة التعذيب •

أما بخصوص المساجين ...

وابتسم يوشيهيدى ابتسامة متفردة ، ثم أضاف قائلا :

— لقد رأيتهم أمامى مرات كثيرة فى أحلامى • رؤوس جياذ ، عفاريت بثلاثة وجوه وست أذرع ، مصفقين بأياد لا تحدث صوتا ، وأفواه فاعرة لا صوت لها • وتأتى كلها لتعذيبى • اننى لا أبالغ عندما أقول أننى أراها كل يوم وكل ليلة • ما أرغب وأود أن أرسمه ولا أستطيع ، ليس أشياء كهذه !

لقد دهش سيادة اللورد تماما • ولبرهة طويلة حلق فى يوشيهيدى بانفعال ، قوس حاجباه بحدة واستفسر قائلا :

— ما هو الذى لا تستطيع أن ترسمه ؟

فقال يوشيهيدى ، ولأول مرة يتطلع بتمعن فى وجه سيادته :

— فى منتصف « البارافان » أريد أن أرسم عربة هاوية عبر السماء !

وعندما كان يوشيهيدى يتكلم عن الصور ، سمعت أنه يبدو كالمجنون وبالتأكيد بدا مجنونا وهو يقول هذا :

— وفى العربة سيدة قصور فاتنة ، شعرها مضطرب فى النار المتأججة ، يتلوى لوعة فى نوبة النشيج والبكاء • وجهها يلفه الدخان ، حاجباها مسحوبان ، انها تتطلع الى سقف العربة • وأثناء تشبثها بالسثائر وحجب البامبو ، تحاول أن تتقى الشرر المنهمر رذاذا عليها • • وطيور جارحة غريبة ، عشرة أو عشرين ، تطير حول العربة فى صراخ يوقف القلوب • آه • هذا الجمال فى العربة • ربما لا أستطيع رسمها •

— حسنا ، وماذا أيضا •

ولغرض ما وجد سيادته متعة غريبة فى حث يوشيهيدى على الاستمرار • وتحركت شفتا الفنان الحماوان المحمومتان ، وعندما تكلم كان كرجل غارق فى حلم • وأجاب :

— كلا . لا أستطيع رسمها !

ثم قال فجأة مزجرا :

— فلتحرق عربة لى — آه لو أمكنك .. !

اظلم وجه سيادته . ثم انفجر ضاحكا . وقال وهو يهتلق من
عنف ضحكته :

— سأفعل ما ترغب تماما . ولنترك امكانية تنفيذ ذلك جانبا .

وعندما سمعت هذا شعرت باثارة غريبة من الفزع . ربما كان
هاجسا خفيا . وتغير سيادته ، وكأنه أصيب بعدوى من جنون
يوشيهيدى ، وتجمع زبد أبيض على شفتيه ، وومض الرعب كالبرق فى
طرفى عينيه . وتوقف بغتة ثم انفجرت ضحكة عظيمة من حنجرتة .

— سوف أحرق عربة لك . وسيكون بها جمال فتان فى ثياب
سيدة جميلة . وستموت المرأة فى نوبة صراع وهى تقاوم اللهب
والدخان الأسود . ان الرجل الذى فكر فى رسم ذلك لابد وأن يكون
أعظم فنان فى اليابان . سوف أثنى عليه . أجل سوف أثنى عليه !

وعندما سمع يوشيهيدى كلام سيادة اللورد ، أصبح شاحبا
وحرك شفتيه وكأنه يلهث . ولكن جسده تراخى فى الحال ، ووضع
كلتا يديه على الحصير وانحنى بأدب . وقال بصوت خفيض يكاد
لا يسمع :

— يا له من قدر رحيم !

ربما كان هذا لأن كلمات « الدايميو » قد جلبت ، رعب خطته مفعما
بالحيوية ، أمام عينيه .

وكان هذا هو الوقت الوحيد الذى أشفقت فيه على يوشيهيدى ..

[١٦]

وبعد هذا بيومين أو ثلاثة أحاط سيادة اللورد يوشيهيدى بانه
جاهز لتنفيذ وعده . بالطبع لم تكن العربة ستتحرق فى هوريكاوا ،
انما فى المنزل الريفى خارج العاصمة ، الذى يسميه عامة الناس يوكيجى
وبالرغم من أنه كان مقر إقامة أخت اللورد الصغيرة سابقا ، فلم يكن

يقطنه أحد لسنين عديدة . كانت به حديقة واسعة تركت حتى توحشت وأرجع الناس إهمالها لأسباب كثيرة : فمثلا ، قالوا انه فى الليالى غير القمرية لا تزال أخت الاقطاعى الميتة تسير وهى مرتدية جونلة قرمزية غريبة ، بين الممرات ودون أن تلمس الأرض . . كان القصر مهجورا مكفهرأ تماما أثناء النهار ، ولكن فى الليل كان مخيفا تماما وتسمع فيه أصوات طرطشة الغدير المخفى ، وطيور مالك الحزين الليلية مهولة الأشكال وهى تطير فى ضوء النجوم .

كانت تلك الليلة عديمة القمر وسوداء كالقار . وسطع ضوء مصابيح الزيت على سيادة اللورد ، المتدثر بأثواب صفراء باهتة وازار أرجوانى غامق مطرز برسوم عرف الديك . كان جالسا فى الشرفة على وسادة من القش المجدول ، وذات أهداب حريرية بيضاء مطرزة . ولا حاجة لى أن أضيف بأنه قبل كل شىء ، كان يقف على يساره وعلى يمينه خمسة أو ستة من الخدم باحترام . واختيار واحد منهم كان له مغزاه . . . كان ساموراى قويا ممن أكلوا اللحم البشرى ليسندوا به جوعهم فى معركة ميتشينوكو ، ويقولون انه منذ ذلك الحين وهو يستطيع أن يفصل قرنى غزال حى ، ويبرز سيفه الطويل من خلفه مثل ذيل طائر النورس ، كان يقف بشكل منفرد تحت الشرفة . وضوء المصابيح المتقطع يومض ثم يخبو فينعكس على المنظر . وهكذا كان الرعب مخيفا علينا حتى أننا كدنا لا ندرى ان كنا فى حلم أم حقيقة .

لقد جروا العربدة داخل الحديقة . انها تقف هناك وسقفها الثقيل يرهق الظلمة . . لم يكن هناك ثور موثوق بها ، ويرتاح طرف لسانها الأسود على حامل صغير . وعندما رأينا أجزاءها المعدنية المذهبة تتلألا كالنجوم شعرنا بلسعة برد ، رغم أنها ليلة ربيع . كانت العربدة مغلقة وتنسدل عليها ستائر زرقاء كثيفة موشاة الأطراف حتى أننا لم نكن نقدر أن نعرف ما بداخلها . ووقف حولها خدم بالمشاعل فى أيديهم ، يحركون باستمرار الدخان المنحرف فى اتجاه الشرفة وينتظرون بشكل له مغزاه .

ركع يوشيهيدى مواجهها للشرفة بمسافة قليلة ، كان يبدو ضئيلا وزريا أكثر من المعتاد ، يبدو أن السماء ذات النجوم تثقل عليه . وكان الرجل الجائم خلفه أحد تلاميذه بلاشك . وكان الاثنان على مسافة منى وأسفل الشرفة ، لذلك لم أستطع التأكد من لون ملابسهما .

لا بد أن منتصف الليل كان قد اقترب وبدأت الظلمة التي كانت تغلف الغدير تراقب تنفسنا بالذات . ولم يكن هناك إلا الحركة الخافتة لرياح الليل التي كانت تحمل إلينا الرائحة السخامية لمشاغل الصنوبر . ولبرهة من الوقت راقب فيها سيادة اللورد المنظر في سكون ، وتحرك للأمام قليلا ونادى بعلة :

— يوشيهيدى !

— لا بد أن الأخير قد أجاب بطريقة ما ، رغم أن ما سمعت كان صوتا يشبه الأنين .

— يوشيهيدى ، الليلة طبقا لطلبك ، سوف أحرق لك هذم
العربة !

وألقى سيادة اللورد نظرة خاطفة لمن بجانبه ويبدو أنه قد تبادل ابتسامة ذات مغزى مع واحد أو اثنين ، أو ربما تخيلت ذلك . ورفع يوشيهيدى رأسه في خوف وتطلع ببصره إلى الشرفة ، ولكنه لم يقل شيئا ولم يتحرك من حيث رضى .

— أنظر . تلك هي العربة التي كنت استخدمها دائما . أنت تعرفها ، أليس كذلك ؟ . سوف أحرقها وأريك الحجين المضطرم نفسه .

وسكت سيادته ثانية لفترة ، ثم غمز لخدمه . وفجأة أصبحت نبرته ممجوجة :

— فى تلك العربة ، بأمرى ، امرأة داعرة . لذلك عندما تشتعل سيشوى لحمها ، وستحترق عظامها ، وستموت فى نوبة آلام قصوى . ولن تجد ثانية مثل هذا الموديل لاكمال صورك ، ولا تجفل عن النظر إلى البشرة البيضاء كالثلج وهى تتأجج بالنار ، وانظر جيدا إلى شعرها الأسود الذى سيقفز راقضا فى الشرر .

وسكت سيادته عن الكلام للمرة الثالثة . لم أدر ما هى الأفكار التى كانت فى رأسه ، ولكن كتفيه اهتزتا بضحك صامت ، ثم قال :

— ان الأجيال القادمة كلها لن ترى شيئا مثلها . سأشاهدها من هنا . هيا ، هيا ، ارفعوا الحجب وأسفروا ليوشيهيدى عن المرأة التى بالداخل .

ومع كلمة « الدايميو » ذهب أحد الخدم ، ممسكا عاليا بشعنته
الصنوبرية فى احدى يديه ، وسار الى العربية بدون لغط ، ومديده
الحرة ورفع الحجب . واحترقت الشعلة الخفاقة بجلبة وقرقعة حادة ،
واضاءت بشكل ساطع الجزء الداخلى من العربية ، فظهرت امرأة تجلس
على مقعدها مربوطة بالسلاسل بقسوة . . من كانت ؟ آه ، لا يمكن . . .
كانت ترتدى عباءة مطرزة برسم الكرز فى بهاء وروعة . . وشعرها
الاسود كان منسدلا بشكل مقر الى أسفل فى استقامة ونعومة ،
ودبابيس الشعر الذهبية موضوعة فى زوايا مختلفة تومض فى جمال
ولكن كانت هناك كمادة فوق فيها مربوطة خلف رقبتها . . الجسد
الصغير النحيل ، المنظر الجانبى « البروفيل » البسيط . . كان الملبس
فقط مختلفا . . انها يوزوكى . وصرخت بصوت مرتفع !

وفى تلك اللحظة نهض الساموراي المقابل لى على قدميه بسرعة
ورضع يده على سيفه . لا بد أنه يوشيهيدى الذى حلق فيه . وفى
فزعى نظرت مسرعة الى الفنان . كان يبدو شبه مصعوق بما رآه .

وفجأة وثب ومد ذراعيه أمامه ، ونسى كل شيء آخر ، وبدأ يركض
نحو العربية . ولسوء الحظ ، كما قلت من قبل ، كان على مسافة منى
فى الظل ، ولم أستطع رؤية التعبير الذى كان مرتسما على وجهه . ولكن
ذلك كان خطفا ، لأننى الآن أراه بلالون على الاطلاق ، وظهر شكله كله
مخترقا الظلمة مفعما بالحيوية أمام أعيننا فى الضوء الخافت . . كان
معلقا فى الفضاء ، على ما يبدو ، من قبل قوة غير مرئية رفعته من الأرض
ثم بناء على أمر سيادة اللورد :

— اشعلوا النار !!

سبحت العربية مع راكبتها فى ضوء المشاعل التى قذفت عليها
وانفجرت فى لهب مستعر . .

[١٨]

وأثناء مشاهدتنا ، غلفت السنة اللهب العسرية ، وتارجحت
« الشرايات » الأرجوانية المتدلية من أركان السقف وكأنها فى ريح
صرصر عاصفة ، ودار الدخان من تحتها كالدوامة البيضاء تلمع فى سواد
الليل . كانت مخيفة جدا حتى أن حجب البامبو والستائر والحليات
المعدنية بالسقف بدت طائرة مع رزاز الشرر القافز . أما السنة اللهب
التى كانت تعلق الحجب من أسفل الى أعلى ، وتلك المتراصة المنطلقة

نحو السماء بدت وكأنها لهب سماوي سقط من الشمس الى الارض .
لقد صرخت من قبل . أما الآن فقد شعرت بأني غارقة مصعوقة تماما .
وبقم فاغر . لم استطع فعل شيء سوى مشاهدة المنظر الرهيب . أما
الاب .. يوشيهيدي ..

مازلت أذكر التعبير على وجهه . لقد اتجه مذعورا بشكل لا ارادي
نحو العربة . ولكن عندما توهجت النار في ارتفاع توقف ، مفروود
الذراعين ، وراقب بعينين ثاقبتين الدخان والنار وهما يغلفان العربة
وكأنه سينفذ اليها . وأضاء الوهج وجهه المتجعد بكل وضوح حتى
شعيرات رأسه كان يمكن رؤيتها تماما .. بل كان الوهج محفورا
بوضوح في أعماق عينيه الواسعتين المحملقتين ، وفي شفتيه المسحوبتين
المسوهتين ، وفي وجنتيه المنتفضتين حزنا ورهبة وارتباكاً يتغلغل عبر
روحه . قد لا يبدو مرتكب الجرائم الشنعاء الذي على وشك الاعدام
شنقا أو طعنا أمام محكمة الملوك العشرة ، أكثر تعذيبا ولوعة . حتى
ذلك الساموراي الضخم تغير لونه ونظر برهبة الى لورد هوريكاوا .

ولكن الأخير ، دون أن يرفع بصره عن العربة ، كان يعرض على
شفته فقط أو يضحك بشكل بغيض من وقت لآخر . أما بخصوص
العربة وراكبتها ، تلك الفتاة .. فأننى لست جريئة بما فيه الكفاية
لأروى كل ما رأيت . كان وجهها الأبيض مختنقا في الدخان ينظر الى
أعلى ، وشعرها المتحرر الطويل يرفرف في الدخان ، وعباءتها الموشاة
بالوان الكرز .. كم كانت جميلة كلها ! ويا له من منظر مرعب ! ..
ولكن عندما سقطت ريح الليل وانسحب الدخان بعيدا في الجانب
الأخر ، حيث يبدو غبار الذهب وقد تناثر فوق السنة اللهب الحمراء ،
وعندما قضمت الفتاة كمامتها وهي تتلوى حتى بدت السلاسل وكأنها
ستنفجر لا محالة .. وأنا ، وحتى الساموراي الضخم ذاته تساءلنا ترى
هل كنا نشاهد عذابات الجحيم نفسه ، واقتشعرت أبداننا .

ثم اعتقدنا مرة أخرى أن ريح الليل قد حركت قمم أشجار الحديقة
ولما مر هذا الصوت فوق السماء ، رقص شيء أسود لم يلمس الأرض
ولم يطر عبر السماء مثل الكرة وأخذ يثب من سطح المنزل الى العربة
المتوهجة . وسقط على الحجب المتقوض الملتصقة باللون الأحمر الزاهي ،
واضعا ذراعيه حول الفتاة المكبلية وصرخ صرخة حادة وطويلة في الدخان
صرخة مثل صوت تمزق الحرير . كررها مرتين أو ثلاث مرات ، وعندئذ
نسبنا أنفسنا وصحنا سويا . وكان يوشيهيدي ، يوشيهيدي القرد
الذى كانوا قد تركوه مقيدا في القصر ، ظاهرا من بين ستائر اللهب
الشفافة متعلقا بكتف الفتاة !

ولكننا رأيناه للحظة فقط ، ثم تسلق الشرر منسل ورقة شجرة ذهبية على ستارة بنية الى السماء . واختفى القرد ويوزوكى فى دخان أسود . بينما توهجت العربة بعيدا فى طرف الحديقة فى ضوء رهيب . وأصبحت عامودا من نار . . . وكان ذلك اللهب كان يطعن السماء ذاتها .

ووقف يوشيهيدى أمام العامود مترنحا وكان له جذور فى الأرض . ثم ومن المدهش القول ، انه مرت على وجه يوشيهيدى هذا المتجعد ، الذى يبدو انه قد عانى فى مناسبات سابقة عذاب الجحيم . نشوة انجذاب صوفى فثنى ذراعيه ووقف مراقبا ناسيا حتى وجود سيادة اللورد . كان وكأنه لم ير ابنته تموت فى العذاب . بل يبدو وكأنه مبتهج بلون اللهب الجميل وشكل المرأة فى العذاب .

لم تكن مراقبة موت ابنته طريبا ، بل كانت تبدو مراقبة صارمة . لا مكان فيها للانسانية ، مثل غضب أسد ملوكى فى حلم من الأحلام . وأخذت أسراب طيور الليل تصيح وتصخب مندهشة بالنار وبدأت أكثر عددا . . . وربما كان هذا من خيالى . . . فحول رأس يوشيهيدى . رأيت هذه الطيور تبدو كما لو كانت مجدا غريبا أو مثل هالة من النور حول رأس هذا الرجل .

وإذا كانت الطيور قد انجذبت ، فلقد كنا نحن منجذبين أكثر بكثير ، وكنا مع الخدم مملوئين بشعور تعبد غريب ونحن نشاهد يوشيهيدى . . . لقد تزلزلنا من الداخل ، لقد أمسكنا بأنفاسنا ، لقد راقبناه مثل بوذا وهو يسيط اللثام . فزئير النار الذى يملأ الهواء ، ويوشيهيدى ، وروحه مأخوذة أسيرة به وهو يقف هناك بلا حراك . . . يالها من رهبة تلك التى شعرنا بها ، يالها من لذة انفعالية متوترة عند هذا المنظر . وجلس نيافة اللورد فى الشرفة وكأنه مجرد كائن مختلف . لقد ازداد شحوبا وتجمع الزبد على شفثيه ، وضغم ركبتيه المفطاتين بالازار الأرجوانى بكلتا يديه وجلس متلهفا كحيوان متعطش . . .

ودار الخبر بأن سيادة اللورد قد أحرق عربة فى يوكيجى تلك الليلة . . . وبطبيعة الحال لم يقل أحد أى شيء . . . وقيلت آراء متنوعة عديدة . . . وكانت أول وأكثر اشاعة روجت أنه قد أحرق ابنة يوشيهيدى حتى الموت مقابل استيائه من مقاومتها لحبه . . .

ولكن كان هناك غرض فى قلب « الدايميو » ، بلا شك ، لمعاقبة ضلال الفنان ، الذى كان يرسم صورا من الجحيم ، ويقدم حتى على قتل انسان ما لانحاز ذلك . فى الحقيقة ، لقد أخبرنى سيادة اللورد نفسه بذلك .

ثم كان هناك كثير من الحديث عن الجمود الحجرى لقلب يوشيهيدى الذى رأى ابنته تموت فى اللهب أمام عينيه ومع ذلك اراد أن يرسم « البارافان » . فسماء البعض وحشا كاسرا فى شكل بشر ، مصورا الحب الانسانى العاجز بسبب صورة . وكان رئيس دير يوكوجاوا غالبا ما يقول :

— قد تكون عبقرية الانسان عظيمة جدا بعظمة فنه ، ولكن لابد من تفهم الفضائل الخمس (٨) لخلاصه من الجحيم .

ومع ذلك بعد حوالى شهر تمت صور الجحيم على « البارافان » . وأخذها يوشيهيدى فى الحال الى القصر وأراها مع دفاع عظيم للورد هوريكاوا . وتصادف أن كان رئيس الدير فى زيارة اللورد فى نفس الوقت ، وعندما نظر اليها ، لابد وأنه ارتعب من عاصفة النار التى احتدمت عبر قبة السماء فى احدى الصور . وصعر وجهه لها وحملق فى يوشيهيدى ، ولكنه قال بالرغم منه :

— عمل متقن !

ولازلت أذكر الضحكة المفتعلة التى حيا سيادته بها ذلك .

ومنذ ذلك الوقت ، لم يتكلم أحد بسوء عن يوشيهيدى ، على الأقل فى القصر . وأى شخص كان يرى الصور ، حتى ولو كان كارها للفنان من قبل ، فانه يقف مشدوها فى وقار ، لانه كان يحس وكأنه يجرب عذابات الجحيم بكل جلالها .

ولكن لم يعد يوشيهيدى فى عداد الأحياء . لقد شنق نفسه على عمود خشبى فى مرسمه فى الليلة التالية لانتهاه من الصور . لقد شعر بلا شك ، بأنه لا يستطيع تحمل الحياة فى فراغ بعدما سبقته ابنته الوحيدة . ولا تزال رفاة راقدة ضمن أطلال منزله . ولقد حلت الأطلال ورياح عشرات السنين الحجر الصغير الذى كان شاهدا على موضع قبره وغطته طحالب النسيان .

(٨) الفضائل الخمس . فى التعاليم الاخلاقية الكونفوشيوسية ، وضعها مؤسسها الحكيم الصينى (٥٥١ — ٤٧٨ قبل الميلاد) ومبنية على خمس فضائل أساسية : انسانية ، عدل ، صلاح ، حكمة ، وإخلاص .

أتوبيس الفحم (١)

للكاتب

ماسوجى ابوسى

★ موسوجى ابوسى (١٨٩٨ -)

ولد فى مقاطعة هيروشيما والتحق بجامعة طوكيو لدراسة الفن
والادب الفرنسى ، ولكنه توقف عن الدراسة الجامعية واصبح كاتبا . .
وكتب عددا من الروايات بعضها تاريخى ، والبعض الآخر معاصر بكل
ما فى الكلمة من معنى . لم تدع شهرته خارج اليابان ربما لأن جلوره .
تمتد الى حد بعيد فى التربة اليابانية .

كان يقول : « ان الفتاح الى انسانيتنا التى نندرك فيها
جميعا ، لا يمكن أن يوجد - هناك فى طوكيو - فى عموميات أى
موسوعة . يجب أن نبحث عنه فى مكان عند ينبع النهر قريبا من
ينابيع خيالنا الخاص ، ولغتنا الخاصة » .

ان أسلوبه يمزج رقة الفكاهة الخصبه بلهسة من الشجن اشد به .
بقطرة من خمر من شأنها أن تسكر قلوب الشعراء .

ركبت مرة أخرى ، فى الآونة الأخيرة أتوبيس خط بينان . وفى
الحقيقة لم أحظ بركوب هذا الأتوبيس سوى مرة واحدة أيام الحرب (٢) .
ومع ذلك فمازلت أذكرها جيدا .

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ايفان موريس .

(٢) الحرب العالمية الثانية .

كانت جميع أتوبيسات انيلد أثناء الحرب متداعية الى حد ما ، ولكن الأتوبيس الذى يعمل على خط بينان كانت له منزلته الخاصة . فقد كان من النادر أن يسير بدون سلسلة من التعثر : أولا قد تنثقب عجلة من عجلاته . ثم قد يتعطل محركه . وعندما ينتهى أخيرا اصلاح ذلك كله فقد تبدأ مشاكل علبة التروس . وكانت النوافذ كلها تقريبا محطمة ، وكانت بعض الفتحات مغطاة بورق السيلوفان ، وبعضها الآخر بالواح خشبية .

والآن ، مرت خمس سنوات بعد الحرب ، ومازال الأتوبيس يسير بالقحم . برغم أن الهيكل قد تم طلاؤه وتم اصلاح معظم النوافذ . وكان السائق شابا تعرفت عليه من أيام الحرب ، عندما كان محصلا . ومن الواضح أنه تبادل مكانه مع الرجل ذى الشارب الذى كان يحتل مقعد القيادة من قبل . ولا أدري ان كان هذا له مدلول معين ، وقلت لامرأة تجلس فى المقعد الذى بجانبى :

— ألم يتبادل السائق والمحصل مهنتيهما ؟ بالتأكيد هذا المحصل كان السائق . ترى هل ارتكب حادثا ، أو شيئا ما يجعله لا يقود الأتوبيس ثانية ؟

فقال مرافق المرأة :

— كلا ، لقد أصبح غير محبوب أثناء الحرب وكان لا بد من انزاله درجة . كان صارما أكثر من اللازم مع الركاب . وعندما انتهت الحرب ، بدأت الناس يكتبون شكاوى للشركة عن سلوكه قائلين بأنه يجب التخلص منه . حسن ، سننزل هنا !

وحيانى الاثنان برأسيهما وغادرا الأتوبيس .

واخذ مكان المرأة بجانبى رجل عجوز يرتدى زى الفلاح كان ينصت للمحادثة ، فقال عندما جلس :

— كل هذا على ما يرام ، ولكن المحصل سيعود الى حيث كان من قبل ، تأكد من كلامى . كان ، بالطبع ، غير محبوب بعد الحرب لدرجة أنهم أبعدوه عن القيادة ولكن فى أيامنا هذه يعود المبعدون ثانية الى كسب العطف ، فهم مثله سيعودون للقيادة الآن .

وأوماً العجوز برأسه وتمتم وكأنه يتكلم مع نفسه :

— أجل ، هكذا تسير الأمور هذه الأيام .

وحملت في المحصل . لازلت أتذكر هذا الشارب الصغير جيداً !
كان واقفاً الآن في مؤخرة الأتوبيس يتطلع من النافذة . لقد عبرنا جسراً
يعلو نهراً جافاً ، وكان يمكنني أن أرى وراء حقول الأرز منحدرات جبال
تبدو جرداء . وعندما مررنا على معبد شينتو (٣) على جانب الطريق ،
رفع المحصل قبعته ومسح العرق من على جبهته . وعندما فعل ذلك
انحنى برأسه قليلاً ، وتساءلت إذا كانت هذه علاقة احترام مقصودة.
للمعبد . لقد غدت مثل هذه الحركة التبجيلية غير مستخدمة بعد الحرب
ولكنها تعود الآن بالتدريج لأنها مستساغة في الذوق العام . . . كانت إيماءة
المحصل غامضة عن قصد .

وكانت ذكرياتي عن الرجل في غير صالحه . فائناً فترة خدمته
الطويلة كسائق لاتوبيس خط بينان لم يفتقد فرصة مطلقاً لارهاب الشاب
الذي كان يعمل محصلاً عندئذ . وكان عادة ما يوجه أساءته إلى الركاب
زاعماً أنهم أشرار . . . وكانت من بين نقاط هجومه المفضلة حقائب الظهر
. . . فقد اعتاد أن يزأر على المحصل قائلاً :

— حقائب الظهر ممنوعة داخل الأتوبيس . أخبر الراكب ان ينحى.
حقيبة ظهره إذا سمحت . أنت تعلم جيداً أنها غير مسموح بها . ما الذي
تنتظره ؟ اجعله ينزل . . . !

كانت هناك في الحقيقة قاعدة أن كل قطعة من الأمتعة ، شاملة
حقائب الظهر يجب أن يدفع لها تذكرة وتكوم أعلى الأتوبيس . وأحياناً
قد يوقف رجال الشرطة الأتوبيس عند تقاطع الطرق ويفحصون الأمتعة
بحثاً عن سلع السوق السوداء ، مثل الأرز والحب . واكتشافها كان
معناه المصادرة مع دفع الغرامة . وإزاء الظروف فضلنا أن نأخذ أمتعتنا
معنا وندفع بها تحت المقاعد ، ولكن كانت مثل هذه المحاولات تحبط
بشكل ثابت من قبل السائق ذي الشاربين الكبيرين . . . وكان ، من جهة
ثانية لا يتردد في نقل كميات كبيرة من الجزر والبازلاء والسلع المهربة
المحظورة الأخرى في صندوق العدة الذي يوجد بجانب مقعده .

(٣) الديانة الوطنية لليابان كانت في الأصل شكلاً من عبادة الطبيعة والأسلاف .

ولم أكن أنا ولا الركاب العاديين الآخرين ننظر اليه كأنسان متمرد
بغضب فقط . بل نحتقره لعدم كفاءته في تشغيل الأتوبيس . وكانت
الأعطال والتأخير الدائم لا يقلقه على الإطلاق ، فعندما يتعطل المحرك ،
كان يعلن بنبرته الجهيمة :

— جميع الركاب ينزلون ! وابدأوا في دفع الأتوبيس للامام !
وعندما ندفع الأتوبيس خمسين أو ستين ياردة يدور المحرك عادة
فيأمرنا بالصعود .

ومع نهاية الحرب ، أصبحت هذه الأعطال الدورية أكثر جدية ،
وآخر مرة ركبت فيها الأتوبيس (قبل تدمير هيروشيما بقليل) ساعدت
في دفعه أربعة أميال تقريبا . كنت قد ذهبت لصيد السمك في مجرى
مائي بالجبل وبعد أن قضيت الليل في أحد الفنادق غادرت مبكرا في
صباح اليوم التالي واتجهت الى موقف الأتوبيس عند جسر أوتاكي .
وكان هناك حوالي أربعين رجلا ينتظرون قبلي . ومر وقت طويل ولم
يظهر الأتوبيس في مواعده المعتاد . . . ويأس بعض الناس في الحال
وغادروا الموقف ، ونفس آخرون عن ضيقهم بسبب السائق ولعنه ، وهذه
متعة لن يسمحوا لأنفسهم بها بالتأكيد لو كان السائق على مدى السمع .
وبقي حوالي نصفنا فقط عندما وصل الأتوبيس أخيرا بعد تأخير امتد
أكثر من ساعتين .

وأعطيت المحصل تذكرة عودتي مع تذكرة الأمتعة ، وناولته حقيبة
ظهري وصعدت . وكانت هناك مقاعد لنا جميعا . وعندما انتهى المحصل
من تزويد موقد المحرك بالفحم ، ضغط السائق على زر التشغيل . ولم
يحدث شيء . وضغطه ثانية عدة مرات ، ولكن المحرك ظل لا يشتغل .
كان هذا بالطبع حدثا طبيعيا جدا ، وبدون الانتظار ليقول لنا ، نزلنا
جميعا خارج الأتوبيس . . . جميعا ، أجل ما عدا شاب وشابة بقيا في
مقعدهما بلا مبالاة . كانا من الواضح أنهما على غير علم بأتوبيس خط
بينان .

وفي ائتلاف واحد بدأنا عملية الدفع . ولما كان الموقد المتخم بالفحم
في الخلف شديد الحرارة انقسمنا الى مجموعات على كل جانب . ووجد
أحد الركاب المغامرين لوحا خشبيا طويلا فاستخدمه في دفع الموقد . .
وقفز المحصل نازلا أيضا وبدأ يدفع معنا . وكان الطريق هنا منحدرًا
قليلا فتحرك الأتوبيس سائرا بدون مجهود كبير من ناحيتنا . وجلس
السائق في مقعده بهدوء وهو يمسك بيديه عجلة القيادة .

ودفعنا الأتوبيس مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة بدون أن يشتغل المحرك مرة واحدة ، عندما سمعنا فجأة صوتا هستيريا من داخل الأتوبيس .. كان صوت السائق الذى لاحظ الشابين لتوه بوضوح ، فزار قائلا :

— هاى .. يا من تجلسان فى الحلف ! .. ألا يمكنكما أن تريا الآخرين وهم يدفعون الأتوبيس ؟ .. انزلا فورا وساعدا الآخرين ولا تجلسا مستريحين هكذا .. !

فاجاب صوت الرجل بهلوه :

— لا تصيح فى هكذا لو سمحت ، قد لا آكون كثير السفر .. ولكنى اعتقد أن الأتوبيسات تسير بمحركاتها !

فقال السائق :

— أعلم ذلك .. ولكنك لست أفضل من غيرك ، ايه ؟ .. دعنى أخبرك شيئا : فأنا لا يهمنى ان كنتم تقضيان شهر غسل أم لا ، واذا لم تنزلا فورا للمشاركة فى الدفع مع الآخرين فعليكما اللعنة !

فاجاب الرجل :

— اذا كنت تريد الاستمرار فى المحادثة فمن الأفضل أن تخاطبني بأدب !

وكانت هناك فترة سكوت قصيرة .. وبعدها بقليل ، عندما مرنا فى الطريق عبر أيكة هادئة ، حطم صوت السائق السكون ثانية قائلا :

— هاى ، يا من تجلسان هناك فى الحلف ! لا تكونا عنيدين هكذا عليكما اللعنة ! .. كيف تستمران فى الجلوس هناك فى راحة بينما الآخرون يتصببون عرقا على الطريق ؟ اننا سنصعد التل .. انزلا وساعدا !

فقال الشاب بصوت عال :

— لماذا لا تنتبه أنت للمحرك ؟ انك أنت العنيد ! انك مهتم جدا بأن تجعلنا ننزل وندفع وأنت ولا حتى تحاول تشغيل المحرك .. ركز عقلك فى عملك مثل السائقين الآخرين ! انك عار على نظام النقل العام !

فقال السائق :

— اخرس !

ثم اضاف في نغمة أكثر اعتدالا :

— انتبه يا سيد ، اننا سنصعد تل سامبون الآن • وأنت لا تريد أن تدع الآخرين يقومون بكل العمل ، أليس كذلك ؟ انظر اليهم في الخلف يتصيبون عرقا !

كان تل سامبون عبارة عن نفق غير مسقوف شديد الانحدار الى أعلى ، وكانت جوانبه عبارة عن حوائط من الطين • وبذلنا كل قوتنا لتحريك الاتوبيس •• ومن قمة هذا النفق كان الطريق ينزل بانحدار ، وإذا لم يشتغل المحرك هناك ، فمن الصعب معرفة متى يتم ذلك • ووقفنا جميعنا عند القمة وراقبنا الاتوبيس جامعا بسرعة وهو يجرى هابطا ، ومر بخزان ماء كبير على جانب الطريق واختفى خلف مجموعة أشجار • وأطرقنا بأذاننا لصوت المحرك ، بينما ركض المحصل هابطا التل خلف الاتوبيس •

وجاءني رجل يرتدى قميصا برقبة مفتوحة وغطاء رأس له حافة مدببة وبنطلونا منتفخا مضموما من أسفل الركبة ومتسخا ببقع من الطلاء ، وقال :

— هل تستطيع سماع صوت المحرك اذا دار ؟

فاجابت البنت التي كانت ترتدى بنطلونا فضفاضا والواقفة بجانبى :

— اعتقد أنه تحرك • أظن أنى أستطيع سماع صوت المحرك ••• ولكن ربما كان ندا مجرد خيالى !

وقال الرجل :

— لا أستطيع سماع شيء •• كم عدد الاميال الباقية على المدينة ؟

ف قالت البنت :

— حوالى أربعة ونصف • ولكن بعد حوالى ميلين سنصل الى مفترق طرق ، حيث يمكننا العثور على أتوبيس يشتغل •

فقال الرجل :

— وسأخذ ذلك الاتوبيس لبقية الطريق • لقد سئمت من بدعة الفحم هذه !

وظهر عندئذ المحصل عند سفح التل • وقف هناك ملوحاً بذراعيه
ويهرز رأسه قبل أن يختفى ثانية في آكمة الأشجار •

وقالت البنت ونحن نبدأ في نزول التل مغمومين :

— لم ندفع مطلقاً هذه المسافة من قبل • لقد ازعج هذان الشابان
السائق فانتقم منا نحن ••

فقال الرجل بغضب :

— أجل ، أراهن بأنه سيجعلنا ندفع الأتوبيس طول الطريق الى
نهاية الخط •• ليس أمامنا الا شيء واحد لنفعله •• أن نظهر التعب ••
يجب أن نجعله يؤمن باننا على آخر نفس ، لعله يغير رأيه •

وسحب قميصه خارجاً من بنطلونه ليعطي لنفسه منظراً غير مرتب •

وأخيراً رأينا الاتوبيس واقفاً عند منزل ريفي بجانب الشجر • وكان
السائق واقفاً بجانبه بذراعيه مطويتين ، بينما كان المحصل مشغولاً في
تعبئة الموقد بالفحم •• واستطعت أن أرى فتاة في ثوب أخضر تسحب
ماء من بئر ، فسألت :

— أليست هذه الفتاة التي كانت معنا في الاتوبيس ؟

فقال رجل ذو وجه حصان ، في حلة عسكرية قديمة :

— هذا صحيح • عندي احساس بأن هناك خطأ ما • انظر ، الفتاة
تحمل جردلاً الى الاتوبيس •

فنادى على السائق :

— هاى ، ماذا حدث لك ؟ ماذا تفعل •• ولماذا تقف هناك وتتطلع
الى السماء ؟ •• هل قررت الاقلاع عن القيادة أم ماذا ؟

فقال السائق بارما شاربّه بأصابعه :

— هذا صحيح ، لقد استقلت !

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

— ماذا تقصد بانك استقلت ؟

– هذا الاحمق العنيد الذى يجلس بداخل الاتوبيس لم يخرج ويدفع معكم عندما طلبت منه ذلك . لذلك سأضربه ، لكنى استقيـل أولا . لأن الموظفين غير مسموح لهم بضرب الركاب . وعند استقالتي أكون مواطنا حرا وأجلده جلدا يستحقه .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

– اسمع هنا . لقد تجاوزت الحدود هذه المرة . ومن تظنه سيقود اذا لم تفعل أنت .

فهز السائق كتفيه . ونظر باحتقار الى الركاب المتجمعين بجانب الاتوبيس وكرر بعناد قائلا :

– أقول لكم لقد استقلت !

وفى هذه اللحظة خرج عجوز طويل فى تسوذة من المنزل الريفى وصاح فى السائق قائلا :

– لقد سمعت ما فيه الكفاية ، ورأيت كل شىء حدث ، رأيتك تهاجم هذين المسالمين . ماذا تقصد بسلوكك هذا أمام منزلى ؟

فقال السائق :

– اننى مواطن حر ، وعندى الحق الكامل فى ضرب أى شخص أريد .

فقال المزارع العجوز :

– لا تتكلم كلام الحمقى . وابعد أتوبيسك عن منزلى من فضلك . . .
سأساعد فى دفع هذا الملعون بدلا من عرسان شهر العسل اذا كان هذا هو الذى يزعجك . وزوجتى العجوز تستطيع أن تساعد فى الدفع أيضا .
اصعد انت على عجلة القيادة !

وتبعنا العجوزين خلف الاتوبيس ، وعندما مررت على إحدى النوافذ . . حملقت بداخلها ، فكان الشاب راقد فى مقعده فى الخلف شاحب اللون ، حاشيا تقبى أنفه ببعض المناديل الورقية ، واحدى عينيه حمراء ومتورمة . وكانت الفتاة المرتدية ثوبا أخضر قد انتهت من مسح وجهه ، وأخذت الجردل الى خلف الاتوبيس وناولته الى أحد الركاب ، الذى أعاده الى البئر .

وقف السائق وذراعه معقودتان ورفض أن يصعد إلى المقود . وبدأ
المجوزان يدفعان الأتوبيس بكل قوتهما ، ولكنه لم يتزحزح . فصاح
المجوز :

— هاى ، كلكم ياناس ساعدونا !

فقال الرجل ذو وجه الحصان وهو يركض إلى خلف الأتوبيس :

— معك حق .

واخذ وضع الاستعداد ، ثم صاح :

— تعالوا كلكم ، ادفعوا بقوة ! هيله . . هوب . . هيله !

ودفعنا جميعنا . وبدأ الأتوبيس يتحرك . وفتح السائق عينيه فى

اندماش ، وصاح قائلاً :

— هاى ، انتظروا لحظة ، لا تكونوا مجانين . انتظروا حتى أمسك

بالمقود .

وركض وراء الأتوبيس وقفز على سلم السائق ، وأمسك بالمقود
حتى قبل أن يجلس . ودفعنا عندئذ بنشاط مضاعف مدفوعين بشعور
بأننا أخذنا الأمور فى أيدينا ، على الأقل بشكل مؤقت . . وكان الطريق
مستقيماً وجرى الأتوبيس بسرعة ثابتة .

وصاح الرجل ذو وجه الحصان قائلاً :

— هاى ، يا سائق ، ألا تستطيع تشغيل المحرك ؟ هل انت متأكد من

أنك لا تعتمد ذلك ؟

فاجاب السائق :

— لا تكن شكاكاً هكذا . انها ليست غلطتى انه لا يشتغل . المحرك
مهترى ، والبطارية لا تشحن جيداً أيضاً . ولكنكم ياناس لا تعرفون
شيئاً بالطبع عن مثل هذه الأشياء .

فقال رجل يرتدى قميصاً أصفر فاتح اللون ورداء كهنوتياً أبيض

منقوشاً بادعية بوذية :

— هذا صحيح . نحن أناس بسطاء لاتصلح إلا فى الدفع . ادفع

ولا تلقى أسئلة ! هذا على ما يبدو هو شعار شركة الأتوبيس هذه .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

— أجل ، لقد زادت عن حدها • ما علينا الا أن ندفع سواء أردنا :
أم أبينا ، ولا يوجد من يهتم بإخبارنا ما هو الخطأ في الأتوبيس الملعون •
انى انتهيت !

التفت السائق حوله وفي فمه سيجارة ، وقال للعروسين الشابين :

— هاى •• أنتما يامن تجلسان هناك • هل سمعتما ما قاله الراكب .
الآن ؟ انه تعب • انهم تعبوا جميعهم بسبب أنانيتكم الملعونة ! ألا تخجلان
من نفسيكما ؟ •• انصتا الى صوت الجمهور الذين بالخلف هناك ! انزلا .
الآن فوراً وساعدا في دفع الأتوبيس !

قال الشاب :

— أمازلت قلقا بسببنا يا أحمق يا مسكين ؟ لقد أخبرتك من قبل .
أن تتركنا وحدنا ، وركز على المحرك أو البطارية أو أيما كان • فى البداية .
تحصلون التذاكر وهى مرتفعة السعر ، ثم تجعلوننا نقوم بدفع كثير .
لا طائل منه • سيكون لدى ما أقوله عن كل هذا عندما نصل ، أحذرك !

فزأر المحصل :

— ما هذا يا ابن السفاح ، هل ترغب فى « علقه » أخرى ؟

فأجاب الشاب بهدوء :

— تقول لى أن أنصت لصوت الجمهور ، حسنا ، انى أحتج على .
ذلك وسأحاول أن أجعل احتجاجي ينفذ الى أذنك هذه المرة •

فصرخ السائق وهو يهتز غضبا :

— اذن لازلت تعتقد بأنك ذكى ، اليس كذلك ؟ لازلت تعتقد أنك .
أفضل من أى واحد آخر ؟ وهو كذلك ، سوف أريك ! لقد طلبتها بنفسك !
ووقف على قدميه •

فصاح الرجل ذو وجه الحصان الذى أصبح الآن المتحدث بالتيابة عنا ::

— اجلس ، اجلس ! لاتترك المقود !

ثم التفت إلينا وقال :

— هيا ، ادفعوا أقوى ! لاتدعوا السائق يترك المقود ، هيا . ادفعوا !

ودفعنا أقوى من أى وقت وتحرك الأتوبيس بسرعة على طول الطريق الضيق المستقيم . وكان على اليسار جدار حجري منخفض تظهر من ورائه حقول الأرز ؛ وعلى اليمين كان هناك نهر ضحل ، ويمكن للسائق أن يدع الأتوبيس ينحرف فى أى اتجاه . ولاحظت عن بعد سيارة تقترب .

فصاح السائق :

ـ قفوا لحظة واحدة ، لابد أن أعطي هذا الغبي « علقه » أخرى .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ أوه كلا ، لن تفعل . هيا ، كل واحد يدفع بقوة ! دعونا نحرك هذا الصندوق القديم !

ودفعنا .. فى الحقيقة ألقينا بأنفسنا بعنف فى ظهر الأتوبيس . وفى انفعالنا نسينا أن السائق يمكنه إيقاف الأتوبيس وقتما يريد باستعمال « الفرامل » ببساطة . وكنا جميعنا مقطوعين النفس ، ولكن هذا لم يثنينا عن مواصلة الدفع . وصاح السائق :

ـ هاى ، ما العيب الذى فيكم كلكم ؟ لماذا تقفون من أجل ابن السفاح الوقح هذا ؟ .. انها غلطته هو التى تجعلكم متعبين هكذا .

فقال الرجل ذو وجه الحصان :

ـ لا تقلق علينا ، امسك المقود فقط ! اذا تركت هذه العجلة ، فسيكون لديك ما تقلق عليه بالفعل .

واضأف الرجل ذو الرداء الكهنوتى الأبيض :

ـ هذا صحيح ، ستكون مع أسلافك قبل أن تعرف .

وفى هذه اللحظة اقتربت شاحنة مقفلة من الاتجاه المقابل . وارتج الأتوبيس فى وقفة مفاجئة أفقدتنا توازننا تقريبا ؛ وأدركنا أن السائق قد استخدم « الفرامل » فتبادلنا نظرات احباط يائسة .

وعلق الرجل ذو وجه الحصان قائلا :

ـ حسنا ، على الأقل لقد وصلنا عند مفترق الطرق . لقد دفعناه أربعة أميال حتى الآن . ياله من انجاز رائع ! ولكن يكفى هذا . وسأخذ الأتوبيس السليم من هنا .

وأعطى المحصل تذكرة أمتعته وحمل حقيبته على ظهره ، وبدأ يسير نحو تقاطع الطرق الثلاثة . وقررت أنا أيضا أن آخذ الأتوبيس الآخر ، وهكذا فعل الرجل الذي يرتدى بنطلونا منفوخا ، والفتاة ذات البنطلون الفضفاض وبعض الركاب الآخرين .. وقال الباقون انهم سيستمرون في دفع الأتوبيس .. بعضهم لأنهم كانوا مقتنعين بأن الأتوبيس كان على وشك البدء في الانطلاق ، وآخرون لأنهم كانوا لا يريدون أن يفقدوا أجور تذاكرهم . وقرر العروسان العنيدان البقاء في الأتوبيس . وذهب الرجل الذي يرتدى البنطلون المنفوخ ليحضر أمتعته ولحق بنا عند تقاطع الطرق وأخبرنا قائلا :

- انهما يجلسان هناك يتناولان وجبة الغداء ، انهما يخرجان علبة « بلوبيف »

- وما أخبار السائق ؟

- يبدو أنه سيتركهما في سلام ليستمتعا بطعامهما .. لقد أحضرا زجاجة ويسكي أيضا .

ونظرت خلفي الى اتوبيس الفحم . كان السائق قد فتح غطاء المحرك وأخذ يسمك في المحرك بمفتاح ربط كبير ، مجرد اجراء شكلي لا غير ، كما أتخيل . ووضع المحصل بعض الفحم في الموقد وبدأ يدير المنفاخ بعنف . كان يبدو أن لديه ثقة لاحد لها في المحرك . ولاحظت أن المزارع العجوز وزوجته كانا يسيران مجهدين عائدين الى بيتهما ..



قرع سيبي (١)

ناويا شيجا

★ ناويا شيجا (١٨٨٣ - ١٩٧١) :

برغم ان حياته كانت طويلة الا ان اعماله ليست كثيرة . لانه صاحب أسلوب في المقام الاول وشديد التدقيق فيه . وكان يبذل جهدا كبيرا في كل عمل ينشره . ويعتبر النقاد أعظم رواياته هي (رحلة ليلة مظلمة) وهي مكتسوبة في جزئين خلال الفترة من ١٩٣١ - ١٩٣٧ . وهي عمل كله كآبة وتشاؤم عميق . وكان حذقه والمعية أسلوبه من الأسباب التي جعلت ترجمة أعماله أمرا صعبا . . . ولهذا السبب يقل صيته خارج اليابان كثيرا عن صيته في وطنه .

★ ★ ★

هذه هي قصة الغلام الصغير الذي يسمى سيبي وقرعه . لقد ألق سيبي فيما بعد عن القرع ، ولكنه وجد شيئا آخر يحل محله : بدأ يرسم لوحات زيتية . ولم تمر فترة طويلة الا وانهمك سيبي في لوحاته كما كان منهمكا ذات مرة في قرعه .

لقد عرف والداه أنه غالبا ما كان يخرج ليشتري لنفسه قرعا . كان يشتريها بسن (٢) أو اثنين وفي الحال أصبحت لديه مجموعة ضخمة . وعندما كان يعود الى البيت ، كان أول كل شيء يثقب ثقباً نظيفاً في قمة القرعة ويستخرج منها البذور . يلي ذلك استخدامه لأوراق الشاي للتخلص من رائحة القرع غير المحببة . ثم يأتي بالساكي (٣)

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ايفان موريس .

من العادات المعروفة في اليابان الاهتمام بأنواع القرع المختلفة وجمعه على سبيل الهواية ، وهو عبارة عن الثمرة الصلبة لبعض النباتات المعترشة . وتستخدم هذه الثمرات الجافة كزجاجات وقنينات للزينة .

(٢) عملة يابانية ضئيلة القيمة .

(٣) مشروب ياباني كحول متخمّر مصنوع من الأرز .

الذى يجمعه من الثمالة الباقية فى كأس أبيه ويلمع بها السطح .
فى حرص .

كان سيبى مغرما بالقرع بأنواعه . وفى أحد الأيام عندما كان
يتمشى على طول الشاطئ ، مستغرقا فى موضوعه المحبب ، رآه منظر
غير عادى : لقد لمح بصورة خاطفة صلعة رأس رجل عجوز مستطيلة
كان يخرج مسرعا من إحدى عيش الشاطئ ، ففكر سيبى :

— يالها من قرعة رائعة !

واختفى الرجل العجوز وهو يهز قرعته الوردية الصلعاء . وعندئذ
فقط، تحقق سيبى من خطئه ووقف هناك ضاحكا لنفسه بصوت مرتفع .
وضحك طوال الطريق الى البيت .

وعندما كان يمر على بقال أو محل تحف ، أو حلوانى أو أى مكان
يبيع القرع ، كان يقف منتصباً لدقائق ، وعيناه متسمرتان فى فترينة
المحل يقيم الثمرة الثمينة .

كان سيبى صبيا فى الثانية عشرة من عمره ولا يزال فى المدرسة
الابتدائية . وبعد المدرسة ، كان عادة يتجول فى البلدة باحثا عن القرع،
بدلاً من أن يلعب مع الأولاد الآخرين . وعندما يأتى المساء كان يجلس
معقود الساقين فى ركن من أركان حجرة الجلوس مشغولا بشمرته التى
حصل عليها حديثاً . وعندما ينتهى من معالجتها يسكب فيها قليلاً من
الساكى ، ويغلقها بسدادة اخترعها هو بنفسه ، ويلفها فى فوطة ،
ويضعها فى صفيحة يحتفظ بها خصيصاً لهذا الغرض ، وأخيراً يضع
كل هذا على مدفاة الأقدام . وعندئذ يذهب الى سريره .

وعندما يستيقظ فى اليوم التالى ، كان يفتح الصفيحة ويفحص
القرعة . وقد يجد أن القشرة رطبة تماماً بسبب المعالجة الليلية .
ويحمل سيبى فى كنزه مبهوراً قبل أن يضع خيطاً حول منتصفها
لتعليقها فى الشمس لتجف . وعندئذ يخرج الى المدرسة .

كان سيبى يقطن فى مدينة بحرية لها ميناء . وبالرغم من أنها
كانت مدينة بصفة رسمية ، إلا أنه يمكن قطعها من أولها الى آخرها فى
حوالى عشرين دقيقة . وكان سيبى دائم التجوال فى الشوارع وأصبح
يعرف كل مكان يبيع القرع ويتعرف على كل قرعة تقريبا فى السوق .

لم يكن يهتم كثيرا بالقرع العجوز ، كثير الالتواء ذى التشكيل
العجيب المحبب عادة من قبل هواة الجمع والاقتناء . كان النوع الذى
يستهوئ سيبى هو المستوى المتناسق .

وقال صديق لوالده كان قد جاء فى زيارة :

— يبدو أن ابنكم يحب النوع العادى منها .

وأشار الى الولد الذى كان جالسا فى الركن مشغولا فى تلميع
قرعة مستديرة متبسطة

فقال أبوه ملقيا على سيبى نظرة استمزاز :

— فتى خيالى يقضى وقته عابثا هكذا بالقرع !

فقال الصديق :

— اسمع يا سيبى يا بنى ، ليست هناك فائدة من مجرد جمع
كميات من هذه الأشياء . فالكمية لاتهم ، أنت تعرف . والذى عليك
أن تفعله هو أن تعثر على واحدة أو اثنتين غير عاديتين فعلا .

فقال سيبى :

— اننى أفضل هذا النوع !

وبدا والد سيبى وصديقه يتحدثان عن القرع ، فقال والده :

— هل تذكر قرعة باكين التى عرضوها فى المعرض الزراعى فى
الربيع الماضى ؟ كانت قطعة من الجمال حقا ، أليس كذلك ؟

— أجل ، اذكر ، تلك القرعة الكبيرة الطويلة .

كان سيبى يضحك داخليا أثناء سماعه لمحادثتهما . لقد أحدثت
قرعة باكين ضجة بالفعل فى وقتها ، ولكنه عندما ذهب لراها (ليس
عنده فكرة ، طبعا ، من يكون باكين الشاعر العظيم هذا) فوجدها
شيئا يبدو غبيا وترك المعرض وخرج ، لذلك قاطعهما سيبى قائلا :

— اننى لم أعجب بها . إنها مجرد شئ ضخم غير رشيق .

ففتح والده عينيه فى دهشة وغضب وصاح قائلا :

— ما هذا ؟ عندما لاتدرى ما تتكلم عنه ، فمن الأفضل أن تسكت !

ولم يقل سيبى أية كلمة أخرى .

وفى أحد الأيام عندما كان يمشى فى شارع خلفى لم يكن معتادا أن يمشى فيه . عثر على امرأة عجوز عندها كشك لبيع الفاكهة . وكانت تبيع فواكه مجففة مثل البرسيمون والبرتقال . وكانت تعلق على مصراع منزلها خلف الكشك مجموعة كبيرة من القرع .

فقال لها سيبى :

— هل أستطيع أن ألقى نظرة ؟

وركض فى الحال خلف الكشك وبدأ يتفحص القرع . وفجأة وقع بصره على واحدة كان طولها حوالى خمس بوصات . وتبدو لأول وهلة عادية تماما . ولكن شيئا ما فيها جعل قلب سيبى يدق بسرعة أكثر ، فسألها وهو ينطق الكلمات لاهثا :

— بكم هذه القرعة ؟

فقالت السيدة العجوز :

— حسن ، حيث انك لا زلت صغيرا ، سأعطيها لك بعشرة سن .

فقال سيبى فى استعجال :

— فى هذه الحالة ، احجزها لى من فضلك ، هل ممكن ؟ سوف أحضر النقود وأحضر حالا .

واندفع الى البيت وعاد بسرعة الى الكشك واشترى القرعة وأخذها الى البيت .

ومنذ ذلك الحين لم يفرق مطلقا عن قرعته الجديدة . بل أخذها معه الى المدرسة ، واعتاد أن يلعبها تحت درجه أثناء وقت الدرس . ولم تمر أيام كثيرة حتى ضبطه أحد المدرسين وهو يفعل ذلك ، فثار وسخط بصفة خاصة لأنه كان يدرس عندئذ درسا فى علم الأخلاق .

جاء هذا المدرس من منطقة أخرى من اليابان واعتبرها شيئا مهيئا جدا أن ينغمس الأطفال فى جمع ائقرع ، مضيعين الوقت فى العادة المتخنة هذه . كان مؤيدا دائما أبدا لمبادئ الساموراي بتقاليدها القديمة . وعندما جاء كومويمون شاعر الرماية المشهور فى جولة وأنشد الأعمال الشجاعة للأزمان القديمة ، كان يحضر كل عرض . وكان لا يعترض مطلقا أن يغنى طلابه قصائد شاعر الرماية مهما كان صوتهم أجش وخشنا . وعندما وجد سيبى يلعب قرعته فى صمت ارتعش .
صوته من الغضب وصاح قائلا :

— انك أبله ! ليس هناك أى مستقبل بالتاكيد لولد مثلك .

وعندئذ صصادر المدرس القرعة التى أنفق سيبى هذه الساعات الطويلة فى معالجتها . وحملق سيبى أمامه فى ثبات ولم يبك .

وكان وجه سيبى شاحبا ، عندما عاد الى البيت . وبدون كلمة واحدة وضع قدميه فى المدفأة وجلس متطلعا الى الحائط .

وبعد برهة وصل المدرس . ولما كان والد سيبى لم يعد بعد الى البيت من محل النجارة حيث يعمل ، فوجه المدرس هجومه الى والدته سيبى . فقال فى صوت صارم :

— هذا النوع من التصرفات مسئولية الأسرة . ان من واجب والديك ألا يسمحوا بحدوث ذلك .

وفى نوبة من الارتباك تفوهت أم سيبى ببعض الاعتذارات .

كان سيبى ، فى تلك الأثناء ، يحاول أن يجعل نفسه غير مرئى فى الركن الذى يجلس فيه ، على قدر الامكان . وتطلع فزعا الى مدرسه الحقود والى الحائط الذى خلفه مباشرة حيث يوجد صف كامل معلق من القرع المجهز . ماذا سيحدث لو التفت المدرس ورآهم ؟

جلس مرتعدا فى الداخل ، منتظرا ما هو أسوأ ، ولكن المدرس تخلص أخيرا من كلماته الخطابية التى أفرغها وخطا غاضبا خارج المنزل . فتنفس سيبى الصعداء .

كانت أم سيبى تتنهد برقة ، وبدأت توبخه فى أنين وهى متبرمة ، وفى وسط هذا ، عاد والده من دكانه . وعندما سمع ما قد حدث ، أمسك بولده من ياقته وأعطاه « علكة » ساخنة ، وزعق فيه قائلا :

— لا فائدة منك ! لن يكون لك شأن فى الدنيا بالطريقة التى تعيش بها . اننى أفكر بأن ألقى بك فى الشارع حيث تنتمى !

ولفت القرع المعلق على الحائط انتباهه ، فأحضر مطرقة ، وبدون كلام ، نزل عليها واحدة واحدة وحطمها جميعا . . . وامتقع وجه سيبى لكنه لم يقل شيئا .

وفى اليوم التالى أعطى مدرس سيبى القرعة المصادرة لبواب عجوز كان يعمل بالمدرسة ، وقال له ، وكأنه يناوله شيئا غير نظيف :

— هيا ، خذ هذه !

أخذ البواب القرعة معه الى البيت وعلقها على حائط غرفته الصغيرة
انلونة بالهباب .

وبعد ذلك بحوالى شهرين وجد البواب نفسه في حاجة للمال ،
فقرر أن يأخذ القرعة الى محل بيع تحف قريب ليرى اذا كان يستطيع
الحصول على أى مقابل لها . تفحص صاحب المحل القرعة بعناية ، ثم
قال بنبرة شخص غير مهتم وهو يناولها للبواب ثانية :
- يمكن أن أعطيك خمسة ين مقابلها .

اندهش البواب ، ولكنه كان رجلا عجوزا داهية ، فأخفى
اندهاشه وأجاب ببرود :
- بالتأكيد لا أبيعها بذلك .

فرفع صاحب المحل عرضه فى الحال الى عشرة ين ، ولكن البواب
كان كمن قدم من الصخر .

وفي النهاية كان على صاحب المحل أن يدفع خمسين ينا مقابل
القرعة . وترك البواب المحل سعيدا بحظه . فلم يحدث كثيرا أن يعطى
المدرسون هدية مجانية لأحد تساوى أجر سنة ! وكان حاذقا فلم يذكر
الموضوع لأى أحد . ولم يسمع سيبى ولا المدرس بما حدث للقرعة .
يا نعم كان البواب حذقا . . لكنه لم يكن حذقا بما فيه الكفاية :
فهو لم يتخيل أن هذه القرعة نفسها يمكن أن يبيعها صاحب المحل الى
هاوثرى فى المنطقة بستمائة ين !

والآن أصبح سيبى منهمكا فى صوره . ولم يعد يشغل بأية مرارة
تجاه مدرسه ، ولا تجاه أبيه الذى حطم كل قرعه الثمين .

! ومع ذلك فقد بدأ والده بالتدريج يعنفه من أجل رسم الصور !

الملص (١)

جونيتشيرو تانيزاكي

★ جونيتشيرو تانيزاكي (١٨٨٦ - ١٩٦٥) :

من أهم الروائيين اليابانيين المحدثين • وكان ادجار الان بو ،
واوسكار وايلد ممن يعجب بهم من كتاب الغرب ، فتأثر بهما
واتضح ذلك في أعماله الأولى • وبعد كارثة الزلزال التي وقعت
في طوكيو عام ١٩٢٣ ، تركها تانيزاكي وانتقل الى كيوتو عاصمة
اليابان القديمة • وكانت هذه الانتقال أكثر من انتقاله جغرافية ،
اذ أن أعماله قد انتقلت أيضا من تحت ظل الأدب الغربي عائدا الى
يابان التقليدية • ومن أشهر رواياته « الأخوات هاكيوكا »
(١٩٤٦ - ١٩٤٨) ، وهي عمل طويل يصور بايجاز تاريخ
حياة أسرة وحياة عصر بأكمله • ويتسم عمل تانيزاكي بعين لاقطة لما
هو ثانوي من الأمور مع سرد التفاصيل • كما يتسم بكونه مجسدا
سيكولوجيا عجيبا •



كان هذا منذ سنوات ، في المدرسة حيث كنت أتأهل لدخول جامعة
طوكيو •

واعتدت أنا وزملائي في الحجرة بالسكن الداخلي أن نقضى وقتنا طويلا
فيما كنا نسميه « دراسة ضوء الشموع » (حيث كانت الدراسة قليلة
جدا) ، وفي إحدى الليالي بعد اطفاء الأنوار بفترة طويلة كنا أربعتنا
نفعل نفس الشيء ، نجتمع جاثمين حول الشمعة نتحدث ، ونتحدث •

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : هوارد هيب •

وأذكر أننا كنا نتبادل إحدى مناقشاتنا المضطربة الحارة عن الحب . . تلك المشكلة التي كانت عظيمة الشأن عندنا في تلك الأيام . وبعد ذلك ، مع مجرى التطور الطبيعي للأمور ، تحولت المناقشة الى موضوع الجريمة : فوجدنا أنفسنا نتحدث عن أشياء مثل الاحتيال والسرقة والقتل .

وقال واحد منا :

— من أكثر الجرائم احتمالا أن نقترفها من كل الجرائم ، هي جريمة القتل .

قال هذا هيجوتشي وهو ابن أستاذ مشهور . . وأضاف قائلا :

— ولكنى لا أعتقد أنى أسرق مطلقا . . لمجرد أنى لا أقدر على فعل ذلك . وأظن أننى أستطيع أن أصادف أى نوع من الأشخاص ، ولكن اللص . . . يبدو أنه ينتمى الى جنس بشرى مختلف . وغيمت سحابة نفور على ملامحه الجميلة . وأكد هذا العبوس وسامته .

وهذه المرة كان هيراتا الذى تكلم وتساءل :

— أسمع أن هناك سلسلة متلاحقة من السرقات فى السكن مؤخرا ليس كذلك ؟

والتفت الى ناكامورا زميل حجرتنا الآخر .
— أجل ، ويقولون ان اللص واحد من الطلبة .

فسالت :

— كيف عرفوا . . ؟

فأخفض ناكومورا صوته الى همس سرى قائلا :

— حسنا ، اننى لم أسمع كل التفاصيل . . ولكنها بشكل متكرر ، لابد أنها عملية داخلية .

فوضح هيجوتشي قائلا :

— ليس ذلك فقط ، فأحد الزملاء فى الجناح الشمالى كان داخلا الى حجرته فى ذلك اليوم عندما دفع شخصا ما الباب وفتحته من الداخل وأمسك به وصفعه بشدة على وجهه ، وركض مبتعدا عن القاعة ونزل . وركض

وراءه ولكن فى الوقت الذى نزل الى نهاية السلم كان الآخر قد اختفى
عن البصر . ولما رجع الى حجرتة وجد درجه وأرفف الكتب فى حالة فوضى
وكان ذلك من فعل اللص .

— هل رأى وجهه ؟

— كلا لقد وقع كل شىء بسرعة كبيرة ولكنه يقول انه يشبه واحدا
منا ، فى طريقة ارتدائه ملابسه . من الواضح انه ركض نازلا من القاعة
وستترته مشدودة فوق رأسه . الشىء الأكيد أن سترته عليها شعار زهرة
الوستارية (١) .

فقال هيراتا :

— شعار زهرة الوستارية ؟ لا يمكنك انبات أى شىء بذلك .

ربما كان ذلك من خيالى فقط ، ولكنى اعتقدت أنه أومض بنظرة
شك نحوى . وفى نفس اللحظة شعرت أننى نحيت وجهى بشكل
غريزى ، حيث ان شعار أسرتى هو تصميم زهرة الوستارية . ولكنى
بالصدفة لم أكن مرتديا سترتى ذات الشعار فى تلك الليلة .

فقلت محاولا أن اتغلب على ارتباكى بسبب هذه اللحظة من الضعف :

— اذا كان اللص واحدا منا ، فلن يكون من السهل القبض عليه .
ولا أحد يريد أن يصدق بوجود لص بيننا .

فقال هيجوتشى مؤكدا :

— كلا ، سوف يمسكونه فى يومين .

ولمعت عيناه وهو يقول :

— هذا سر ، ولكنهم يقولون انه عادة ما يسرق أشياء من غرفة
الملابس بالحمام . والمراقبون يقومون بعملهم منذ يومين أو ثلاثة . انهم
يختبئون فوق وينظرون الى أسفل عن طريق فتحة صغيرة .

فسأل ناكامورا :

— أوه ؟ من أخبرك بذلك ؟

— واحد من المراقبين . ولكن لا تدور وتحدث بذلك .

(١) زهرة تسمى الحلوة . من نبات متعرض له زهر عنقودى أزرق أو أبيض أو

أرجوانى .

فقال هيراتا ، وهو يبدو مشمئزاً :

ـ اذا كنت قد عرفت كل هذا ، فمن المحتمل أن اللص يعرف هذا أيضاً !

وهنا يجب أن أفسر بأن هيراتا وأنا لم نكن على وفاق تام . فى الحقيقة . كنا فى ذلك الوقت بالكاد يتحمل أحدهنا الآخر . أقول « نحن » ، ولكنه هيراتا الذى اتخذ موقف الكراهية الشديدة نحوى . وطبقاً لما قاله أحد أصدقائى ، انه قال ذات مرة بازدرء بأننى لست كما يعتقد كل الناس . . . وانه سيجد فى يوم ما الفرصة ليكتشفنى . وقال أيضاً :

ـ لقد مللت منه . انه لن يكون صديقاً لى أبداً . . . انى أتعامل معه على سبيل الشفقة !

قال مثل هذه الأشياء من وراء ظهرى . ولم أسمعها منه مباشرة مطلقاً ، رغم أنه كان من الواضح أنه ينفر منى . ولكن لم يكن من طبيعتى ان أطلب تفسيراً . وقلت فى نفسى :

ـ اذا كان هناك عيب ما فى ، فيجب أن يقول ذلك . واذا لم يكن كريماً ليخبرنى بما هو ، أو اذا كان يعتقد أننى لا أستحق الاهتمام ، اذن فلن أفكر فيه كصديق أيضاً .

وشعرت بشيء من العزلة عندما فكرت فى احتقاره لى ، ولكنى لم أقلق فعلاً لذلك .

كان هيراتا نموذجاً للرجولة وله قوام رياضى جميل ، كانت مدرستنا تفتخر به . أما أنا فقد كنت نحيفاً شاحباً عصبى المزاج . . . كان هناك شيء ما أساسى متنافر بيننا . ويجب أن أسلم بحقيقته وهى أننا نعيش فى عالمين منفصلين . كان هيراتا خبير جودود رفيع المستوى وكان يستعرض عضلاته وكأنه يقول :

ـ انتبه ، والا أعطيتك « علقه » !

ربما يبدو جبناً منى أن أتخذ هذا الخنوع تجاهه ، وكنت بدون شك أخشى قوته الجسمانية ، ولكن لحسن الحظ كنت لا أبالى بأمور الهيبة أو الكبرياء التافهة .

ـ لا أهتم بازدرء الشخص الآخر ، طالما أستطيع الاستمرار فى الايمان بنفسى فلن أحتاج الى الشعور بالمرارة نحوه .

هكذا كان تفكيرى ، ولذلك كنت قادرا على مقابلة غطرسة هيراتا
بشهامتى الباردة • بل قلت لأحد الأولاد :

— انى لا أستطيع أن أجبر هيراتا على أن يفهمنى . ولكنى أقدر آراءه
على كل حال !

وبالفعل أومن بذلك • انى لم أعتبر نفسى جباناً أبداً • بل وكنت
مغروراً بعض الشيء ، ومعتقدا بأننى لا بد أن أكون شخصا ذا ميزات
نبيلة لكى أستطيع أن أمدح هيراتا من صميم قلبى •

— شعار زهرة الوستارية ؟

فى تلك الليلة عندما ألقى هيراتا نظرتة المباغطة على ، لقد أثارت
أعصابى النظرة الماكورة فى عينيه • ماذا كانت تعنى هذه النظرة ؟ هل
كان يعرف أن شعار عائلتى هو زهرة الوستارية ؟ أم أننى شعرت بذلك
بسبب أحاسيسى الخاصة ؟ اذا كان هيراتا يشك فى • فكيف لى أن أتناول
الموقف ؟ ربما يجب أن أضحك بشكل طبيعى وأقول :

— اذن فأنا فى مجال الشك أيضا لأن هذا الشعار شعار عائلتى ••

فاذا ضحك الآخرون معى ، كنت على ما يرام • ولكن افترض واحدا
منهم ، هيراتا مثلا ، بدأ ينظر مجهما أكثر وأكثر •• ماذا اذن ؟ •• عندما
تصورت هذا المنظر لم أستطع التكلم جيدا باندفاع •

كان يبدو من الحق أن أقلق بهذا الخصوص ، ولكن أثناء هذا
السكوت القصير ، تسابقت جميع أنواع الأفكار عبر ذهنى •

— فى هذا الموقف بالذات ما الفرق بالفعل بين رجل برئ ومجرم
حقيقى ؟

وشعرت عندئذ بأننى أخوض اضطراب وانعزال مجرم • لقد كنت
واحدا من أصدقائهم حتى لحظة مضت ، واحدا من الصفوة فى مدرستنا
المشهورة • ولكن الآن ، حتى ولو كان ذلك فى خيالى ، فقد أصبحت
انسانا منبوذا • كان شيئا منافيا للعقل ، ولكنى عانيت من عدم قدرتى
على الثقة فيهم • لقد كنت غير مرتاح ازاء حالة هيراتا النفسية •• هيراتا
الذى كان من المفروض أن يكون ندا لى •

لقد قال هيجوتشى ربما بشكل اعتيادى جدا :

— يبدو أن اللص ينتمى الى جنس مختلف •

ولكن هذه الكلمات ترن صداها في عقلي بشكل منذر بالسوء .

— ينتمى اللص الى جنس مختلف ...

لص ! يا له من اسم مقيت ! اعتقد ان الذى جعل اللص مختلفا عن الآخرين ليس فعله الاجرامى نفسه فحسب بل أكثر منه مجهوده في اخفائه مهما كلفه ذلك . والجهد في حالة التسوتر بإبعاده عن تفكيره ، والمخاوف المظلمة بأنه لا يمكن أن يعترف مطلقا . والآن بدأت أتدثر بهذه الظلمة . كنت أحاول ألا أصدق بأننى موضع شك ، كنت قلقا بخصوص مخاوفك لا يمكننى الاعتراف بها لأقرب صديق . بالطبع لأن هيجوتشى كان يثق بى ، فأخبرنى بما سمعه من المراقب . لقد قال :

— لا تدور وتحدث بذلك .

وكنت سعيدا . وفكرت . لكن لماذا أشعر بالسعادة ؟ على كل ، فان هيجوتشى لم يشك فى أبدا . وبدأت بشكل ما ، أتساءل عن الباعث الذى من أجله أخبرنا بذلك .

لقد جال بخاطرى انه حتى لأكثر الناس طهرا فلا بد أن تكون له ميول اجرامية ، وربما لست وحدى الذى يتخيل امكانية أن أكون لصا . وربما كان الآخرون يجربون قليلا من نفس الانزعاج ونفس التيه . اذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن هيجوتشى الذى شاركه المراقب لوحده بسره ، شعر بالفخر الشديد . وكان هو من بيننا نحن الأربعة ، أكثرنا محلا للثقة ، وأقلنا احتمالا أن ينتمى الى « الجنس المختلف » .

واذا كان قد كسب هذه الثقة لأنه جاء من أسرة غنية وكان ابنا لبروفسير مشهور ، اذن فمن الصعب ألا أحسده . وكما أن حالته الاجتماعية حسنت من أخلاقه ، فكذلك جذوره الاجتماعية ... كنت خجلا بالفعل من كونى طالب منحة ، وابن مزارع فقير ... فحط ذلك من أخلاقى . ولكى أشعر بنوع من الأسى فى حضوره ليس له دخل سواء أكنت لصا أم لا . اننا ننتمى بالفعل لجنسين مختلفين . وأحسست أنه كلما ازداد ثقة فى ، مع صراحته ، وموقفه الواضح ، كلما تعمقت الفجوة بيننا . وكلما حاولنا أن نكون أصدقاء مخلصين نضحك مع بعضنا فى ود ظاهر ، وننهمك سويا فى القيل والقال ، ازدادت المسافة بيننا . ولا يوجد شيء أستطيع فعله ازاء ذلك .

وترددت بعد ذلك لمدة طويلة فى ارتداء سترتى التى عليها « شعار زهرة الوبستارية » . ربما اذا ارتديها بغير اكتراث فلن يلتفت اليها أحد . ولكن نفترض أنهم نظروا نحوى وقالوا :

— آه ، انه يرتديها !

فقد يرتاب البعض فى ، أو يحاولون أن يكتموا شكوكهم فى ، أو يشعرون بالأسف من أجل لأننى كنت موضع شك . وإذا ارتبكت وشعرت بعدم الارتياح مع جميع الطلبة لا مع هيراتا وهييجوتشى فقط ، وإذا شعرت عندئذ مضطرا بأنى يجب أن أخفى سترتى بعيدا . فان ذلك سيزيدهم شكاً . . . وما كنت أخشاه ليست الحقيقة المجردة بأن أكون موضع شك ، بل كل العواطف غير السارة التى قد تتحرك فى الآخرين . وإذا كنت سبباً فى غرس الشك فى عقول الآخرين فسأخلق حاجزا بينى أنا نفسى وبين هؤلاء الذين كانوا أصدقائى دائماً . وحتى السرقة نفسها لم تكن بقبح الشكوك التى قد تنشأ بسببها . لا يريد أحد أن يفكر فى كلص : طالما لم يثبت ذلك ، انهم يريدون أن يستمروا فى المزاولة معى بحرية كما كانوا دائماً . مجبرين أنفسهم على أن يشقوا فى . والا فما معنى الصداقة ؟ سواء لص أو لا ، فقد أكون مذنباً باثم أسوأ من السرقة من صديق : اثم افساد صداقة . وزرع بذور الشك عن نفسى تعد جريمة . انها أسوأ من السرقة . وإذا كنت لصاً حصيفاً ماهراً — كلا ، لا يجب أن أقولها بهذه الطريقة — اذا كنت لصاً ليس عندى أى ذرة ضمير أو اعتبار للناس الآخرين ، فسأحاول أن أحافظ على صداقتى غير ملطخة . أحاول أن أكون صريحاً مع أصدقائى ، أعاملهم باخلاص ودفع لا أخجل منهم أبداً ، بينما أستمر فى سرقاتى فى السرّ ربما سأكون ما يسمونه الناس « لص صفيق » ، ولكن اذا نظرت إليها من وجهة نظر اللص ، فهى أشرف طريقة تتخذ ، وقد يقول مثل هذا الرجل :

— حقيقة أننى أسرق ، ولكن من الحقيقة أيضاً أننى أقدر أصدقائى !

وهذا نموذج جيد للـص ، ولهذا فهو ينتمى الى جنس مختلف .

على أية حال ، عندما بدأت التفكير بهذه الطريقة ، لم أستطع مقاومة اتساع المسافة بينى وبين أصدقائى . وكنت أشعر وكأننى أصبحت لصاً ناضجاً . . . !

وفى أحد الأيام جمعت شجاعتى وارتديت السترة ذات الشعار داخل ملاعب المدرسة . وتصادف وقابلت تاكامورا ، وبدأنا نمشى سوياً ، فقلت:

— على فكرة ، اسمع انهم لم يمسكوا باللص بعد .

فأجاب تاكامورا ، وهو يتطلع بعيداً :

— هذا صحيح .

— لم لا ؟ ألم يستطيعوا سبيده في الحمام ؟

— لم تحدث سرقات هناك مرة أخرى ، ولكن ما زلنا نسمع عن سرقة أشياء كثيرة في أماكن أخرى . يقولون ان المراقبين نادوا هيجوتشى ذلك اليوم وأنبوه لافشاء خطتهم .

— هيجوتشى ؟

فشعرت وكان اللون يتصفى من وجهى .

فتنهذ قائلا في ألم :

— أجل !

وتدحرجت دمعة على خده وهو يضيف قائلا :

— أرجو أن تغفر لى ! لقد كتبت عنك الخبر حتى الآن ، ولكن أعتقد انك يجب أن تعرف الحقيقة . انك لن تحب ذلك ، ولكنك أنت الشخص الذى يشك فيه المراقبون . اننى أكره أن أتحدث بذلك اننى لم أشك فيك مطلقا للحظة واحدة . اننى أومن بك . ولانى أومن بك فكان لزاما على أن أخبرك . أمل ألا تأخذها ضغينة ضدى .

— شكرا على اخبارى . اننى ممتن لك .

كانت الدموع فى عيني أنا أيضا ولكن فكرت فى نفس الوقت :

— لقد جاءت أخيرا ! على قدر ما كنت أخشاها . لقد كنت متوقعا هذه اللحظة أن تأتى .

وقال ناكامورا ليخلف عني :

— فلنغير الموضوع . اننى أشعر بالراحة اننى قد أخبرتك .

— ولكننا لا يمكن أن نلغيها من أذهاننا لمجرد أننا نكره أن نتكلم عنها . اننى أقدر كرمك ، ولكنى لست الوحيد الذى أصيب بالحزى لقد جلبت العار عليك أيضا ، كصديق لى . مجرد حقيقة أنى موضع شك نجعلنى غير جدير بالصدقة . على أية حال تنظر اليها ، فسمعتى تحطمت . أليس كذلك ؟ . . . أتصور أنك ستدير لى ظهرك !

فيما ناكامورا منزعجا لنبرتى اللائمة فقال :

— أقسم انى لن أفعل ذلك ولا أعتقد أنك جلبت أية عار على ولا حتى هيجوتشى . لقد قالوا أنه فعل ما فى وسعه ليدافع عنك أمام المراقبين . لقد أخبرهم بأنه يشك فى نفسه قبل أن يشك فيك .

— لكنهم ما زالوا يشكون فى ، أليس كذلك ؛ لا فائدة من أن تخاف على أحاسيسى . أخبرنى بكل ما تعرفه ، فهذا أفضل لى .

عندئذ قال ناكامورا مفسرا فى تردد :

— حسن ، يبدو أن المراقبين عندهم كل التفاصيل . ومنذ أن تكلم هيجوتشى كثيرا تلك الليلة ولم تحدث أية سرقات بالجمام . ولهذا السبب قد شكوا فىك .

— ولكنى لم أكن الوحيد الذى سمعته !

لم أقل ذلك ، ولكن الفكرة طرات لى فى الحال ؛ وجعلتنى أشعر بالوحدة والبؤس أكثر .

— ولكن كيف عرفوا أن هيجوتشى أخبرنا ؟ لم يكن يوجد إلا أربعتنا فقط تلك الليلة ، فاذا لم يعرف ذلك أى أحد آخر ، وإذا كنت أنت هيجوتشى تثقان فى ...

فقال ناكامورا مع نظرة متوسلة :

— عليك أن تستنتج بنفسك ؛ انك تعرف من هو . انه يخطئ فى الحكم عليك ، ولكنى لا أريد أن أنتقمه .

وانتابتنى برودة مفاجئة . وشعرت وكأن عيني هيراتا تحمقان فى عيني .

— هل تكلمت معه عني ؟

— أجل ... ولعلك تدرك أن ذلك ليس سهلا ، حيث أننى ضد يقه وصديقك أيضا . فى الحقيقة لقد حدث بيننا نقاش طويل الليلة الماضية ، ويقول انه سينترك السكن . وهكذا سأخسر صديقا على حساب آخر .

فأمسكت بيد ناكامورا وضغطت عليها بشدة وقلت

— إني ممتن لأصدقاء مثلك وهيجوتشى

وانهمرت الدموع من عيني ، وبكى ناكامورا أيضا . وشعرت لأول مرة فى حياتى أننى أخوض تجربة دفء الحنو الاثنان قبالهما . وهذا ما كنت أبحث عنه عندما كنت أتعذب بأحاساس الغزلة اليائسة . ولا يهمكم أنا نحن أثيم . فلا أقدر مطلقا أن أسرق أى شئ من ناكامورا .

وقلت بعد فترة :

— أقول لك الحقيقة ، اننى لا أستحق الازعاج الذى أسببه لك .
انى لا أستطيع أن أقف صامتا وأراكما أنتما الاثنان تخسران صديقا طيبا
من أجل واحد مثلى . وحتى رغم أنه لا يثق فى فلا زلت أحترمه . انه
أفضل منى بكثير . اننى أقدره كما يقدره كل شخص . لذلك لماذا لا
أترك أنا السكن بدلا منه ، اذا وصل الأمر لذلك ؟ أرجوك — دعنى
أذهب ، وتبقون ثلاثكم تعيشون سويا . وحتى لو كنت وحدى ،
فسأشعر بشعور أفضل .

فقال ناكامورا وصوته مشحون بالعاطفة :

— ولكن ليس هناك سبب لتترك السكن . اننى أقدر مزاياه أيضا ،
ولكنك أنت الشخص المضطهد . . . اننى لن أقف بجانبه والا لن أكون
منصفا . واذا تركت فيجب أن نترك أيضا . أنت تعرف كم هو عنيد . . .
فاذا عقد العزم على الذهاب فلن يغيره . فلماذا لا تدعه يفعل مايرضيه ؟
ونحن بالتالى ننتظره ليعود الى عقله ويعتذر . ولن يستغرق ذلك وقتا
طويلا على أية حال .

— لكنه لن يعتذر أبدا ، سيستمر فى كراهيتى الى الأبد .

ويبدو أن ناكامورا افترض أنى أشعر بامتناع نحو هيراتا فقال
بسرعة :

— أوه ، لا أعتقد ذلك ، أنه سيلتزم بكلمته . . وهذه هى قوته
وضعفه فى نفس الوقت . . . ولكن عندما يعرف أنه على خطأ سيأتى
ويعتذر وينفض الموضوع تماما .

فقلت مفكرا :

— سيكون جميلا اذا فعل . . . ربما يعود اليك ، ولكنى لا أعتقد
أنه سيعيد الصداقة معى ثانية . . . ولكنك على حق ، فهو جدير بأن
يحب . أتمنى فقط أن يحبنى أيضا .

ونخسج ناكامورا يده على كتفى وكأنه يريد أن يحمى صديقه
المسكين ، بينما كنا نتهادى بقتور على الحشائش الخضراء . كان الوقت
مساء وكان هناك ضباب خفيف معلق فوق ملاعب المدرسة : فكان يبدو
وكأننا فى جزيرة محاطة ببحار رمادية لا نهاية لها . ومن حين لآخر يرمقنى
بعض الطلبة السائرين فى الطريق الآخر ويستمررون فى طريقهم .
ففكرت ، أنهم يعرفون الحكاية ، فهم ينبذوننى . وشعرت بعزلة ساحقة .

وبدا فى تلك الليلة أن هيراتا قد غير رأيه ، فلم يبدا أى نية لتراك
السكن . ولكنه رفض أن يتكلم معنا . . . حتى مع هيجوتشى وناكامورا .

وقررت ، حتى بالنسبة لى أن أغادر فى هذه المرحلة . . . كان شيئاً
مستحيلاً . لن أبداً فقط بأننى أتجاهل كرم أصدقائى بل سأظهر اتهامى
بنفسى أكثر . فيجب أن أنتظر لبعض الوقت .

وكان صديقائى يقولان لى دائماً :

— لا تقلق . فعندما يمسكونه سيتضح كل شىء .

ولكن حتى بعد مرور أسبوع آخر ، والمجرم ما زال فى غيبه
والسرقات متكررة كما هى . وأخيراً حتى ناكامورا وهيجوتشى فقدوا بعض
النقود وبضعة كتب .

وأذكر نظرة هيراتا التوبيخية وهو يلقي بتعليقه الساخر :

— حسن ، لقد أصابتمكما السرقة أنتما الاثنين أخيراً ؟ ولكن عندى
احساس بأن بقيتنا لن تمس

وبعد العشاء ، كان ناكامورا وهيجوتشى عادة يذهبون الى المكتبة ،
ويتركاني أنا وهيراتا نواجه بعضنا البعض . فوجدت هذا غير مريح
على الإطلاق ، لذلك بدأت بقضاء الأمسيات بعيداً عن السكن ، اما بالذهاب
الى المكتبة أيضاً ، أو التجوال . وفى احدى الليالى عدت حوالى التاسعة
والنصف من تجوالى ودخلت حجرة دراستنا والغريب أن هيراتا لم يكن
هناك ، ولا يبدو أن الآخرين قد عادوا أيضاً . فذهبت لأنظر فى حجرة
نومنا ، ولكنها كانت خاوية أيضاً ، فعدت ثانية الى حجرة الدراسة
واتجهت الى درج هيراتا . وبسرعة فتحتة وعلبت فى الخطاب المسجل
الذى جاء له من البيت منذ أيام . كان فى داخل الخطاب ثلاث حوالات
بريدية كل منها بعشرة « ينات » فنزعت واحدة منها ووضعتها فى جيبى .
وأغلقت الدرج مرة ثانية ومشيت الهوينى خارجاً الى الصالة ، ثم نزلت
الى الساحة ، عابراً ملعب التنس ، متجها الى التجويف المظلم ذى الأعشاب
حيث أدفن دائماً الأشياء التى أسرقها . ولكن فى تلك اللحظة صرخ
أحدهم :

— لص !

وانقض على من الخلف وطرحنى أرضاً بضربة على رأسى . لقد كان
هيراتا .

— هيا . اعطنا ما لديك ! دعنا نرى ما حشرته في جيبك !

فأجبت بهدوء ، مبتسما له :

— وهو كذلك ، وهو كذلك ، لا داعي أن تصيح هكذا . اعترف
أننى سرقت حوالتك البريدية . وإذا طلبتها ، فسأعيدها لك ، وإذا قلت
لى أن آتى معك فسأذهب معك الى أى مكان تقوله . وهكذا نحن متفاهمين .
أليس كذلك ؟ ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

بدا التردد على هيراتا ، ولكنه فى الحال بدأ يطر ضرباته على وجهى
بغضب . ولسبب ما لا أدركه لم يكن الألم بغضبا كلية . ولقد شعرت
فجأة بالارتياح من الحمل المرهق الذى كان على عاتقى ، وقلت :

— لا جدوى من ضربى هكذا ، وأنا ساقط فى مصيدتك من أجلك .
لقد اقترفت هذا الخطأ لأنك كنت متأكدا من نفسك . . . فكرت ،
لماذا لا أستطيع أن أسرق منه ؟ ولكنك الآن كشفتنى ، وهذا كل ما فى
الموضوع . وسنضحك فيما بعد سويا على ذلك .

وحاولت أن أصافح هيراتا بشكل طبيعى ، ولكنه قبض على من
الياقة ، وسحبنى الى حجرتنا . وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى بدا
هيراتا فيها وضيعا فى نظرى .

وأخذ هيراتا يختال فى غرفتنا . ويدفع بى أرضيا أمام ناكامورا
وهيجوتشى ، اللذين عادا من المكتبة وهو يقول :

— هاى ، أيها الزميلان ، لقد قبضت على اللص ! لا يمكنكما أن تقولاً
أنى خلعت فيه . وجاء الأولاد الآخرون ، عند سماعهم للاضطراب وأخذوا
يبحثون حول مدخل غرفتنا .

وقلت لصديقى ، وأنا ألتقط نفسى من فوق الأرض :

— هيراتا صادق ! أنا اللص

حاولت أن أتكلم بنبرة صوتى العادية ، وكأننى طبيعى ، ولكننى
تحققت من أن وجهى كان شاحبا ، وقلت لهما :

— اعتقد إنكما تكرهانى ، أو على الأقل تنجلان منى . . . كلاكما
شريف ، ولكنكما سهلا الانخداع بكل تأكيد . ألم أقل لكما الحقيقة مرات
ومرات ؟ بل وحتى قلت : « اننى لست الشخص الذى تظنونه » هيراتا

هو الثقة . انه لن ينخدع أبدا ، . . ولكنكما لم تفهما . . لقد أخبرتكما :
« حتى لو أصبحتما على وفاق مع هيراتا مرة أخرى ، فلن يصادفني إنا
أبدا ! » . بل وقلت أيضا « اننى أعرف أفضل من أى شخص كم أن
هيراتا شخص ممتاز ! » ألم يكن هذا ما قلت ؟ اننى لم أكذب عليكما ،
أليس كذلك ؟ قد تسألون لماذا لم أعلن وأقول لكما الحقيقة الكاملة . من
المحتمل انكما تظننان بأننى كنت أخدعكما . ولكن حاولا أن تنظرا
للموضوع من موقفى . . أنا آسف ، ولكن السرفة شيء لا أستطيع التحكم
فيه . ومع ذلك ، لم أحب أن أخدعكما ، لذلك قلت لكما الحقيقة بطريقة
ملتوية . لم أستطع أن أكون شريفا أكثر من ذلك . . أنها غلطتكما أنكما
لم تأخذا بتلميحاتى . ربما تظنون أنى لست الا ضالا ، ولكنى لم أكن
أكثر جدية مطلقا . وقد تسألوننى لم لا أترك السرقة اذا كنت قلقا بهذا
الشكل لأكون أميناً . لكن هذا ليس بسؤال عادل . لقد ولدت لصا ،
ولقد حاولت أن أكون مخلصا قدر ما أستطيع تحت هذه الظروف . لم
يكن هناك شيء آخر أستطيع عمله . وحتى آنئذ ، أزعجنى ضميرى . . .
ألم أطلب منكما أن أغادر السكن بدلا من هيراتا ؟ لم أكن أحاول خداعكما ،
أردت فعلا أن أفعل ذلك من أجلكما . صحيح اننى سرقت منكما ولكن
من الصحيح أيضا اننى صديقكما . أناشد صداقتكما : أريدكما أن تفهما
أن حتى اللص له أحاسيس .

وقف ناكامورا وهيجو تشى هناك فى صمت ينظران بدهشة .

— حسنا ، أرى انكما تعتقدان اننى جرى أكثر من اللازم . انكما
لا تفهما ننى . وأظن أنه لا علاج لذلك ، طالما انكما من جنس مختلف .
وابتسمت لأخفى مرارتى ، وأضفت قائلا :

— ولكن طالما أنا صديقكما ، فسأحذركما بأنها ليست المرة الأخيرة
لحدوث مثل هذا . لذلك خذا حذركما ! فقد أقمتما صداقة مع لص بسبب
سهولة انخداعكما . ومن المحتمل عندما تخرجان لمعترك الحياة أن
تصطدما بالعداء . ربما درجاتكما أفضل فى المدرسة ، ولكن هيراتا
أفضل منكما . لا يمكنكما خداعه !

وعندما أفردت له ثناء ، صعر هيراتا خده وتطلع بعيدا . فى هذه
اللحظة بدا مرتبكا بشكل غريب .

لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك . ولقد أصبحت لصا محترفا ،
وكننت دائما خلف القضبان ، ومع ذلك لا أنسى تلك الذكريات . . .

خصوصا ذكرياتي عن هيرتا . وعندما أكون على وشك اقتراح جريمة ،
أرى وجهه أمامي . أراه يختال متعاليا كما هو دائما ، يسخر مني قائلا :

— تماما كما ظننت !

أجل ، كان رجلا له شخصية واعدة . ولكن العالم مليء بالأفاز .
فالتنبؤ بأن هيجوتشي الساذج « سيصدم بالعناء » كان خطأ : فلقد شق
طريقه بنجاح ، الى حد ما ، عن طريق نفوذ أبيه وسافر للخارج ،
ونال درجة الدكتوراة . والآن يحتل منصبا كبيرا في وزارة السكة الحديد .
بينما لا يدري أحد ما قد حدث لهيرتا . فلا غرابة في أن أظن الحياة شيئا
لا يمكن التنبؤ به .

وأؤكد لقارئتي أن هذه القصة حقيقية . ولم أكتب كلمة واحدة كاذبة
هنا . وكما آملت من ناكامورا وهيجوتشي ، آمل أن تصدق أنه يمكن
لهذه الحيرة الأخلاقية الدقيقة أن توجد في قلب لص مثلي .

ولكن ربما لن تصدقني أيضا . الا اذا بالطبع (مع معذرتي لاقتراح
ذلك) حدث وانتميت الى جنسى ..



الجندي (١)

كاتاي تايا ما

★ كاتاي تايا ما (١٨٧١ - ١٩٣٠) :

اصبح تايا ما مقوما بالكتب منذ صغره ، فقرأ بنهم في
الأدب الياباني والغربي بدون دراسة أكاديمية سابقة .
وبدا بكتابة عدد من الروايات وفشلت ، ولكنه شق طريقه ،
وبزغ نجمه بعد الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤ - ١٩٠٥)
التي خلم فيها كمراسل صحفي . وخرج من تجاربه فيها
بكتابة أعظم أعماله الأدبية بالطريقة المتسمة بالذهب الطبيعي التي
كانت شائعة في ذلك الوقت ، مع تأكيد على الصراحة والتفصيل
الدقيق . وظهرت قصة « الجندي » في عام ١٩٠٨ ، وهي نمط لأفضل
أعماله . وأهم ما يميزها موقفها المعادي للحرب في وقت ازدهار
سياسة التوسع الإقليمي باليابان .



وعاد للمشي ثانية .

كانت البندقية ثقيلة ، وكان الحمل ثقيلًا ، كذلك كانت ساقاه
ثقيلتين . . . وكانت زمزميته الألمنيوم تتخبط في « سونكي » بندقيته في
جلبة . وكان الصوت يصر في أعصابه المتوترة بشكل فظيع ، وحاول
أن يسكتها بطريقة وأخرى وثالثة ، ولكن القرقة استمرت على ما هي
عليه . واستسلم .

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ج . و . سارجنت .

لم يكن الاعياء قد ذهب عنه في الحقيقة ، وكان يتنفس بصعوبة .
ومرت عبر هيكله نوبات قشعريرة وتقلصات سخونة وبرودة ثلجية
بدون توقف . واشتعل رأسه كالنار ، ونبض صدغاه . ما الذي جعله
يغادر المستشفى ، انه يتعجب ؟ لماذا . . عندما طلب منه الطبيب
العسكري أن يبقى . . لماذا أذن غادر المستشفى ؟ سأل السؤال ، ولكنه
لم يشعر بأي ندم على قراره . كان هناك خمسة عشر منهم ، كانوا
مرضى . وجرحى . راقدين على ألواح خشبية جرداء في غرفة صغيرة ،
في جزء من منزل متهدم تركه العدو المتقهقر . لقد تحمل ولادة عشرين
يوما . . العفن والقذارة . والأنين ، وضيق المكان القابض للصدر ،
وأسراب الذباب المرعبة . وبالنسبة للطعام ، كان عندهم عصيدة نخالة
الأرز مع مجرد ذرة ملح . ولقد عرف قرصات الجوع . وشعر الآن
بالغثيان وهو يسترجع ذكرى المرحاض الذي كان يقف في مؤخرة
المستشفى كانت الجور ضحلة ، ومحفورة في عجلة ، فتوسع النتانة
عينيك وأنفك بشكل جبرى . . ويحوم الذباب حولك ، ذباب قذر
وأسود كالبحر .

كان أى شيء أفضل من ذلك . . وهنا في هذا السهل العريض
المكشوف ملاذ أفضل . . كانت سهول مانشوريا فسيحة قاحلة الا من
حقول قصب السكر الطويل اليناع . ولكن الهواء كان نقياً ونظيفاً .
توجد شمس تشرق ، توجد سحب ، توجد جبال . . وفجأة سمع
جلبة صاخبة ، فتوقف والتفت في اتجاهها . كان نفس القطار الذي قد
شاهده من قبل ، لا يزال في مساره . ومئات من الحمالين الصينيين
يحتشدون حول الوحش المسخ الطويل الذي بلا غلاية وبلا مدخنة ،
يتدافعون بجنون مثل النمل العائد الى عشه بفريسة عملاقة ، وأشعة
شمس المساء المائلة عبر المنظر تعطيه وضوحاً مصطنعاً .

وكان ضابط الصف الذي لاحظته من قبل ما زال راكبا القطار .
ها هو ، الذي يقف بمفرده فوق عربة الشحن مع أعلى حمل لأجولة الأرز
فصاح فيه قائلاً :

— اننى مريض . لا أستطيع المشى . هل تسمح لى بالركوب حتى
أنشان ؟

كان الزميل يضحك عليه وهو يقول له :

— ان هذا ليس قطارا للجنود . ليس عندى أية تعليمات تقول
بوجوب ركوب المشاة فوق القطارات .

— اننى مريض • ألا ترى أننى مريض ؟ انه البرى برى (٢) •
إذا استطعت الوصول الى أنشان فستكون وحدتى هناك ، أنا متأكد •
والجنود يجب أن يساعدوا بعضهم بعضا ، أنت تعلم • خذنى معك ،
أرجوك !

وأخذ يتوسل اليه ، ولكن الزميل لم يكن ينصت • كان يسخر
فقط :

— ما زلت جنديا نفرا ، ايه ؟ حان الوقت لتحصيل لنفسك على
بعض الشرائط ! ان الذين فازوا فى معركتى تشن تشو ، وتيلي سو ،
هم الجنود •• أليس كذلك ؟ يا أحمق ! يا بهيم !

وفجأة مر أمام عيني رأسه قطار مختلف •• القطار الذى سافر
فيه للحرب (٣) من الثكنات فى تويوهاشى • وكانت المحطة كتلة من
الأعلام • وعادت الهمتافات تعلو — بانزاي ! بانزاي (٤) ! وبدون انذار
سابق ، وجد نفسه يحملق فى وجه زوجته • لم يكن الوجه المخضب
بالدموع الذى ودعه عند البوابة ، لكنه الوجه الجميل المبتسم منذ لحظات
•• انه لا يذكر الوقت ولا المكان بالضبط •• عندما قد جال فى جماله
الحبيب بكل قلبه • والآن كانت أمه تهزه من كتفه • كانت تقول انه
وقت الاستيقاظ • فقد يتأخر عن المدرسة • وانزلق خاطره بطريقة
ما عائدا الى أيام مدرسته • والآن تلمع شمس المساء على صيلة قبطان
المركب فى الخليج خلف منزله • كان القبطان يوبخ مجموعة من الأطفال ،
وكان هو أحد هؤلاء الأطفال •

كانت هذه الظلال القادمة من الماضى والحقائق المؤلة التعسة
للحاضر متباينة الاختلاف بشكل واضح ولكن لا يفصلهما الا عرض
شعرة • وكانت البندقية ثقيلة ، والحمل ثقيلًا وساقاه ثقيلتين • وربما
كان من وسطه الى أسفل رجلا آخر ، ولا يكاد يعرف ان كان هو الذى
يمشى أم شخص آخر • وكان يمتد أمامه على مدى البصر الطريق البنى

(٢) مرض منتشر فى دول آسيا يسببه نقص فيتامين ب ومن أعراضه الهزال الشديد
والاسهال والقىء •

(٣) الحرب اليابانية الروسية عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ •

(٤) متاف يابانى وطنى •

بسطحه الطيني الجاف الذي حفرت فيه بعمق وبغثرته الأحذية الثقيلة والصنادل القش وعجلات جرارات المدافع التي غاصت فيه في يوم ما .
كان يكن حبا قليلا نحو طرق مانشوريا هذه . ما هي المسافة التي يجب أن يسيرها قبل أن ينتهى هذا الطريق ؟ وإلى متى يحتاج السير فيه ؟ أين الطرق الممهدة بالحصى الصغير في الحي الذي فيه بيته ؟ والطرق الرملية الممتدة على طول شاطئ البحر . مبتلة بعد المطر . . كم هو مشتاق لهذه المسطحات الناعمة السارة .

ان هذا طريق رئيسي كبير عريض ولكن لا ترى فيه قطعة ممهدة ناعمة . وبعد مطر يوم واحد يصبح في لزوجة جص الحائط المبتل فتغوص فيه بحذائك حتى ساقيك إلى منتصفهما . لقد سار مجهدا في الظلام في الليلة السابقة للمعركة في تا - شيه - تشاو عبر عشرة أميال من المستنقعات الموحلة . فتجمعت لطخ منها واتخذت أشكالا متراصة على ظهر قميصه بل حتى على الشعر الذي ينبت خلف رأسه . كان ذلك في الوقت الذي بدأ فيه الجنود في حمل عربات المدافع . لقد غاصت العربات في الوحل ولا تريد أن تتزحزح بوصة واحدة ، وأخذوا يدفعون ويدفعون ليعيدوا العربات للتحرك مرة أخرى . وإذا فشلت الفرقة الثالثة للمدفعية في التحرك واتخاذ مواقعها فلن يكون هناك هجوم .
وبعد عمل استغرق طوال الليل هناك نمت المعركة بعدها في اليوم التالي حيث أطلقت سيول لا متناهية من القنابل ، لهم وللععدو مرت من فوق الرؤوس باندفاع منتحب مقرف . وشمس منتصف النهار الحارة تشييط هابطة مباشرة من أعلى . وأصبحوا على نحو متلاحم مع مدفعية العدو بعد الساعة الرابعة . وكانت هناك فرقة نيران البنادق الحادة مثل فرقة فشار الذرة في المقلاة . وكانت من حين لآخر تندفع إحدى الظلقات محدثة أزيزا ملاصقا لأذنه . ولقد لهث شخص في خط القتال القريب ، فالتفت من حوله مذعورا ، فرأى الجندي يتقلب ناحية الأمام والدم يسيل ببطء من جرح رصاصة في معدته ، كان دما أحمر لامعا في شمس المساء الدافئة . . لقد كان ذلك الجندي من النوع الطيب : كان مبتهجا ، لا يشرب الخمر ، ويندمج في أية جماعة بسرعة . وبعد الانزال خرجا سويا في مهام جمع المؤن ، ولقد اقتادوا الخنازير سويا . ولكن ذلك الرجل قد ولى من عالم الأحياء . كان من المستحيل التفكير في ذلك لكن من المستحيل انكاره .

وعلى طول الطريق البني الذي كان يسير فيه جاء رتل من العربات المحملة بامدادات الجيش . كان بعضها يجره الحمير ، والبعض الآخر يجره البغال ، وأنصت إلى الصيحات الحادة للسائقين الصينيين - واهواء

وأهوا ، هوى !! .. والى فرقعات السياط الطويلة وهى تومض فى شمس
المساء . وكان الطريق مليئا بالمطبات، انعميقة حتى كانت العربات تتحرك
فى سلسلة من الترنحات غير المريحة . منل المراكب عندما تتحطم وسط
الأمواج . لقد شعر بالضعف . وكان تنفسه صعبا كما هو دائما . ولم
يعد يستطيع المواصلة على هذه الشاكلة . فبدأ يجرى خلف العربات
ليطلب توصيله .

وعادت « الزمزية » الى القعقة كلانج .. كلانج !! وكانت تصر
بشكل مزعج . وكانت النفائات فى حمله الذى على ظهره وجيوب الذخيرة
التي تطوق خصره تصلصل فى ضجة الى أعلى والى أسفل . ويضرب
أحيانا كعب بندقيته فى فخذه فيكاد يشب من الألم .

— هيه ! هيه !

لا يستطيعون سماعه .

— هيه ! هيه !

وضع كل قوة بدنه فى صياحه ، لقد سمعوا ، بالطبع ، ولكن لم
يلتفت أحد منهم . لابد أنهم على يقين من أنهم لن يحصلوا على نقود
مقابل التفاتهم . وكان يبطئ من خطواته من لحظة الى أخرى .. وأخذ
يركض ثانية من خلفهم ، الى أن اقترب هذه المرة من آخر عربة فى
الصف .

كان حمل بالات القطن يطل من فوقه كالجبل . ورأى الرجل
الصينى يلقي نظرة عاجلة خلفه . كان وجهه سميئا كريها — ولكنه
لم يعط الرجل فرصة أن يقول نعم أو يقول لا .. وقفز فوق العربة
ولهث فى ألم محاولا التنفس ، وثبت نفسه بين الأجولة . وحث الرجل
الصينى بغاله ، مروضاً نفسه لمعانة هذا المتطفل ، والعربة ترتطم وتتمايل
فى طريقها .

وكان فى رأسه دوار .. وبدأت السماء والأرض تدوران من حوله
.. وكان صدره يوجعه وجبهته تنبض . انه سيصاب بالغثيان . وهاجمه
احساس بالتعب وتوجس بالشر فى كل ركن من كيانه باصرار مخيف .
وفى نفس الوقت عندما بدأ الترنج ثانية أخذت تهمس جميع أنواع
الأصوات داخل رأسه ، وتقرب من حول أذنيه .. لقد خاض نوبات
مشابهة من قبل ، ولكن لم تكن احداها بهذا القدر من السوء ..

لا بد أنهم قد تركوا السهل المفتوح ودخلوا قرية ، فتموجت
صفصافة خضراء بظليها الكثيف من فوقه . وكانت أشعة شمس المساء
تخترق الخضرة وتغشى عن كل ورقة شجر دقيقة بكل وضوح . ورأى
أسطحا منخفضة قبيحة كانت تبدو مرتعشة ، وهم يمرون ، وكان زلزالا
عنيفا يهزها . وفجأة أدرك أن العربة قد توقفت .

كانوا فى طريق تظللهم أشجار الصفصاف . لقد أحصى خمس
عربات تقف الواحدة تلو الأخرى .

وأمسك به أحدهم من كتفه . . . وكان عريفا يابانيا :

— أنت هنا ، ماذا تفعل فوق العربة ؟

ورفع بصعوبة بدنه المروع . .

— ماذا تفعل بركوبك هذه العربة ؟

كانت مشكلة كبيرة ليقوم بشرح ظروفه . بل لقد فقد الرغبة فى
أن يتكلم .

— لا يمكنك أن تتركب هنا . وحتى لو كان ذلك مسموحا ، فالحمل
من قبل ثقيل . انك من الفرقة الثامنة عشرة ، أليس كذلك ؟
فأوما بالموافقة .

— ما هى الحكاية ؟

— لقد كنت بالمستشفى حتى أمس .

— هل أنت أفضل الآن ؟

فأوما ثانية ، ولكن بلا معنى محدد .

— انه لحظ عاثر أن تكون مريضا ، ولكن عليك أن تنزل من هذه
العربة . اننا فى عجلة من أمرنا . فالقتال سيبدأ فى ليوانج (٥) .

— ليوانج !

كانت هذه الكلمة الوحيدة كافية لاثارة أعصابه الى أقصى حد ،
وأضاف قائلا :

(٥) سميت معركة ليوانج على اسم مدينة فى شمال شرق الصين وهى المعركة التى
دامت تسعة أيام وانتصرت فيها القوات اليابانية . انتصارا هاما .

— هل بدأت بالفعل ؟

— ألا تسمع هذه المدافع ؟

لقد خيل له في وقت مضى بأن ضجة مدممة قد بدأت من وراء الأفق ، ولكنه قال لنفسه لا يمكن أن تكون معركة لياوانج قد بدأت بعد !

— هل سقطت أنشان ؟

— لقد أخذناها أول أمس . يبدو كأنهم سيضعون بعض المقاومة في هذا الجانب من لياوانج . لقد بدأت المعركة ، كما يقولون ، في السادسة مساء .

أجل ، كان هناك قصف خافت بعيد ، وإذا أنصت جيدا . فلن نخطئ ذلك . انها المدافع . وتحركت الضوضاء القديمة الكريهة عبر الهواء من فوق رأسه . وكانت المدفعية تهاجم وتشق طريقا ملتويا وسط خضم المعركة . وكانت الدماء تسيل . وأثناء وميض الأفكار عبر ذهنه خبر خليطا غريبا من الذعر والانجذاب . كان زملاؤه في تلك المعركة ، وكانوا يريقون دماءهم من أجل الامبراطورية اليابانية .

لقد تصور رعب ميدان القتال ومناظر الانتصار . وهنا ، على بعد عشرين ميلا ، هنا فوق سهل مانشوريا كان كل شيء في سلام ، لا يوجد غير نسمة خريف حزينة تهب من تحت شمس المساء . لقد كنست جيوش ساحقة هذه القرى تماما ، ولكن السلام فيها الآن لا يوحى مطلقا انها قد أزعجت في يوم ما .

— ستكون معركة كبيرة ، على ما أعتقد ؟

— بالتأكيد

— انها لن تنتهى في يوم .

— بالطبع لا .

كان العريف يتكلم معه في لهفة جندي لجندي ، بينما تطن في آذانها طلقات المدافع البعيدة . وكان سائقو العربات الخمس قد تركوها بأحمالها الثقيلة وجلسوا القرفصاء في دائرة مع العمال والحمالين الصينيين يثرثرون بصوت مرتفع . وأضأت اشعة شمس المساء آذان الحمير الطويلة وكان الهواء يتمزق من حين لآخر بالهيق الحاد . وهناك بين شجر الصفصاف تقف خمسة أو ستة منازل ريفية صينية بيضاء

الجدران ، واستطاع أن يرى فى حدائقها أشجار الباجودا الطويلة .
وهناك أيضا آبار وحظائر . ورأى امرأة عجوزا مربوطة القدمين تسير
بكد فى خطوات قصيرة خاطفة . وكان ذلك السهل الفسيح الخاوى يظهر
فى الخلف عبر الأوراق الخضراء لأشجار الصفصاف .

كان العريف يشير الى سلسلة من التلال البنية التى يربض من
خلفها جبل عال أرجوانى اللون . كان ذلك حيث تدوى طلقات المدافع .
تحركت العربات الخمس .

وتخلف هو ، وظل وحيدا مرة أخرى ، بعد أن قالوا أن مستودع
موين الجيش التالى فى هسين - تاي - تزو . وذلك يعنى ثلاثة أميال
أخرى ، ولكن ليس هناك مكان آخر يبيت فيه الليل الا اذا وصل
هناك .

وعزم على الاستمرار فى السير ، وبدأ بالفعل ثانية .

وتحرك بصعوبة بالغه ، لانه كان متعبا الى حد بعيد ، ومع ذلك
كان المشى راحة بعد تلك العربة . لم يتحسن الألم فى معدته ، ولكن
لا معنى للقلق بخصوص ذلك الآن .

وعاد مرة أخرى الى الطريق البنى الممتد على مدى البصر ، ونفس
حقول قصب السكر التى تمتد على الجانبين ، ونفس أشعة شمس المساء .
وحتى نفس القطار كان مارا على قضبانه . . كان راجعا فى هذه المرة
بسرعته البطيئة . ان قطارا مثله لا يمكن أن يسير بسرعة ، ومراقبته
لعربات التى كانت تومض من بين الفتحات التى تفصلها جعلته يصاب
بدوار . وكان العلم اليابانى يرفرف على آخر عربة ، وأخذ يختفى ثم
يظهر مائة مرة بين حقول القصب . وعندما اختفى لآخر مرة ، لم يترك
سوى ضجيجيه مختلطا بالدمدمة العنيدة لطلقات المدافع البعيدة . .

لم تكن هناك أية قرية تبدو على الطريق وعلى طول مرمى البصر . .
ولكن فى جهة الغرب كان يمكن أن تميز أشكال بنية وبيضاء لأكواخ
متناثرة بين مجموعات مكفهرة من أشجار الصفصاف . ولم تكن هناك
أية علامة على وجود سكان ، ولكن من الأكواخ كانت ترتفع خيوط رفيعة
من الدخان المزرق ، موحشة وكثيبة .

ووصلت ظلال المساء الى أطوالها العظيمة . فجعلت تلك التى
تنحصر أعواد القصب الطويلة عرض الطريق كله معتما ، بل وبدأت
تتسلق بالفعل أعواد القصب المقابلة على الجانب الآخر . . حتى ظلال

الاعشاب الصغيرة على جانب الطريق كانت تمتد الى ابعاد هائلة . وكان مناقضا لذلك تلك التلال الواقعة فى الشرق فهى مضيئة الآن بشكل حاد ، حتى أنها كانت تبدو طافية فى الهواء . ومع قوة الظلال التى تفوق العواصف جاءت وحشة المساء ضاغطة من فوقه .

ووصل الى ثغرة بين أعواد القصب . فرأى فجأة ظله أمامه طويلا بشكل مذهل . وكانت البندقية على كتفه تتحرك عبر العشب الى مسافة بعيدة فى الحقول . فلطمه ذلك باحساس عزلته .

وكانت الحشرات تغنى فى العشب . ومن الغريب أن صراخها كان لا يشبه تلك التى كان ينصت لها فى الحقول الواقعة حول بيته . فبعثت هذه الغرابة التى يضاعفها اتساع السهل بطعنة من الألم عبر بدنه . وفجأة جاء فيض الذكريات الذى توقف لما يزيد عن ساعة يفيض مرة أخرى .

ومر أمامه وجه أمه . وزوجته . وأخيه . ووجوه النساء اللاتى عرفهن فى تلاحق سريع وكأنها صور على فانوس ورق دوار فى منزله القديم فى القرية . . والأمن الدافئ لحياته بالبيت . وصورة طافية له - كان يبدو فيها صغيرا جدا - وهو متجه الى طوكيو سعيا وراء رزقه .

طوكيو . . انه رأى الشوارع الحية فى الليل ، محلات الزهور ، أكشاك المجلات ، صفوف الكتب التى نشرت حديثا ، وعلى الناصية مسارح الفودفيل المزدهمة ومنازل الاستقبال المعروفة : لقد سمع مداعبة أوتار آلات الساميسن (٦) ، وضحكات النساء المغتصبة . كانت تلك أياما جميلة . كانت الفتاة التى يفضلها موجودة فى منزل فى ناكا - تشو ولقد ذهب الى هناك كثيرا . كان لها وجه مستدير فاتن ، وحتى الآن يتذكرها فى حب وشغف . . ولم يعرف مطلقا قلة المال حيث كان الابن الأكبر لأسرة ريفية موسرة ، وكانت الحياة سلسلة من الأحداث السارة . لقد انطلق أصدقاء تلك الأيام فى العالم . ولقد صادف أحدهم من فترة قريبة ، نقيباً فى الجيش بالفرقة السادسة ، ويرى فى نفسه شخصية هامة .

وأخذ يفكر بأنه لا يوجد أقسى من حياة الانضباط الضيقة للعسكرية . والغريب بما فيه الكفاية ، أن الفكرة اليوم لا تثير فيه أية روح عادية للعصيان ، ولا حتى احساسا بالاستشهاد . لقد سيطر عليه الخوف . عندما خرج للقتال وهب نفسه قلبا وقالبا لخدمة وطنه

. (٦) آلة موسيقية تشبه الجيتار .

وامبراطوره . لقد ألقى خطبة جميلة عن الموضوع في مدرسته القديمة
بالقرية . ولقد قال :

— ليست لدى أى رغبة فى العودة حيا .

كان فى قمة حماسه وعنفوانه ، فى ذلك الوقت . لقد ألقى تلك
الخطبة . لكن ، بالطبع ، لم يتوقع مطلقا أن يموت . فلم يكن هناك
أكثر من أحلام النصر والمجد . والآن . ولأول مرة ، يمر بكآبة الموت .
لقد شعر بالفعل بأنه من الممكن ألا يعود حيا ، وملأته الفكرة بالذعر .
وكان هناك هذا الاعياء ، وهذا البرى برى . . . وحتى لو شفى ، فالحرب
نفسها ما هى الا سجن فسيح ، وليس هناك مقر مهما قاوم وتاق
للحرية . واستعاد بعض الكلمات التى كان قد قالها زميله الذى قد
قُتل :

— لا يوجد مقر من هذه الحفرة . علينا أن نستعد للموت وعلينا
أن نواجهه بصدر رحب .

وكيف يستطيع وهو — فريسة التعب ، والمرض ، والخوف — أن
يتوقع الهروب من هذا الجحيم المرعب ؟ الفرار ؟ قد يحاول حتى ذلك ،
لو كان فيه أية فائدة . والعار الذى يلحق باسمه ولا يموت قد يكون
سيئا بما فيه الكفاية بالطبع ، ولكن ما هى توقعاته اذا استمر فى
المقاومة ؟ يجب أن يصبح رجل ميادين قتال . ويجب على رجل
ميادين القتال أن يروض نفسه على الإبادة . ولأول مرة يتعجب من
غيابته لمفادرتة المستشفى . فلقد كان من السهل أن يجعل من نفسه
غير صالح للخدمة ليبعثوا به فى المؤخرة .

لقد أصبح هذا متأخرا الآن ، لقد وقع فى المصيدة ، ولم يعد
هناك طريق للهروب . وداهم كل كيانه يأس سلبى يضغط عليه بقوة
لا تقاوم . والارادة فى المسير قد ولت ، وفاضت الدموع بشكل
لا ارادى . اذا كانت توجد أية آلهة فى هذه الدنيا ، فلتنقذنى ،
انقذونى ! بينوا لى أين المفر ؟ سوف أتحمل كل محاكمة بعد ذلك فى
صبر ! سوف أفعل الكثير من الأعمال الخيرة ! واذا وعدتكم بأى شئ .
فلن أحث فيه !

ورفع بصوته عاليا ، صائحا ومنتحبا .

وجاش صدره ، وأخذ يصرخ مثل الطفل الرضيع ، وانهمرت
الدموع على خديه . وكانت تعذبه فكرة أن جسده قد يهلك . وكانت .

قد توهجت في صدره ، حتى هذه اللحظة انفعالات وطنية • وعلى ظهر سفينة النقل اشتعل خياله بنظريات الموت البطولي ، وهو ينضم الى الآخرين في أغنيات عسكرية • ولقد فكر اذا ظهرت بارجة للعدو لأغرقها بطلقة •• واذا كتب عليه أن يكون جثة طافية بين الأعشاب في قاع البحر ، فسيكون فخورا أن يموت بهذه الطريقة • وفي معركة تشين تشاو ، صمد وسار قدما ببسالة وسط الجلبة المميتة للمدافع الرشاشة • وبرغم مرور بعض الأوقات عليه عندما كان متزعجا من نزف الدم • ومعاناة زملائه • الا أنه شعر بأن كل ذلك من أجل الأرض الأم ومن أجل الشرف • ولكن دم زملائه ليس دمه • وكان أبسل الجنود يهرب هلعا عندما يواجه موته هو وجها لوجه •

كانت ساقاه ثقيلتين ومرهقتين • لقد شعر بالاعياء ، فرحلته ذات الثلاثين ميلا والتي استغرقت يومين في الطريق ، ليلة باردة بمرارة في العراء ، قد لعبت بالتأكد دورا في دمار نظامه المضطرب من قبل •• لقد ذهبت الدوسنتاريا ، ولكن البري بري ازدادت حدته • ويعرف ما قد يعنى ذلك •• شلل في القلب • وارتجف من الفكرة • الا توجد طريقة للهرب على الإطلاق ؟ وبكى بصوت عال وهو يسير ، وأعصابه مشدودة عن آخرها ، وجسده ينتفض ، وساقاه تتألمان من التشنج •

كان السهل يمتد في سلام • والآن حيث كانت الشمس الضخمة الحمراء على وشك الغرق فيما وراء الأفق ، فقد صبغت نصف السماء ذهبيا • والنصف الآخر أزرق غامقا عميقا • وكانت نتفة من السحاب كطائر جناحاه مكللتان بالذهب ، يطير منطلقا عبر السماء • وتندمج ظلال القصب مع الظل العام ، وتهب ريح الخريف عبر السهل الفسيح • ومنذ دقائق قليلة كان قصف المدافع في لياويانج مجلجلا بشكل ثابت وواضح ، ولكنه الآن قد تضائل بالتدرج الى مسكون •

كان يركض من خلفه جنديان •

واستمرا لعدة ياردات بعد ما اجتازاه ، ثم التفت أحدهما خلفه • فلملم عواطفه وتماسك • كان خجلا أن يراه أجسد هكذا وهو يبكي بصوت مرتفع •

— هاي ! ما هي المشكلة ؟

— البري بري بري

- يا له من حظ عاثر ، هل الحالة سيئة ؟
- انه قطيع الألم .
- انك في مازق . اذا وصل البرى برى الى قلبك فلا وقت .
- للمزاح . الى أين أنت ذاهب ؟
- ان وحدتى خلف أنشان . على ما أظن .
- لا يمكنك وصولها اليوم .
- لا أعتقد .
- تعال معنا حتى حسين - تاي - تزو . سنحضر طبيبا ليفحصك .
- أمي مسافة طويلة ؟
- ها هي هناك . هل ترى ذلك التل ؟ يوجد على هذا الجانب .
- السكة الحديد . وحيث ترى العلم مرفرفا ، فذلك هو مستودع حسين - تاي - تزو .
- انتعشت همته . وسار وراءهما . وكانا يأسفان لحاله ، فحملا عنه بندقيته وحقيبته . وأثناء سيرهما أمامه تكلما عن يوم القتال فى لياويانج .
- تحركت أعداد كثيرة من جنود الاحتياط ، أليس كذلك ؟
- ان عددنا قليل على الهجوم . لقد قيل لى ان مواقع العدو قوية جدا .
- هل تعتقد أننا سنكسب .
- سنأكلها اذا خسرنا .
- لو أننا تمكنا من اختراق مؤخرتهم مرة واحدة .
- من المحتمل أن نفعلها هذه المرة ، وسترى .
- وأنصت عن قصد لما قالاه . وانفتحت المدافع ثانية من بعيد ..
- كان مستودع التموين فى حسين - تاي - تزو منظرا مروعا للنشاط والفوضى . ولقد وصل فوج من الاحتياط ، وكانت أكاداس المؤن مرصوفة فى صفوف فى ظل البنايات فوق السكة الحديد وعلى طول جانبها : ملابس الجنود وبنادق وسيوف . وتحيط بالقضبان الحديدية خمس ثكنات كان يحتلها حرس سكة حديد العدو . ويرفرف

الآن علم فوق المبنى الذى يستخدم حاليا كمقر رئيسى للمستودع التموين . وكانت القوضى هناك على أشدها . فالجنود يتجمعون فى الخارج فى حشد عجاج ، وضباط مسرعون يدخلون ويخرجون فى تعاقب لا نهائى وسيوفهم معنقة بجانبهم . وكانت انيران دوقدة تحت ثلاث أوان كبار لطبخ الأرز للمستودع . وتتضاقر سحب من الدخان المتصاعد الى أعلى نحو سماء المساء . وكان الأرز فى أحداها قد تم نضجه ، والعريف المسئول كان يصدر أوامره لمساعديه ويشرف على التوزيع السريع لجرايات الجنود المتجمعين . . ولما كانت هذه الأوانى الثلاث غير كافية بشكل واضح للوفاء بمطالب الفوج كله ، لذا حصلت الأغلبية على جراية من الأرز بقشره فى علب الجراية الخاصة بهم وانتشروا فى أماكن مختلفة من الحقل لاعداد عشائهم بأنفسهم . وصعدت فى الحال من المنطقة المجاورة السنة لهب مئات من حرائق قصب السكر فى جهات متعددة .

وبالقرب من مباني الثكنات كان الرجال يهبون للعمل طول الليل فى تحميل صناديق الذخيرة فوق قطارات الشحن المتجهة الى الجبهة . وكان رجال المشاة وقوات السكة الحديد يتحركون ذهابا وإيابا بين عربات الشحن فى نشاط محموم لا يتوقف . وكان يوجه تحركاتهم جندي صف ضابط بمفرده ، مصدرا كلمات أمرة سريعة من فوق قمة حمل إحدى العربات .

وانتهى اليوم ، ولكن الحرب استمرت . فواصلت أصوات المدافع عنادها فى مثابرة من خلف جبل أنشان المظلم الذى كان يبدو على شكل مرج الحصان .

والآن ، وبعد أن وصل ، بدأ يستفسر عن الطبيب هنا . ولكن كان هناك شيء متناقض وغير لائق فى السؤال عن طبيب هنا . لم يكن هذا وقت ولا مكان أحد من الناس ليقب ويهتم بحياة أو موت جندي واحد فقط .

تمكن ، والفضل لجهود صديقيه من الحصول على جراية صغيرة من الأرز المسلوق . وكان هذا كل شيء . اننا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك الآن . فلننتظر بعض الشيء . عندما يتحرك هذا الفوج سنجد الطبيب ونحضره لك . خذ الأمور ببساطة واسترح . إذا مشيت فى خط مستقيم على طول الطريق من هنا ، سترى منزلا كبيرا بعد ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة على الأكثر . سوف تتعرف عليه بدون أى

تعَب .. يوجد هناك فى المدخل كشك لبيع الساكى . اذهب داخله
وتخذ لك قسطا من النوم .. كان ذلك كل ما استطاعوا أن يقترحوه .

كان فى اعياء حتى الموت من المشى . واستعاد بندقيته وحمله .
ولكنه عندما وضعهما على كتفيه كاد أن ينهار تحت وزنهما . ولكن
من المستحيل الاستسلام هنا . اذا كان سيموت فيجب أن يموت فى
خلوة . أجل . خلوة .. أى مكان يصلح . كان يتوق الى دخول أى
مكان هادئ ويناام ، ويرتاح .

امند الطريق المظلم أمامه . وكان يمر على مجموعات من الجنود
هنا وهناك . فعاد ذهنه فجأة الى الثكنات فى تويوهاشى . كان قد
نسلل منها الى « بار » هادئ وشرب بكثرة . وفى حالة سكره ضرب
رقيباً . فأعطوه نوبة حجز عقاباً ... ان هذا طريق طويل بالفعل .
وليس هناك أية اشارة لأى شئ يشبه المنزل الذى وصفوه . لقد
قالا ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة . لابد أنه قطع ألف ياردة الآن . ربما
يكون قد اجتازه ، فاستدار والتفت خلفه - استطاع أن يرى توهج
المصابيح ونيران الحراسة فى مستودع التموين ، ومجموعات من الجنود
تتحرك فى العتمة على غير هدى ، وكأنهم قد ضيعوا طريقهم . ووصل
اليه صياح الرجال العاملين فى قطارات الذخيرة عبر هواء الليل فى
وضوح مذهل .

هذا مكان منعزل هنا . لا أحد على الاطلاق . وشعر فجأة باعياء
رهيب . وفكر حتى اذا لم يكن هناك منزل لاختفاء نفسه فيه ، فان
هذا المكان يصلح أن يموت فيه ، وغاص الى الأرض منهوك القوى . ومن
الغربة بمكان أنه لم يعد يشعر بأنه منبوذ وبائس كما كان يشعر
من قبل . ولم تخطر بذهنه أية ذكريات من الماضى . وأشرق ضوء
النجوم الذى يومض بوهن داخل عينيه ، ورفع رأسه ونظر من حوله
بشكل عادى .

لقد أدهشه أن يرى بالقرب منه ، رغم أنه لم يلاحظه حتى الآن،
منزلاً منعزلاً على النمط الغربى . وبداخله مصباح مشتعل ، واستطاع
أن يرى مصباحاً من ورق أحمر مستدير معلقاً بالمدخل . وسمع أصواتاً .

وبكل تأكيد كان بالمدخل شئ لابد أن يكون مكاناً لبيع الساكى .
كان من الصعب التأكد من ذلك فى العتمة ، ولكن فى أحد الأركان كان
هناك شئ مثل الموقد ، مع جمرات جمرات تحته . وتتضافر سحابة

دخان الى أعلى مغلقة المصباح بغلالة رقيقة . استطاع أن يقرأ الكتابة
التى على المصباح : « شورية فاصوليا حلوه : ٥ سن (٧) » .

وتحرك الى الأمام ليرى بشكل أفضل . واستطاع فى ظلام أحد
جوانب المدخل أن يتحسس درجة واحدة من سلم حجرى ، وقال فى
نفسه ، هذا هو المكان .

وكان أول رد فعل له ، عندما تحقق الآن أنه يمكنه أن يرتاح ،
هو شعوره بقناعة تجل عن الوصف . وصعد فى خلسة وسكون درجة
السلم الحجرية .

لم يكن متأكدا ، ولكن يبدو أنه دخل فى ممر . اذ كان المكان
معتما . ودفع ما خيل له الباب الأول ، ولكنه لم يفتح . وكان هناك
باب آخر بعد خطوتين أو ثلاث فدفعه . ولكنه لم يفتح أيضا .

فسار مسافة أخرى للداخل .

فوصل الممر الى انتهاء . ولم تعد هنا أية استدارة . وفى
حيرته ماذا يفعل بعد ذلك ضغط على الحائط الذى على يمينه ، فأكسر
الظلام فجأة . وارتد باب الى الخلف . ولم يستطع رؤية أى شىء بداخل
الغرفة ، ولكن كانت النجوم تنعكس عليه ، وعرف بأن نافذة من الزجاج
كانت أمامه .

وانزل بندقيته وخلع حملة ، وانهار فجأة بكل كيانه على الأرض
وسحب نفسا عميقا كادحا . لقد وصل الى حى سلامه .

وتحت شعور الرضا كان هناك ضيق جديد يتقدم ليهيمن عليه .
شىء مماثل للتعب ، للاستنزاف الدهنى ، واليأس ضاغط بثقله على كل
كيانه مثل مثقال من رصاص . وانهمرت عليه الذكريات فى شظايا
غير مترابطة ، تومض أحيانا بسرعة البرق ، وتبطل أحيانا زافرة فى
وعيه بالحاح مضجر كأنفاس عجل .

كانت هناك آلام نابضة فى عضلات ساقيه مثل التقلصات ،
فتلوى على الأرض . كان بدنه يقترب من الحد الأقصى لتحمله .

وغمره الألم كمد البحر ، واحتدم فى ضراوة الريح العاتية ، ورفج
ساقيه وضبطهما على الألواح الخشبية الجامدة ، ودحرج جسده الى هذا

(٧) عمله يابانية ضئيلة القيمة .

الجانب والى ذاك الجانب . وصرخ عاليا دون أن يفكر أو يعرف ماذا قال :

— هذا الألم ... !

وفى الواقع لم يكن الألم غير محتمل . كان قاسيا ، ولكنسه قال لنفسه بصفة مستمرة انه يجب أن يدخر قوته من أجل الألم الشديد التالى ، وهذا ساعده ، ولو قليلا ، فى تخفيف معاناة اللحظة .

لم يكن يفكر كثيرا كم هو حزين أن يموت ، بل كيف يقهر الألم . فكان اليأس الذى استحوذ عليه ضعيفا ممزقا فاترا لا يقارن أمام هذه الإرادة الايجابية للمقاومة التى انبثقت من ايمانه الراسخ كإنسان له الحق فى أن يحيا .

كان فوق ادراكه معرفة كم مضى من الوقت . تمنى أن يأتى الطبيب ، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت ليفكر فيه على مهل . وانتابته آلام جديدة .

كانت تحت الأرضية الحشب تغنى حشرة صرار الليل . فقال لنفسه حتى ولو كان يصارع الألم فإن صرار الليل يغنى . وغاصت نغمة الحزن الرتيبة للحشرة فى أعماقه .

وعاد التقلص ، فتلوى على الألواح وصرخ الكلمات بأعلى نبرة من صوته :

— هذا الألم ، هذا الألم ، هذا الألم ! ألا يوجد أحد هنا ؟ ... أى

أحد ؟

لقد تضاءلت بسرعة غريزة المقاومة غريزة حب البقاء القوية . . وأخذ ينادى بدون وعى طلبا للعون . وكان فى شبه غيبوبة ، وجيشان عاطفته كحفيف أوراق الشجر التى تثيرها قوى الطبيعة ، وأصوات الأمواج وصرخات الانسانية المفجعة . ودوى صوته بشكل غريب فى سكون الغرفة :

— هذا الألم ، هذا الألم !

وفى هذه الغرفة ، حتى شهر مضى ، كان يعيش وينام فيها حراس السكة الحديد من الضباط الروس . وعندما دخل الجنود اليابانيون إليها أول مرة وجدوا صورة ملطخة بالسخام للمسيح معلقة بالمسامير فى الحائط . ولقد تطلع هؤلاء الضباط فى الشتاء الماضى عبر

هذه النافذة في العواصف الثلجية المتوالية الكاسحة عبر سهل مانشوريا. ولقد شربوا الفودكا ، ولقد وقف في الخارج حراس ملتفعين في الفراء . . . ولقد القوا النكات بينهم عن مواطن الضعف في الجيش الياباني ، وهنا أخذوا يتفاخرون . والآن ، في هذه الغرفة ترن صرخات الألم لجندى يحتضر .

ورقد ساكنا للحظة . وكان صرار الليل يغنى نفس الأغنية الشجية . لقد بزغ القمر متأخرا فوق سهل مانشوريا العريض ، ولقد ازدادت الكائنات ضياء . حتى الأرض خارج النافذة حولها ضوء القمر نورا .

وصرخ ثانية ، وتلوى على الأرض نائحا يائسا . وتقطعت أزرار قميصه ونخدش لحم رقبته وصدره وسال دمه ، وانسحق غطاء رأسه العسكري ، واستقر شريطه عند ذقنه وتلطح جانب من وجهه بالقى . وفجأة سطع نور داخل الغرفة . وفي مدخل الباب رأى رجلا وفي يده شمعة كتمثال ما داخل كوته . ودخل الرجل الغرفة في صمت وأمسك بالشمعة فوق الجندى المريض ، حيث رقد متلويا ، متقلبا على الأرض . كان وجه الجندى لا لون له مثل وجه رجل ميت .

— ما هي الحكاية ؟

— هذا الألم ، هذا الألم !

تردد الرجل في أن يلمس الجندى . ووقف بجانبه لبرهة ، ناظرا الى أسفل ، ثم وضع الشمعة على المنضدة بعد أن ثبتها بإحكام في نقط الشمع الذائب ، وأسرع خارج الغرفة ، فانعكس كل شيء في الغرفة على ضوء الشمعة بوضوح . ورأى أن الحزمة المبعثرة في الركن التي وعى عليها بشكل مشوش ما هي الا بندقيته وحمله .

ارتعش اللهب على الشمعة ، وتدرج الشمع ذائبا كالدموع . وعاد الرجل بعد برهة محضرا معه جنديا . لقد أيقظ واحدا من وحدة تقيم الليل في منزل عبر الطريق . ونظر الجندى الى وجه الرجل المريض ، وتطلع في الغرفة من حوله . ثم حلق بامعان في اشعارات الفوج التي على كتفه .

استطاع المريض أن يسمع كل شيء قاله :

— انه من الفوج الثامن عشر .

– أهو كذلك ؟

– متى جاء الى هنا ؟

– ليست عندى فكرة • استيفظت فى العاشرة لاسمع احدهم
يصرخ فى ألم • لم أستطع تمييز ذلك – لابد انه لا يوجد أحد فى باقى
المنزل • وبعد أن أنصت لبرهة سمعت الصرخات مرة أخرى ، تزداد
ارهاقا ، فجئت الى هنا لارى ما الخطب • انه البرى برى ••• وازمه
بليه • أيضا • لا يمكن عمل أى شىء ازاء ذلك •

– من المفروض وجود طبيب فى المستودع ؟

– يوجد ، ولكنى أشك اذا كان سيأتى فى وقت متأخر كهذا •

ووقف الاثنان فى صمت •

وجاء الألم فياضا مرة أخرى • واخذ يثن ، وصرخة تعقبها صرخة
فى تصعيد أو برالى تدريجى لا يحتمل •
– انه يقاسى بشكل فظيع • من أين هو ، يا ترى ؟

وشعر الجندى يبحث فى جيب صدره • مخرجا دفتر الفوج •
ورأى ملامح الرجل السمراء القوية ، وراقبه يمشى بالقرب من الشمعة
على المنضدة لفحص ما قد عثر عليه ، وأعتم عليه الضوء •

لقد سمع الجندى يقرأ ، وتصله كل كلمة بتمييز •••

جندى نفر كاتو هيسوكى • قرية فوكو ، منطقة اتسومى ، اقليم
ميكافا • وطافت صور البيت أمام عينيه مرة أخرى • وجه أمه ، وجه
زوجته ، منزل كبير يقف وسط أشجار الكافور ، الصخور الزلقة على
الشاطئ ، البحر الأزرق ، وجوه الصيادين الذين يعرفهم جيدا •

وقف الاثنان يراقبانه فى سكون • كان وجهاهما أبيضين • ومن
وقت لآخر يتفوهان كلمات مواسية ، عرف عندئذ أنه سيموت •
ولكن لم تحمل تلك المعرفة معها أى ذعر أو حزن معين • لقد شعر
بأن الشىء الذى يراقبه هذان الاثنان يمثل هذا القلق لم يكن هو
نفسه ، بل شىء غير حى لا علاقة له به • آه لو أمكنه الهروب من هذا
الألم، هذا الألم المفرط !

وارتعشت الشمعة ، وغنى صرار الليل •

وعند الفجر . عندما وصل الطبيب من المستودع . كان الجندي
قد مات منذ ساعة . لقد مات في الوقت الذي أعلن فيه عمال المستودع
بهتاف عال باقلاع أول قطار ذخيرة الى أنشان . بينما قمر الصباح كان
مشنوقا في السماء وشاحبا وسقيما .

وفي الحال دوت الدمعة الثابتة للمدافع مرة أخرى . أنه كان
الأول من سبتمبر ، ولقد بدأ الهجوم على لياوبانج ..



الفهرست

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	٩
شعر / تانكا	٥٥
شعر / ناجا أوتا	٦٠
شعر / هايكي	٦٣
- مسرح نو	٧١
- زيامي	
الطبله الحريرية (دراما قديمة)	٧٣
- يوكيو وميشيما	
الطبله الحريرية (دراما جديدة)	٨١
- خان كيكوتشي	
المجنون فوق السطح (دراما)	١٠٧
- لكاتب مجهول	
قاطع الخيزران وطفلة القمر (حكاية)	١٢١
هوتشي مقطوع الأذنين (حكاية)	١٣٩
- رايونوسوكي اكو تاجاوا	
صور من الجحيم (قصة قصيرة)	١٥١
- ماسوجي ابوسى	
أتوبيس الفحم (قصة قصيرة)	١٧٩

الموضوع	الصفحة
– ناويا شيجا	
قرع سيبى (قصة قصيرة)	١٩١
– جونيتشيرو تانيزاكي	
اللس (قصة قصيرة)	١٩٧
– كاتاي تايا ما	
الجندي (قصة قصيرة)	٢١١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٣١٦٤

ISBN – ٩٧٧ – ٠١ – ١٧٤٠ – ٤

مختارات من الأدب الياباني

كثيرة هي الكتب المترجمة إلى اللغة العربية والتي تعرض علينا أنواعاً مختلفة من الأدب الغربية ، تشمل الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والشعر ..

ونادرة هي الكتب المترجمة إلى اللغة العربية والتي تعرض علينا الأدب الشرقية .. والمكتبة العربية في حاجة شديدة إلى مثل هذه الكتب ، لتضعها أمام القارئ العربي المتعطش دائماً إلى الارتواء من نهل الأعمال الأدبية التي أنتجتها شعوب الشرق الأقصى .

وهذا الكتاب سياحة ممتعة في عالم الأدب الياباني .. ويتضمن مختارات شهيرة من الأعمال الأدبية الكلاسيكية والحديثة .. تتضمن ألواناً من الشعر والمسرح الكلاسيكي والمسرح الحديث والحكاية الشعبية والرواية والقصة القصيرة .. وقد روعي اختيار هذه الأعمال كنماذج مختلفة من الإنتاجات الأدبية التي كتبها مؤلفون وكتاب يابانيون مشهورون في بلادهم وفي خارجها ..

مختارات من الأدب الياباني .

ترجمة : صبرى الفضل .

مراجعة : مختار السويفى .